

مباحث في

السيرة النبوية

جمع وترتيب وإعداد

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله

عادل الشوربجي

حفظه الله تعالى وتغفر له



الجزء الأول

مولده ﷺ

روى الإمام أحمد والحاكم من حديث العرياض بن سارية قال رسول الله ﷺ "أنا دَعَوُهُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عَيْسَى قَوْمُهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ"^(١)

قال ابن رجب - رحمه الله - : وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وأزال به ظلمة الشرك منها^(٢)

وقال ابن كثير: «وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوتة ببلاد الشام؛ ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ولهذا جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، وفي صحيح البخاري: «وهم بالشام»^(٣)

روى الإمام مسلم من حديث وائِلَةَ بِنِّ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٤)

ولد ﷺ في صبيحة يوم الاثنين (٩ من ربيع الاول) عام الفيل الموافق ٢٠ او ٢٢ من ابريل ٥٧١ ميلادية

روى ابن عساكر بسند جيد من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ " ولدت من نكاح ولم اولد من سفاح"^(٥)

١- أخرجه أحمد (١٧١٦٣) والحاكم (٤١٧٥) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٥)

٢- لطائف المعارف (٨٧/١)

٣- تفسير ابن كثير (٣١٧/١)

٤- أخرجه مسلم (٢٢٧٦) بابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النَّبِيِّ

٥- أخرجه ابن عساكر بلفظ "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح" (٤٠١/٣) وحسنه الألباني في الارواء

(١٩١٤)

روى الإمام مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ سئلَ عنَ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ؟
قَالَ: «ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»^(٦)

النسب الشريف

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن
كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
بن نزار بن معد بن عدنان وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم بلا خلاف ولكن الإختلاف
فيما بين عدنان واسماعيل من الأباء .

وكانت حاضنته أم ايمن واسمها بركة الحبشية أمة أبيه. وأول من ارضعته ثويبه أمة عمه أبي لهب

٦- أخرجه مسلم (٨١٩/٢، ١١٦٢)

روى البخارى من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «أَوْحِبِّينَ ذَلِكَ»، فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِلُّ لِي». قلت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة؟ قال: «بنت أم سلمة»، قلت: نعم، فقال: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَيْبِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَابْنَةُ أَحِي مِنْ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوْبِيَّةً، فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ»^(١)

ولما علم أبو لهب بمولد النبي ﷺ من أمته ثوية اعتقها . فراه بعض أهله في النوم فسأله عن حاله فأخبره بسوء حاله غير أنه يسقى من نقرة في خنصره كل يوم اثنين لأنه أعتق ثوبيه .

الرد من وجوه :

١- انها من كلام عروة بن الزبير

٢- أنه فرح فرح طبعي وليس شرعى .

قصة الفيل

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٥ : ١]

وقد جاء ذكرها في السنة :

١- أخرجه البخاري (٥٣٧٢) باب المراضع من المولات وغيرهن

روى البخارى من حديث المسور بن مخرمة لما خرّج رسول الله ﷺ زمنَ الحديبية سارَ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليها منهنها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»^(١)

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه السورة : هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ونحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأزعم أنوفهم وخيب سعيهم وأضل عمالهم^(٢)

وآية الرسول ﷺ في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملا في بطن امه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من عام الفيل .

فلو ظفر أصحاب الفيل من قريش وتمكنوا منهم لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى صيانه لرسوله ﷺ أن يجرى عليه السبي حملا ووليدا .

قال ابن تيمية : وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم. فعلم بذلك أن هذه الآية (إهلاك أصحاب الفيل) لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت أو لأجل النبي ﷺ ، الذي ولد به في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما^(٣)

ولم يكن بقريش في ذلك الوقت من التأله ما يستحقون به الذب والدفاع عن الكعبة .

الإحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة ولا تجوز

فصل في اسمائه ﷺ

١- أخرجه البخاري (٢٧٣١) باب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ

٢- تفسير ابن كثير (٤٥٨/٨)

٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥٦/٦)



روى الشيخان من حديث مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٌ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ " والعاقب الذي ليس بعده نبي (وقد سماه الله رؤفاً رحيماً) ^(١)

قوله ﷺ وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على اثرى (أى أنه يحشر قبل الناس) وقد سماه الله رؤفاً رحيماً مدرج من كلام الزهري .

قال الحافظ : وَمِمَّا وَقَعَ مِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْقُرْآنِ بِالإِتِّفَاقِ (الشَّاهِدُ - الْمُبَشِّرُ - النَّذِيرُ - الْمُبِينُ - الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ - السِّرَاجُ الْمُنِيرُ - الْمُدَكَّرُ - وَالرَّحْمَةُ - وَالنَّعْمَةُ - وَالْهَادِي - وَالشَّهِيدُ - وَالْأَمِينُ - وَالْمُرْمَلُ - وَالْمُدْتَرُّ - الْمُتَوَكَّلُ - الْمُخْتَارُ - وَالْمُصْطَفَى - وَالشَّفِيعُ - الْمُسْتَفْعُ - وَالصَّادِقُ - الْمُصَدِّقُ) والحكمة في الإقتصار على الخمسة أنها أشهر من غيرها حيث أنها موجودة في الكتب القديمة وبين الأمم ^(٢)

- الأعلام الدالة على الأشخاص ثلاث أقسام

الاسم	مثل محمد - أحمد - زيد
الكنية	ماصدر ب أب أو أم (ولا يشترط أن يكون أباً عبد الرحمن ابنه عبد الرحمن) مثل أبو بكر - أم سلمة
اللقب	ما اشعر بمدح أو ذم مثل الأعرج - الأصم - الحافي - الأعمش الى غير ذلك

فالنبي ﷺ اسمه محمد - وكنيته أبو القاسم - ولقبه رسول الله ﷺ

الكنية : بضم وسكون مأخوذة من الكناية تقول كنية عن الأمر بكذا اذا ذكرته بغير ما يستدل به عليه صريحاً .

وقد اشتهرت الكنى عند العرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب .

وقد يكون للواحد كنيه فاكثر .

١- أخرجه البخاري (٣٥٣٢) بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ومسلم (٢٣٥٤)

٢- فتح الباري (٥٥٨ / ٨)

قال ابن القيم: وفي تاريخ ابن أبي خيثمة أن طلحة كان له عشرة من الولد كل منهم اسم نبي وكان للزبير عشرة كلهم تسمى باسم شهيد فقال له طلحة أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسمى بأسماء الشهداء فقال له الزبير فإني أطمع أن يكون بني شهداء ولا تطمع أن يكون بنوك أنبياء^(١)

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي ﷺ، فقال: إنما دعوتُ هذا، فقال النبي ﷺ: «سُؤوا باسمي ولا تكنوا بكُنيتي» وفي رواية دعا رجلٌ بالبقيع يا أبا القاسم^(٢)

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا. وفي رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْسَنَتِ الْأَنْصَارُ، سُؤوا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُوا بِكُنيتي، فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ» ثم قال النبي ﷺ: «أَسْمِ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ»^(٣)

قال الإمام مالك: وهذا المعنى قد عدم بعد حياة النبي ﷺ ولذلك يكنى الناس بهذه الكنية وما علمت بأسا أن يسمى محمدا ويكنى بأبي القاسم^(٤)

قال النووي: اختلف في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب:

الأول المنع مطلقا سواء كان اسمه محمدا أم لا ثبت ذلك عن الشافعي

والثاني الجواز مطلقا ويختص النهي بحياته صلى الله عليه وسلم

والثالث لا يجوز لمن اسمه محمدا ويجوز لغيره

١- تحفة المودود بأسماء المولود (١/ ١٢٨)

٢- أخرجه البخاري (٢١٢٠) ومسلم (٢١٣١)

٣- أخرجه البخاري (٣١١٤) ومسلم (٢١٣٣)

٤- المنتقى شرحا الموطأ (٧/ ٢٩٦)

قال الحافظ: وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي جَمْرَةَ بَعْدَ أَنْ أَشَارَ إِلَى تَرْجِيحِ الْمَذْهَبِ الثَّلَاثِ مِنْ حَيْثُ الْحَوَازِ لَكِنَّ الْأَوَّلَى الْأَخْذُ بِالْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَتْرَأُ لِلذِّمَّةِ وَأَعْظَمَ لِلْحُرْمَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١)

قال ابن القيم فى الزاد : فصل فى أسمائه ﷺ وكلها نعوت ليست أعلاما محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال

وقال : وَأَسْمَاؤُهُ ﷺ نَوْعَانِ - أَحَدُهُمَا: خَاصٌّ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمُحَمَّدٍ، وَأَحْمَدَ، وَالْعَاقِبِ، وَالْحَاشِرِ، وَالْمُقَمِّيِّ، وَنَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ.

وَالثَّانِي: مَا يُشَارِكُهُ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ وَلَكِنَّ لَهُ مِنْهُ كَمَالُهُ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكَمَالِهِ دُونَ أَصْلِهِ، كَرَسُولِ اللَّهِ، وَنَبِيِّهِ، وَعَبْدِهِ، وَالشَّاهِدِ، وَالْمُبَشِّرِ، وَالنَّذِيرِ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيِّ التَّوْبَةِ. - وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ اسْمٌ تَجَاوَزَتْ أَسْمَاؤُهُ الْمِائَتَيْنِ، كَالصَّادِقِ، وَالْمَصْدُوقِ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ^(٢)

الرضاع وشق الصدر

أول من أرضعته من المراضع بعد أمه ثويبه وارضعت قبله حمزه وبعده أبا سلمة وكان من عادة العرب أن يلتمسوا لاولادهم فى البوادرى ليكون انجب للولد ابتعادا لهم عن أمراض الحواضر لتقوى أجسامهم وتشتد أعصابهم وكانوا يقولون ان المرى فى المدينة يكون كليل الذهن فاتر العزيمة .

لما ولد رسول الله ﷺ قدمت حليلة بنت الحارث فى نسوه من بنى سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة تقول حليلة فخرجت على أتان لى قَمْرَاء (حمار لونه بياض الى حمرة) ومعى زوجى الحارث بن عبد العزى أحد بن سعد بن بكر يقول : قد ادمت اتانا (حدثت فى فى ركبها جروح داميه لا صطككاكها) ومعى بالركب شارف (الناقه المسنه) والله ما تبط بقطرة لبن (لا ينزل منها قطرة لبن) فى سنه شهباء (مجدبه لا خضر فيها ولا مطر) ومعى ابن لى والله ما ينام ليلنا وما اجد فى يدى شيئا اعلله به . فلما قدمنا مكة فما بقى منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكرهته فقلنا إنه يتيم وإنما يكرم الظئر(المرضعه) ويجسن اليها الوالد . فكل صواحي أخذ رضيعا فلما لم أجد غيره رجعت اليه فأخذته والله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره فقلت لصاحي (زوجى) والله لأأخذن هذا اليتيم من بنى عبد المطلب فعسى الله أن ينفعنا به . ولا أرجع من بين صواحي ولا أخذ شيئا قالت فأخذته فأتيت به الرحل فوالله ما هو إلا أن اتيت به الرحل فامسيت أقبل ثدياى باللبن حتى ارويته وارويت أخاه وقام أبوه (من

١- فتح البارى (١٠/٥٧٢، ٥٧٤)

٢- زاد الميعاد (١/٨٤، ٨٦)

الرضاعة زوجها) الى شارفنا تلك يلتمس فاذا هي حافل (كثير اللبن) فاروانى وروى . فقال يا حليلة تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركه (نفس)

روى الترمذي عن ابن عباس قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَجْزِي مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرُ اللَّبَنِ»^(١)

تقول حليلة ثم رجعنا الى بلادنا أنا وصواحي فركبت أتاني القمرء فحملته معى فو الذى نفس حليلة بيده لقطعت الركب (سقت الركب) حتى إن النسوه ليقطن امسكن علينا أهذا أتاك التى خرجت عليها ؟ فقلت نعم قالت فخرجنا فما زال يزيدنا الله فى كل يوم حير حتى قدمنا بلادنا ولقد كان رعانا يسرحون ثم يرجعون فتروح أغنام بنى سعد جياعا وتروح غنمى بطانا حفلا (ممتلئه البطون بكثير اللبن) قالت وكان يشب شبابا ما يشبه احد من الغلمان يشب فى اليوم شباب السنة . فلما استكمل سنتين اقدمناه مكه أنا وأبوه فقلنا والله ما راينا صبيا قط أعظم بركه منه وأنا نتخوف عليه وباء مكه (المرض) واسقامها فدعاه نرجع به حتى تبرئى من دائك فلم نزل بها حتى اذنت . فرجعنا به .

ما يستفاد من ذلك :

١- بركة النبى ﷺ على حليلة

٢- اختيار الله للعبد أفضل وأحسن من اختيار العبد لنفسه وذلك بعد السعى والأخذ بالأسباب .

شق الصدر

روى الدارمى وأحمد (السلسلة ٣٧٣-١٥٤٥) عَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلَ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي، اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمَّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَّثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، (وفى رواية صحيحة «أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ مَعَهُمَا طَسْتُ مِنْ ذَهَبٍ مَلَأَنِ ثُلْجًا) فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهْوُ هُو؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا، فَشَقَّ بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ، اثْنَيْنِ بِمَاءِ ثُلْجٍ - فَعَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: اثْنَيْنِ بِمَاءِ بَرْدٍ فَعَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: اثْنَيْنِ بِالسَّكِينَةِ فَدَرَاهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا

١- أخرجه الترمذي (٣٤٥٥) وحسنه الألباني

لِصَاحِبِهِ: حِصْنُهُ، فَحَاصَهُ، (وفي رواية قال خطه فخطاه) وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ - وَقَالَ حَيُّوهُ بِنُ شُرَيْحٍ: فِي حَدِيثِهِ حِصْنُهُ فَحِصْنُهُ وَاخْتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ -، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ، وَاجْعَلِ الْفَأَ مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي، أَشْفِقُ أَنْ يَجْرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: " لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرَّقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أَلْبَسَ بِي، قَالَتْ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلْتَنِي، - وَقَالَ يَزِيدُ: فَحَمَلْتَنِي - عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي حَتَّى بَلَّغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَيْتِ أَمَانَتِي، وَدِمَّتِي؟ وَحَدَّثْتَهَا بِالَّذِي لَقِيتِ، فَلَمْ يُرْعَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ، أَضَاءَتْ مِنْهُ فُصُورُ الشَّامِ" (١)

روى الامام مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره» (٢)

الطست اناء معروف . وهو مؤنث وليس في الحديث ما يدل على جواز استعمال اناء الذهب لأن هذا من فعل الملائكة

منتقع اللون أى متغير وفيها ثلاث لغات (ممتقع - مبتقع - منتقع) ومعناه تغير من حزن أو فزع

قول انس كنت أرى أثر المخيط (الإبرة) في صدره إشارة من أنس الى حقيقة ما حدث للرد على من أنكر وكذب وقال النووى: وفيه جواز النظر الى صدر الرجل

جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمان فأفرغه في صدرى (فأفرغها الضمير يعود على الطست)

قال النووى : وَأَمَّا جَعْلُ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِنَاءٍ وَإِفْرَاقُهُمَا مَعَ أَنَّهُمَا مَعْنِيَانِ وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَجْسَامِ فَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الطُّسْتَ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يَخْضَلُ بِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ وَزِيَادَتُهُمَا فَسُمِّيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً لِكَوْنِهِ سَبَبًا لَهُمَا وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَجَازِ (٣)

١- أخرجه أحمد (١٧٦٤٨) والحاكم (٤٢٣٠) وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبي والدارمي (١٣) وحسنه الهيثمي

في الجمع ووصحه الألباني في الصحيحة (٣٧٣)

٢- أخرجه مسلم (١٦٢) باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفُرْضِ الصَّلَوَاتِ

٣- شرح النووى على مسلم (٢/٢١٨)

قال الامام ابن رجب : ومن تأمل الفاظ الأحاديث الواردة في شرح (شق) صدره وملئه إيمان وحكمة أو سكينه أو رافة ورحمة ظهر له من ذلك أنه وضع في قلبه جسم محسوس مشاهد نشأ عنه ما كان في قلبه من هذه المعاني والله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق من المعاني أجساما محسوسة مشاهدة كما يجعل الموت على صورة كبش أملح^(١)

روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ جَرِيئًا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَسْأَلُ عَنْهَا غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَوَّلُ مَا رَأَيْتَ فِي أَمْرِ النَّبُوَّةِ؟ فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَقَالَ: " لَقَدْ سَأَلَتَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي لَفِي صَحْرَاءِ ابْنِ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهْوُ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهِ لَمْ أَرَهَا لِحُلُقِ قَطُّ، وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْسِيَانِ، حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَعْضُدِي، لَا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضْجَعُهُ. فَأَضْجَعَانِي بِلَا قَصْرِ وَلَا هَضْرٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: افْلِقْ صَدْرَهُ، فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي، فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ، ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ، ثُمَّ هَزَّ إِنْهَامَ رَجُلِي الْيُمْنَى، فَقَالَ: اعْدُ وَاسْلَمْ فَرَجَعْتُ بِهَا أَعْدُو بِهِ رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ " (٢)

تتابع الأحداث

ثم توفيت أمه أمنة وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة . فكفله جده عبد المطلب ثم مات جده وهو غلام (٨ سنوات) جفر فكفله شقيق أبيه أبو طالب وكان به رحيمًا وكان مقلا في الرزق فعمل النبي ﷺ برعى الغنم مساعدة منه لعمه .

- وكانت حكمة الله تعالى أن ينشأ الرسول ﷺ يتيما تتولاه عناية الله وحده بعيدا عن الزرع التي تمنع في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه حتى لا يتربى ويميل الى التنعيم والتدليل

وكذلك المصائب التي نزلت به جعلته رقيق القلب مرهف الشعور بالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من ادراان القسوه والكبر والغرور وتجعلها اكثر رقه وتواضعا .

١- فتح الباري لابن رجب (٢/٣١٣)

٢- أخرجه عبد الله بن الامام أحمد (٢١٢٦١) والهيثمى في المجمع (١٣٨٤٢) وقال : رِجَالُهُ ثِقَاتٌ وَتَقَهُمُ ابْنُ حِبَّانَ.

روى البخارى من حديث جابر بن عبد الله، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ بَحْنِي الكَبَاثِ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَيْطَبُ»^(١) فَقَالَ: أَكُنْتُ تَرَعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَاهَا»^(٢)

الكبات : ثمر الأراك يشبه التين يأكله الناس والإبل والغنم
بمر الظهران : تشبه الظهر مكان معروف على مرحلة من مكة

فقيل أكنت ترعى الغنم ؟ فى السؤال اختصار والتقدير أكنت ترعى الغنم حتى عرفت أطيب الكبات ؟ لان راعى الغنم يكثر تردده تحت الأشجار لطلب المراعى فيها والإستغلال تحتها.

وفى روايه عند البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أزعها على قراريط لأهل مكة»^(٣)

وفى روايه عند ابن ماجه قال ﷺ «وأنا كنت أزعها لأهل مكة بالقراريط»^(٤)

قال الحافظ : قَالَ سُؤدَدٌ أَحَدُ رُوَاتِهِ يَعْنِي كُلَّ شَاةٍ بِقَيْرَاطٍ يَعْنِي الْقَيْرَاطَ الَّذِي هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ قَرَارِيطُ اسْمٌ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُرِدِ الْقَرَارِيطُ مِنَ الْفِضَّةِ وَصَوَّبَهُ بن الجوزي تبعاً لابن ناصِرٍ وَخَطَّأَ سُؤدَدًا فِي تَفْسِيرِهِ لَكِنْ رَجَّحَ الْأَوَّلَ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَا يَعْرِفُونَ بِهَا مَكَانًا يُقَالُ لَهُ قَرَارِيطُ قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْحِكْمَةُ فِي الْإِهْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعَى الْغَنَمَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ أَنْ يَحْضُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعِيَّتِهَا عَلَى مَا يُكَلِّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحْضِلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعِيَّتِهَا وَجَمَعَهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقَلَهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ وَدَفَعِ عَدْوَهَا مِنْ سَبْعٍ وَعَظِيمِهِ كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلْفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عَقُولِهَا فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعْفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا فَيَكُونُ تَحْمُلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كَلَّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَةَ لِمَا يَحْضُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعَى الْغَنَمِ وَخُصِّصَتْ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها

١- أطيب مقلوبه مثل جذب جبد

٢- أخرجه البخاري (٥٤٥٣) باب الكبات، وهو ثمر الأراك

٣- أخرجه البخاري (٢٢٦٢) باب رعى الغنم على قراريط

٤- أخرجه ابن ماجه (٢١٤٩) وصححه الألباني

يقول الحافظ بن حجر : **وَفِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيمِ التَّوَاضُّعِ لِرَبِّهِ وَالتَّصْرِيحِ بِمِنَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ^(١)**

التواضع للحث على العمل

ورعى الغنم يكسب صاحبه (الصبر - الشجاعة - الرحمة - العطف) وفيه التزييه على الأكل والكسب من عرق الجيب وصاحب الدعوة يجب أن يستغنى عما في أيد الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم فتبقى منزلته مرفوعة ويتعد عن الشبهات والتشكيك والإعتماد على النفس في الكسب تعطى الداعية الحرية التامة والقدرة على قول كلمة الحق والصدع بها .

وهذا المعنى السابق لم يخطر على بال الرسول ﷺ من انه سيكون نبيا ورسولا ولكن الله اختار له ذلك حتى لا يكون هناك شيء في حياته قبل البعثة يعرقل سبيل دعوته أو يؤثر عليها أى تأثير .

حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ في شيبته

١ - حفظه الله تعالى عن شرك الجاهلييه وعبادة الاصنام

روى الامام أحمد عن هشامٍ يَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَارٌ، لِحَدِيثِ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لِحَدِيثِهِ: «أَيُّ حَدِيثِي، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا» قَالَ: فَتَقُولُ حَدِيثِي: خَلَّ اللَّاتَ، خَلَّ الْعُزَّى، قَالَ: كَانَتْ صَنَمَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ يَضْطَجِعُونَ^(٢)

٢ - كان لا ياكل مما ذبح على النصب

روى البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ حِمْيَرَ^(٣) قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيِ، فَعُدَّ مَتَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةً، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ بِمَا تَدْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعْيبُ عَلَى قُرَيْشٍ دَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّأءُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَدْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنَّكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ^(٤)

١ - فتح البارى (٤ / ٤٤١)

٢ - أخرجه أحمد (١٧٩٤٧) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين

٣ - واد في طريق التنعيم إلى مكة

٤ - أخرجه البخاري (٣٨٢٦) بَابُ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ

زيد بن عمرو بن نفيل: ابن عم عمر بن الخطاب وهو والد سعيد بن زيد من العشرة المبشرين بالجنة ومات قبل المبعث

الأنصاب : حجارة ليست بأصنام ولا معبودة وهى حجارة كبيرة وإنما هى من الات الحجار التى يذبح عليها . فمنهم من يذبح للأصنام ومنهم من لا يذبح لها .

روى البزار والطبرى من حديث سعيد بن زيد قَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَسَأَلْتُ أَنَا وَعُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زَيْدٍ فَقَالَ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ فَإِنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ^(١)

٣ - كشف العورة

روى البخارى من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِرَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «إِرَارِي إِرَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِرَارَهُ» وفى رواية صحيحه فبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل الحجاره معهم إذ انكشفت عورته . فنودى يا محمد غط عورتك فما رؤيت له عوره قبل ولا بعد "طمست عيناه اى ارتفعت"^(٢) (الاشياء قبل الشرع لا توصف بحل ولا حرمة).

٤ - وقوفه بعرفه قبل البعثة

روى البخارى من حديث مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، كُنْتُ أَطْلُبُ بَعِيرًا لِي ح وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَضَلُّتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْفًا بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: «هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الْحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَاهُنَا»^(٣)

ذهب جبير بن مطعم لبيحث عن بعيره فى عرفه لا يقف بها الاحمس الشديد على دينه وكانت قریش تسمى الحمس . وقد استهواهم الشيطان فقال لهم انكم ان عظمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم فكانوا لا يخرجون من الحرم . يقول جبير بن مطعم فلما اسلمت علمت ان الله وفقه لذلك .

روى الحاكم فى المستدرک من حديث الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا هَمَّمْتُ بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلَاهُمَا يَعِصُمَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمَا. قُلْتُ لَيْلَةَ لِقَائِي كَانَ مَعِيَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَعْلَى مَكَّةَ فِي أَغْنَامٍ لِأَهْلِهَا تَرَعَى: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا تَسْمُرُ الْفِتْيَانُ قَالَ: نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ

١ - انظر السيره النبويه لابن كثير (١ / ١٦١) وفتح البارى (٧ / ١٤٣)

٢ - أخرجه البخاري (٣٨٢٩) بَابُ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ

٣ - أخرجه البخاري (١٦٦٤) بَابُ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ

أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَنَاءَ وَصَوْتِ دُفُوفٍ وَزَمْرٍ فُقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْعِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى عَلَبْتَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ وَعَلَبْتَنِي عَيْنِي فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فُقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا " قَالَ ﷺ: «قَوْلَ اللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوتِهِ»^(١)

يؤخذ مما سبق

- ١- ان النبي ﷺ كان متمتعاً بخصائص البشرية كلها وكان يجد في نفسه ما يجده الانسان من ميول خلقه الله تعالى عليها
- ٢- أن الله تعالى عصمه من ذلك .

قصة بحيرى الراهب

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ. فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ السَّيْرَ صَبَّ بِهِ رَسُولُ ﷺ، فِيمَا يَزْعُمُونَ. فَرَقَّ لَهُ أَبُو طَالِبٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْرِجَنَّ بِهِ مَعِيَ وَلَا أَفَارِقُهُ وَلَا يُفَارِقُنِي أَبَدًا. فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصِرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَهِيَ رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَى فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ. وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مُنْذُ قَطُّ رَاهِبٌ فِيهَا إِلَيْهِ يَصِيرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابٍ، فِيمَا يَزْعُمُونَ، يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى - وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمْرُونَ بِهِ فَلَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَعْزِضُ لَهُمْ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ، فَلَمَّا نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ فِيمَا يَزْعُمُونَ عَنْ شَيْءٍ رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الرِّكْبِ حَتَّى أَقْبَلَ وَغِمَامَةٌ تَطْلُلُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ. فَنَظَرَ إِلَى الْعِمَامَةِ حِينَ أَطَلَّتِ الشَّجَرَةَ وَنَهَضَتْ أَعْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَقَدْ أَمَرَ بِطَعَامٍ فَصْنِعَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنِّي صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلَّكُمْ، كَبِيرِكُمْ وَصَغِيرِكُمْ، عَبْدِكُمْ وَخُرُكُمْ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ يَا بَحِيرَى إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ! مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ لَهُ بَحِيرَى: صَدَقْتَ فَدَ كَانَ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّكُمْ ضَيْفٌ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعُ لَكُمْ طَعَامًا فَتَأْكُلُونَ مِنْهُ كُلُّكُمْ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ لِحِدَاثَةِ سَنَةِ فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا رَأَاهُمْ بِحِيرَى لَمْ يَرَ الصَّفَةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُهُ عِنْدَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي. قَالُوا: يَا بَحِيرَى مَا تَخَلَّفَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غُلَامٌ، وَهُوَ أَحَدُنَا سِنًا فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِنَا. قَالَ: لَا تَفْعَلُوا ادْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ

١- أخرجه الحاكم (٧٦١٩) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ: وَاللَّاتِ وَالْعِزَّى إِنْ كَانَ لِلْوَمِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا. ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ. فَلَمَّا رَأَهُ بَجِيرَى جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ الْقَوْمَ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا قَامَ إِلَيْهِ بَجِيرَى وَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ: أَسَأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعِزَّى إِلَّا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسَأَلُكَ عَنْهُ. وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَجِيرَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَخْلِفُونَ بِهِمَا. فَرَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعِزَّى شَيْئًا، فَوَاللَّهِ مَا أَبْعَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُعْضَهُمَا. فَقَالَ لَهُ بَجِيرَى: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسَأَلُكَ عَنْهُ؟ فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ. فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ. فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَجِيرَى مِنْ صِفَتِهِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ. فَلَمَّا فَرَعَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَا هَذَا الْعَلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ بَجِيرَى: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْعَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا. قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَحِي. قَالَ فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبَلَى بِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ، ارْجِعْ بِابْنِ أَحِيكَ إِلَى بَلَدِهِ وَاحْدَرَ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْعُنَّهُ شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِ أَحِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ^(١)

وعند البيهقي فلما نزل القوم بجوار صومعة الراهب خرج الراهب اليهم فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي ﷺ فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش وما علمك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لني وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه

خاتم النبوة:

في الصحيحين من حديث السائب بن يزيد، يقول: دَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ «فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحِجَلَةِ^(٢)»^(٣) الحجلة طير معروف يشبه اليمامة

قال الحافظ: كَانَ بَيْنَ كَتِفَيْ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ مِنْ عَلَامَاتِهِ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ بِهَا^(٤)

١- السيرة لابن اسحاق (٧٣/١) وما بعدها

٢- الحجلة طير معروف يشبه اليمامة

٣- أخرجه البخاري (٥٦٧٠) (٣٥٤١) بَابُ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٥) بَابُ إِثْبَاتِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَصِفَتِهِ، وَحَلِّهِ مِنْ جَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى مسلم من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَعْفِرُ لَكَ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: ١٩] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ «فَنظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاقِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى. جُمِعَا عَلَيْهِ خِيَلًا كَأَمْتَالِ الثَّالِيلِ»^(٢)

قال الحافظ : قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : اتَّفَقَتِ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ عَلَى أَنَّ خَاتَمَ النَّبُوءَةِ كَانَ شَيْئًا بَارِزًا أَحْمَرَ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ قَدْرُهُ إِذَا قُلِّلَ قَدْرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ وَإِذَا كُبِّرَ جُمِعَ الْيَدِ

ووضع هذا الخاتم بعد شق الصدر في المرة الأولى

قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَضِعَ خَاتَمُ النَّبُوءَةِ عِنْدَ نُغْضِ كَتِفِهِ ﷺ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ وَذَلِكَ الْمَوْضِعَ يَدْخُلُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ^(٣)

روى الإمام عبد الله بن الإمام أحمد أحمد عَنْ أَبِي رَمِثَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ، فَقُلْتُ لِابْنِي: هَذَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنِي يَرْتَعِدُ، هَيْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ، وَإِنَّ أَبِي كَانَ طَبِيبًا، وَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ طِبِّ، وَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنَ الْجَسَدِ عِرْقٌ وَلَا عَظْمٌ، فَأَرِنِي هَذِهِ الَّتِي عَلَى كَتِفِكَ، فَإِنْ كَانَتْ سِلْعَةً فَطَعْتُهَا، ثُمَّ دَاوَيْتُهَا، قَالَ: «لَا، طَبِيبُهَا اللَّهُ»^(٤)

يُؤْخَذُ مِنْ مَلَاقَاةِ الرَّاهِبِ بِالنَّبِيِّ ﷺ: - أَنْ الصَّادِقِينَ مِنَ الرَّهْبَانِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقًّا. قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

قال ابن كثير : يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَعْرِفُونَ صِحَّةَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ وَلَدَهُ^(٥)

١- فتح الباري (٦/ ٥٦١)

٢- أخرجه مسلم (٢٣٤٦) بَابُ إِثْبَاتِ خَاتَمِ النَّبُوءَةِ، وَصِفَتِهِ، وَحَلِّهِ

٣- فتح الباري (٦/ ٥٦٣)

٤- أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد (٧١١٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٥- تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٣)

قال القرطبي: وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: أَتَعْرِفُ مُحَمَّدًا ﷺ كَمَا تَعْرِفُ ابْنَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَأَكْثَرَ، بَعَثَ اللَّهُ أَمِينَهُ فِي سَمَائِهِ إِلَى أَمِينِهِ فِي أَرْضِهِ بِنَعْتِهِ فَعَرَفْتُهُ، وَابْنِي لَا أَذْرِي مَا كَانَ مِنْ أُمَّهِ^(١)

والمعنى أن علماء أهل الكتاب يعرفون محمدا ﷺ من بين الناس كما يعرف أحدهم ابنه من بين الناس روى مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢)

روى البخارى من حديث أنس، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِيَّيَّ سَأَيْلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟، وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمَّهِ؟، قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا»

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَنِيَادُهُ كَبِيدِ الْحَوْتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ» قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ فَسَأَلْتُهُمْ عَنِّي، قَبِلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرِنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ» قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، «فَاعَادَ عَلَيْهِمْ»، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٣)

توفى عبد الله بن سلام ٤٣ من الهجرة

تجارته مع خديجه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً، ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ، بِشَيْءٍ يَجْعَلُهُ هُمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا بُحَّارًا، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مَا بَلَغَهَا: مِنْ صَدَقِ حَدِيثِهِ، وَعَظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، بَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إِلَى الشَّامِ

١- تفسير القرطبي (٢/١٦٣)

٢- أخرجه مسلم (١٥٣) بابٌ وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْجِلْدِ بِمِلَّتِهِ

٣- أخرجه البخاري (٣٩٣٨)

تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجَّارِ، مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ: مَيْسِرَةٌ، فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْهَا وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسِرَةً (وفي الرحلة رأى ميسره من الايات الباهرات الكثير منها لما وصلا الى الشام نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسره، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسره: هذا رجل من فريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة، ومعه ميسره، فكان ميسره - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرته، واشتد الحر، يرى ملكين يظللانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا. وحدثها ميسره عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه.. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسره مما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ - فقالت له فيما يزعمون: يابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطبتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها^(١)، فرضى بذلك وعرض ذلك على أعمامه فوافقوه وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها وتزوجها ﷺ واصلقها (٢٠) بكرة وكانت اسن منه عمرها ٤٠ سنة و سنة ﷺ ٢٥ سنة وما تزوج قبلها ولا عليها حتى ماتت

فوائد:

- ١- السمعة الطيبة والأخلاق الفاضلة من الصدق والأمانة يجعلها الله تعالى سببا لحصول الأرزاق
- ٢- التجارة مورد من موارد الرزق قال ابن عباس تسعة أعشار الرزق في التجارة
- ٣- عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح من مكارم الاخلاق ومن الذكاء والمروءة سواء من المرأة نفسها أو من وليها

روى البخارى من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ حُنَيْسِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُؤَيِّ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحَهَا إِيَّاهُ»

١- انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧١) والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٦٢) ٩

فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكْتُهَا لَقَبِلْتُهَا (١)

- في زواجه ﷺ من خديجة مع الفارق الزمني وعدم الزواج عليها حتى ماتت

الاسم	سنة الزواج	سنة الوفاة لخديجة رضی الله عنها
النبي ﷺ	٢٥ سنة	٥٠ سنة
خديجة رضی الله عنها	٤٠ سنة	٦٥ سنة

- وهذا لعمر الفتره الزمنية من ٢٥ حتى ٥٠ سنة هي الفترة التي تتحرك فيها رغبة الإستزادة من النساء والميل الى التعدد .

- إلا فلينظر كل من يتكلم في حقه بعين الإنصاف ويحكم .

بناء الكعبة

بنيت الكعبة على مدار الدهر كله أربع مرات :

الأولى : هي ما قام ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنائها ومعه ابنه اسماعيل

قال تعالى ﴿وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

الثانية : التي بنتها قريش قبل بعثة النبي ﷺ وشارك فيها النبي ﷺ.

الثالثة : لما احترق البيت في زمن يزيد بن معاوية من جراء ما فعله الحجاج فأعاد بنائها ابن الزبير وادخل فيها ما اخرجته قريش وهو الحجر .

الرابعة : في زمن عبد الملك بن مروان بعدما قتل ابن الزبير وبناها كما بنتها قريش .

١- أخرجه البخاري (٤٠٠٥) (٥١٢٢) بابُ عَرَضِ الْإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْحَيْرِ

روى الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُحِرْتُ الكعبةُ ذو السؤيقَتَيْنِ^(١) مِنْ الحَبَشَةِ»^(٢)

وفي روايه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدُ أَفْحَجِ»^(٣)، يَفْلَعُهَا حَجْرًا حَجْرًا»^(٤)

- وهذا سيكون في اخر الزمان قرب قيام الساعة

اجتمعت قريش لتحديد بناء الكعبة لما اصابها من حريق وسيل جارف صدع جدرانها فأرادوا هدمها ليرفعوها ويستقفوها ولكنهم هابو هدمها وخافوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا ابدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم نبغ إلا الخير ولا نريد إلا الخير . فبدؤوا في هدمها ثم قاموا بالبناء ولكن قصرت بهم النفقة فانقصو منها ستة أذرع . فلما بلغوا موضع الحجر اختصموا فيه كل قبيله تريد ان ترفعه الى موضعه دون الأخرى وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم لولا أن أبا امية بن المغيرة قال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد فلما وافقوا على ذلك دخل محمد ﷺ فلما راوه قالوا هذا الأمين قد رضينا فلما اخبروه الخبر قال هلموا ثوبا فاتوه به فوضع فيه الحجر بيديه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب فرفعوه حتى بلغوا موضعه وضعه بيديه وبنى عليه .

- السيره العطره والماضى الطيب يجبر الناس على التقدير والاحترام .

- موضع اعادة الحجر كما حدث يكشف عن منزلة النبي ﷺ عند قريش .

روى البخارى عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهَدِمْتُمْ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجُ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَعْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ»^(٥)

صوره تفصيليه لحياه العرب قبل البعثة

والهدف من ذلك إظهار ما كان عليه العرب من تدهور في كل مناحى الحياة على الجملة وكيف نخض بهم الإسلام ورفعهم في الخافقين

١- ذو السؤيقتين : تصغير ساق أى له ساقان دقيقتان

٢- أخرجه البخاري (١٥٩٦) بَابُ هَدْمِ الكَعْبَةِ ومسلم (٢٩٠٩)

٣- الأفحج : تباعد بين الساقين

٤- أخرجه البخاري (١٥٩٥) بَابُ هَدْمِ الكَعْبَةِ

٥- أخرجه البخاري (١٥٨٦) بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِهَا

وأيضاً أن النفس البشرية مهما تدنت ممكن أن تصل الى السمو والرفعة بالتربية

اولاً: الحالة الدينية :

كانوا في تخلف ديني شديد ووثنيه سخيغه لا مثيل لها في التاريخ وكانوا يعبدون الاصنام ولكل قبيله صنم وكانت قريش وخزاعه يعبدون اساف ونائلة وكانت مناة عند ساحل البحر تعظمها العرب كافة وكانت اللات في ثقيف وكانت العزى من أعظم الأصنام عند قريش . والى جانب هذه الأصنام الرئيسية يوجد عدد لا يحصى من الأصنام الصغيرة التي يسهل نقلها في الأسفار ووضعها في البيوت .

من صور التدهور والتدنى في العبادة

روى البخارى سَعْتُ أَبَا رَجَاءِ الْغَطَارِدِيِّ، يَقُولُ: " كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَحَبُّ مِنْهُ ^(١) أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثُوهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَنَنَّا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ ^(٢)

روى الدارمى عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَوْلَايَ: أَنَّ أَهْلَهُ بَعَثُوا مَعَهُ بِقَدَحٍ فِيهِ زُنْدٌ وَلَبَنٌ إِلَى آهَتِهِمْ، قَالَ: فَمَنْعَنِي أَنْ أَكُلَ الزُّنْدَ لِمَخَافَتِهَا، قَالَ: " فَجَاءَ كُلُّبٌ فَأَكَلَ الزُّنْدَ وَشَرِبَ اللَّبَنَ، ثُمَّ بَالَ عَلَى الصَّنَمِ وَهُوَ: إِسَافٌ، وَنَائِلَةٌ ^(٣)

روى الإمام محمد بن اسحاق بسند صحيح أن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام وكان عمرو بن الجموح سيِّداً من سادات بني سلَمة، وشريفاً من أشرفهم، وكان قد اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنَمًا مِنْ خَشَبٍ، يُقَالُ لَهُ: مَنَاهُ، كَمَا كَانَتْ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ، تَتَّخِذُهُ إِهْلًا تُعَظَّمُهُ وَتُطَهَّرُهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلَمَةَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو (بن الجموح) ، فِي فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعُقْبَةَ، كَانُوا يُدْجِلُونَ بِاللَّيْلِ عَلَى صَنَمِ عَمْرٍو ذَلِكَ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفْرِ بَنِي سَلَمَةَ، وَفِيهَا عَدْرُ النَّاسِ، مُنَكَّسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٍو، قَالَ: وَيَلِكُمْ! مَنْ عَدَا عَلَى آهَتِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: ثُمَّ يَعْدُو يَلْتَمِسُهُ، حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لِأُخْرِيَّتِهِ. فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٍو، عَدُوا عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَعْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَدَى، فَيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيَّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى، فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْفَوْهُ يَوْمًا، فَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ

١- من كونه اشد بياضا او نعومه اونحو ذلك

٢- أخرجه البخاري (٤٣٧٦)

٣- أخرجه الدارمى (١٥٤/١) بسند حسن

يَصْنَعُ بِكَ مَا تَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَأَمْتَنِعْ، فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ. فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرُو، عَدُوا عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مَيِّتًا فَفَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلِ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بئرٍ مِنْ أَبَارِ بَنِي سَلَمَةَ، فِيهَا عَدْرٌ مِنْ عَدْرِ النَّاسِ، ثُمَّ عَدَا عَمْرُو بِنِ الْجُمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ. فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبئرِ مُنْكَسًا مَفْرُونًا بِكَلْبِ مَيِّتٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، وَكَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ (رِجَالِ) قَوْمِهِ، فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ^(١)

قَالَ هَارُونُ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقَدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْْبُدُهُ، وَيُرِي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَكَلْدَهُ^(٢)

ومع هذا التخلف الشديد وجد فيهم من كان على بقايا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فمنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي قال الشاه خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الارض ثم تذبجونها على غير اسم الله . انكارا لذلك .

روى البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد قال سألت انا وابن عمر النبي ﷺ على زيد بن عمرو فقال غفر الله له ورحمة فإنه مات على دين ابراهيم ومنهم أمية بن أبي الصلت .

روى البخارى ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ " وَكَادَ أُمِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِمَ^(٣)

ثانيا : الحالة السياسية:

كانوا ينقسمون الى بدو وحضر والنظام السائد هو النظام القبلى وكان لشيخ القبيلة منزلة القبلى وصفاته وخصائصه من الشجاعة والكرم ونحوها . وكان مبدؤهم فى ذلك انصر اخاك ظلما او مظلوما

لا يسألون اخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وكانت الحروب بينهم على قدم وساق.

ثالثا : الحالة الاقتصادية:

١- انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٧١) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٠٨)

٢- أخرجه الدارمى (١/ ١٥٤) بسند حسن

٣- أخرجه البخاري (٦١٤٧) ومسلم (٢٢٥٦)

يغلب على الجزيرة الصحارى الواسعة الممتدة هذا جعلها تخلوا من الزراعة إلا في أطرافها وكان يغلب عليهم رعى الإبل والغنم وكانوا يتنقلون بحثا عن مواقع الكأ وكان لهم رحلتان رحلة في الشتاء الى اليمن ورحله في الصيف الى الشام .

قال تعالى ﴿لَا يَلَا فِي قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ { قریش }

- وكان التعامل بالربا منتشر وفاشى بينهم .

- وكانت لهم اسواق مشهوره عكاظ و مجنه و ذو الحجاز .

رابعا : الحالة الاجتماعية:

كان عندهم من التقاليد والعادات السيئة الكثير :

- فمن ذلك الإعتزاز والفخر الذى لاحد له بالنسب والحسب

- كانوا لا يورثون النساء ولا البنات ولا الصبيان . ولا يورثون الا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل

- كانوا يعيرون بالبنات قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [٥٨ : ٥٩ : النحل]

- النكاح:

روى البخارى عن عروءة بن الزبير أن عائشة، زوج النبي ﷺ أخبرته: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فإكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئنتها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصبئها، فإذا حملت ووضعت، ومَرَّ عَلَيْهَا لَيْلٌ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وُلِدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهِنَّ الْبَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِنَّ زَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا،

فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا
وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرُونُ، فَالْتَأَطَّ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنُهُ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ
الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمِ»^(١)

- الطلاق:

كانوا يمارسون الطلاق ولم يكن للطلاق عندهم عدد محدد فكان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها ثم يراجعها هكذا أبدا .

ذكر النبي ﷺ في الكتب المتقدمة

الغرض والهدف من ذلك أن كل الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا وأن أهل الكتابين يعلمون صدق النبي ﷺ وأنه من عند الله وإن كانوا حقا متبعين لكتبهم لزمهم الإيمان به واتباعه.

قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

قال ابن كثير : يَفُؤَلُ تَعَالَى : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ } يَعْنِي الْيَهُودَ { كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } وَهُوَ: الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ { مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ } يَعْنِي: مِنَ التَّوْرَةِ، وَقَوْلُهُ: { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } أَي: وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ بِيءِ هَذَا الرَّسُولِ بِهَذَا الْكِتَابِ يَسْتَنْصِرُونَ بِمَجِيئِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقُتْلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ

عَنْ قِتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ قَالَ: قَالُوا: فِينَا وَاللَّهِ وَفِيهِمْ - يَعْنِي فِي الْأَنْصَارِ - وَفِي الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا جِيرَانَهُمْ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ يَعْنِي: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } قَالُوا كُنَّا قَدْ عَلُونَاهُمْ دَهْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنْ [الْأَنْبِيَاءِ] يُبْعَثُ الْآنَ نَتَّبِعُهُ، قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَقُتْلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ [وَاتَّبَعْنَاهُ] كَفَرُوا بِهِ

قال محمد بن اسحاق بسنده عن ابن عباس: أَنَّ يَهُودَ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالخُزَاجِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَاثِهِ. فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَبِ كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ، وَيَشْرُ بَنِي الْبَرَاءِ بَنِي مَعْرُورٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ

١ - أخرجه البخاري (٥١٢٧) باب من قال: لا نكاح إلا بولي

تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكِ، وَنُخْبِرُونَنَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ. فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مَشْكَمٍ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ^(١)

روى الإمام أحمد عن رجلٍ من الأعرابِ، قَالَ: جَلَبْتُ جُلُوبَةً إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ: لِأَلْقَيْنَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَا سَمْعَنَ مِنْهُ، قَالَ: فَتَلَقَّيْنِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَمْشُونَ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَفْقَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ نَاشِرًا التَّوْرَةَ يَقْرُؤُهَا، يُعْرِي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنِ لَهُ فِي الْمَوْتِ، كَأَحْسَنِ الْفُتْيَانِ وَأَجْمَلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ، هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمُخْرَجِي؟» ، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، أَي: لَا، فَقَالَ ابْنُهُ: إِي وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمُخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَحْيَاكُمْ» ، ثُمَّ وَلِيَ كَفَنَهُ وَجَنَنَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ^(٢)

روى البخارى عن عطاء بن يسار، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } [الأحزاب: ٤٥]، وَحِزْرًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيَّتْكَ الْمَتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَبْضِئَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا غُمِيًّا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْمًا^(٣)

يقول ابن القيم فى الزاد: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ أَنْ الْأَوْسَ وَالْحِزْرَجَ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ خُلَفَائِهِمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَبْعُوثٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ سَيَخْرِجُ فَتَنَهُ وَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِمَامٍ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَحْجُونَ الْبَيْتَ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحْجُهُ دُونَ الْيَهُودِ، فَلَمَّا رَأَى الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأَمَّلُوا أَحْوَالَهُ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ يَا قَوْمَ أَنْ هَذَا الَّذِي تَوَعَّدْكُمْ بِهِ يَهُودٌ، فَلَا يَسْفِينُكُمْ إِلَيْهِ () فَأَسْرَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ١١ مِنَ الْبِعْثَةِ^(٤)

١- تفسير ابن كثير (٢١٦/١)

٢- أخرجه أحمد (٢٣٤٩٢) وصححه الألباني فى الصحيحة (٣٢٦٩) وله شاهد فى الصحيح وقال ابن كثير :

هذا حديث جيد قوي

٣- أخرجه البخاري (٤٨٣٨) باب { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }

٤- زاد الميعاد (٣٩/٢)

كلام لابن القيم فى آية : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَنُهِلْكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايُ أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٥ : ١٥٧ : الاعراف]

أَنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ إِذَا أَخْبَرَ عَنْ كَوْنِ رَسُولِهِ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، أَيْ الْإِخْبَارُ عَنْهُ وَصِفَتُهُ وَمَخْرَجُهُ وَنَعْتُهُ، وَمَ يُخْبِرُ بِأَنَّ صَرِيحَ الْإِسْمِ الْعَرَبِيِّ مَدْكُورٌ عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ ذِكْرِهُ بِمُجَرَّدِ اسْمِهِ، فَإِنَّ الْإِشْتِرَاكَ قَدْ يَقَعُ فِي الْإِسْمِ فَلَا يَحْضُلُ التَّعْرِيفُ وَالتَّمْيِيزُ، وَلَا يَشَاءُ أَحَدٌ يُسَمِّي بِهَذَا الْإِسْمِ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ إِلَّا فَعَلَ، إِذَا الْحَوَالَةُ إِذَا وَقَعَتْ عَلَى مُجَرَّدِ الْإِسْمِ، وَهَذَا لَا يَحْضُلُ بِهِ بَيَانٌ وَلَا تَعْرِيفٌ وَلَا هُدًى، بِخِلَافِ ذِكْرِهِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ وَعَلَامَاتِهِ وَدَعْوَتِهِ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ، وَوَقَّتْ مَخْرَجِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا يُعَيِّنُهُ وَيُمَيِّزُهُ وَيَخْصُرُ نَوْعَهُ فِي شَخْصِهِ. وَهَذَا الْقَدْرُ مَدْكُورٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهَا مِنَ النُّبُوتِ^(١)

ذكر الإمام محمد بن اسحاق بسند صحيح قال حدثت عن صفية بنت حبيبي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إلي، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غداً عليه أبي، حبي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، فمعلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كألين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من العم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي، حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت^(٢)

مناظرة بين ابن القيم-رحمه الله - ويهودى :

١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/٢٩٧)

٢- انظر السرة النبويه لابن هشام (١/٥١٩) بسند صحيح

قال ابن القيم رحمه الله: في كتابه (هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى) وَقَدْ جَرَتْ لِي مُنَاطَرَةٌ مَعَ أَكْبَرَ مَنْ تُشِيرُ إِلَيْهِ الْيَهُودُ بِالْعِلْمِ وَالرَّيَاسَةِ، فَقُلْتُ لَهُ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ: إِنَّهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَدْ شَتَمْتُمُ اللَّهَ أَعْظَمَ شَتِيمَةً، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: مِثْلُكَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ! فَقُلْتُ لَهُ: اسْمَعْ الْآنَ تَقْرِيرَهُ، إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَلِكٌ ظَلَمَ قَهَرَ النَّاسَ بِسَيِّغِهِ، وَلَيْسَ بِرَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَدْ أَقَامَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَيَقُولُ: أَمَرَنِي اللَّهُ بِكَذَا وَنَهَانِي عَنْ كَذَا وَأَوْحَى إِلَيَّ كَذَا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. وَيَقُولُ: إِنَّهُ أَبَاحَ لِي سَبِّي ذَرَارِيَّ مَنْ كَذَّبَنِي وَخَالَفَنِي وَنَسَاءَهُمْ، وَعَنِيمَةَ أَمْوَالِهِمْ، وَقَتْلَ رِحَالِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ يَدَّأُبُ فِي تَغْيِيرِ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَمُعَادَاةِ أُمَّمِهِمْ وَنَسْخِ شَرَائِعِهِمْ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ تَقُولُوا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ وَيُشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُهُ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّهُ خَفِيَ عَنْهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ نَسَبْتُمُوهُ إِلَى أَفْصَحِ الْجَهْلِ، وَكَانَ مَنْ عِلِمَ ذَلِكَ أَعْلَمَ مِنْهُ، وَإِنْ قُلْتُمْ بَلْ كَانَ كُلهُ يَعْلَمُهُ وَمُشَاهَدَتِهِ وَاطَّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِهِ، وَالْأَخِذِ عَلَى يَدَيْهِ وَمَنْعِهِ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ نَسَبْتُمُوهُ إِلَى أَفْصَحِ الْعَجْزِ الْمَنَافِي لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ قَادِرًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُعِزُّهُ وَيَنْصُرُهُ وَيُؤَدِّدُهُ، وَيُعْلِيهِ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُجِيبُ دُعَاءَهُ وَيُمَكِّنُهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَيُظْهِرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ مَا يَرِيدُ عَلَى الْأَلْفِ، وَلَا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا ظَفَرَ بِهِ، وَلَا يَدْعُوهُ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَهَا لَهُ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالسَّفَهَةِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ نَسَبْتُهُ إِلَى أَحَادِ الْعُقَلَاءِ، فَضْلًا عَنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَكَيْفَ وَهُوَ يَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ عَلَى دَعْوَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ بِكَلَامِهِ، وَهَذِهِ عِنْدَكُمْ شَهَادَةٌ زُورٍ وَكَذِبٍ؟ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ، قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ هَذَا بِكَاذِبٍ مُفْتَرٍ، بَلْ هُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ مَنِ اتَّبَعَهُ أَفْلَحَ وَسَعِدَ. قُلْتُ: فَمَا لَكَ لَا تَدْخُلُ فِي دِينِهِ؟ قَالَ: إِمَّا بُعِثَ لِلْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَأَمَّا نَحْنُ فَعِنْدَنَا كِتَابٌ نَتَّبِعُهُ. قُلْتُ لَهُ: غُلِبْتَ كُلَّ الْعَلْبِ، فَإِنَّهُ قَدْ عِلِمَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ، وَقَاتَلَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَإِذَا صَحَّتْ رِسَالَتُهُ وَجَبَ تَصَدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، فَأَمْسَكَ وَلَمْ يُجِزْ جَوَابًا. (١ . هـ)^(١)

قلت (عادل) ومعنى ذلك لما إعترف اليهودى بأنه نبي صادق من إتبعه أفلح وسعد لزمه أن يصدقه بكل ما أخبر في رسالته ومن جملة ما أخبر أن الله تعالى أرسله الى الناس كافة ولم يستثنى أحد من بعثته ..

حوار بين هرقل وأبو سفيان :

عند البخاري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقُلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رُكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا مُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمِدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِبَيْلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَنِي جُمَاهِنَةَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِبَنِي جُمَاهِنَةَ: قُلْ لَكُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنِ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكُذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَشْرَفُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ بَلَى ضِعْفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيْرِيدُونَ أَمْ يَنْفُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَرِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدُرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّئِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِحَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ. فَقَالَ لِلْبَنِي جُمَاهِنَةَ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِيًّا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلًا يَأْتِسِي بِقَوْلِ قَيْلٍ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلًا يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَفُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيْرِيدُونَ أَمْ يَنْفُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيْرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْغُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدُرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدُرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبَيْنَهُمْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلَصْتُ إِلَيْهِ لَتَحَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ((^(١))

١ - أخرجه البخاري (٧) كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والأشياء التي سألت عنها هرقل يحتفل أنها كانت عنده علامات على هذا النبي بعينه لأنه قال بعد ذلك قد كنت أعلم أنه خارج ومع كل ما عرف هرقل وايقن إلا أنه لم يؤمن حرصا على ملكه ومات على الكفر -والعياذ بالله-

قصة سلمان الفارسي:

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس، قال: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جِيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرَيْتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا لَا يَشْرُكُهَا تَحْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانِ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَادْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمْرِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَدْرِي مَا أَمُرُ النَّاسَ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَشَعَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قِيدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رُكْبٌ مِنَ الشَّامِ بُحَّازٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رُكْبٌ مِنَ الشَّامِ بُحَّازٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبِرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْفَفُ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدَمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَأُصَلِّيَ مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سَوِيٌّ يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعَبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلًا سَوِيًّا يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعَبُكُمْ

فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اِكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عَلِمَكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فُذَلْنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرْتَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّيَ الْحُمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْعَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدَابُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرْتُهُ الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيُّ بُيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانُ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَعَيَّبَ، لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقُ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرْتُهُ الْوَفَاةَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيُّ بُيِّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبَيْنِ، وَهُوَ فُلَانُ، فَالْحَقُّ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَعَيَّبَ لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ نَصِيبَيْنِ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانُ إِلَى فُلَانٍ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيُّ بُيِّ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا أَمْرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِنِي، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَعَيَّبَ لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ عَمُورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَعْرَاتٌ وَعُغْنِيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانُ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانُ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانُ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيُّ بُيِّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَمْرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضِ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَحْفَى: يَاكُلُ الْهَدْيَةَ، وَلَا يَاكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَنْفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَعَيَّبَ، فَكُنْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكَّتْ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَقَرٌ مِنْ كَلْبٍ بُجَارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَعْطِيكُمْ بَعْرَاتِي هَذِهِ وَعُغْنِيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمْوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيِّنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي

منه، فاحتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُعْلِ الرَّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذَقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمِّ لَهٗ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذْتَنِي الْغُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْفُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَعَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لِكَمَّةٍ شَدِيدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَهَذَا أَقِيلَ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَشِيْبَهُ عَمَّا قَالَ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرْبَاءُ ذُووُ حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ: فَفَرَّغْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَيْعِ الْعَرَقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبَعَ جَنَازَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شِمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرَ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَشِيْبْتُ فِي شَيْءٍ وَوَصَفَ لِي، قَالَ: فَأَلْفَى رِذَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَظَنَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَاذْكَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلُهُ وَأَنْكَبِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ» فَتَحَوَّلْتُ، فَفَصَّصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ شَعَلَ سَلْمَانَ الرَّقِّ حَتَّى قَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدَرٍّ، وَأُحْدُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ» فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْسِبُهَا لَهُ بِالْقَمِيرِ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَعِينُوا أَحَاكُمُ» فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَعْتَ فَاتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي» قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْهَا جِئْتُهَا فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضْعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدْبَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَارِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ؟» قَالَ: فَدَعَيْتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا

سَلَمَانُ» فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ: «خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ» قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَنْقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفْتِنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ^(١)

الفوائد التي تؤخذ من قصة سلمان الفارسي:

١. إن الفطرة السليمة تدل صاحبها الى الحق
٢. أن البلاء منوط بقوة الإيمان
٣. كل إنسان ستاتية منيته ، فالواجب عليه أن يبحث عن الحقيقة
- ٤ . حتى تكون دعوتك مؤثرة اجعل ظاهره كباطنك ، وباطنك كظاهره .
- ٥ . أن أهل الحق قلة في كل زمان ومكان .
- ٦ . على المرء أن يعمل ويكد مع طلبه للعلم فلا ينتظر من يعوله ، ولا يتكفف الناس
- ٧ . أن وصف الرسول الله ﷺ عند أهل الكتاب معلوم ومسطور في كتبهم .
- ٨ . على قدر اخلاص العبد في البحث عن الحقيقة يوفق اليها
- ٩ . اذا كان لك مرجع فلا يكون الا وحيا .
- ١٠ . السمع والطاعة في كل أمر لرسول الله ﷺ والمساورة في تنفيذه.
- ١١ . المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .
- ١٢ . قال ابن القيم : رب شده تنزل بالعبد لتخلص ما في قلبه من الادران، لا تزول الا بهذة الشدة
- ١٣ . الصبر وعدم التعجل .

بداية النبوة

١- أخرجه أحمد (٢٣٧٣٧) إسناده حسن، محمد بن إسحاق صدوق حسن الحديث، وقد صرح بالتحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٨٩٣)

روى الامام البخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبُد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: { اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم } [العلق: ٢] " فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «رملوني رملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امراً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً. ثم لم ينسب ورقة أن تُؤي، وفتر الوحي^(١)

صرح البخارى وغيره ان هذا الحديث أول علامات النبوة .

عائشة رضي الله عنها ٤ من البعثة - ٥٨ من البعثة

اشتمل هذا الحديث على مبحثين عظيمين :

مبحث الرؤيا

مبحث الوحي

أولا : مبحث الوحي

١- أخرجه البخاري (٣) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الوحي لغة : الإشارة الكتابة والمكتوب الرسالة .. الالهام الكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك (فأوحي ربك إلى النحل) المهمه . (بأن ربك أوحى لها) أى أمرها .. واوحى الله الى انبيائه اذ بعث برسول ثقة الى عبد

وخلاصة القول لغويا فى الوحي هو الإعلام دون تقييد لهذه الكلمة بوصف معين .. فالإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام فى سرعه وخفاء كلها وسائل إعلام أو هى إعلام .

الوحي فى الاصطلاح : قد يكون تخصيصا للمعنى اللغوى أو قصره له على واحد من أفراده أو نقلا الى معنى جديد تربطه بالمعنى اللغوى رابطة معينة وقد لا توجد هذه الرابطة او تكون واهية .

وخير تعريف للوحي فى الاصطلاح الشرعى هو

اعلام الله تعالى لانبيائه صلوات الله وسلامه بما يريد بلاغة لحكم من شرع أو كتاب بالكيفية التي يريدتها سبحانه .

ويطلق لفظ الوحي على عملية نزول الوحي ،الموحى به ، جبريل ، ويأت به جبريل - والسنة وحي -

كلمة الوحي فى القران واشتقاقاتها وردت فى ٧٩ موضعا ومن أجمع الايات حول الوحي قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَدِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ عَزِيزٌ ﴾ [٥١: الشورى]

تقسيم الوحي باعتبار من أوحى اليه :

١- الوحي الى رسول الله ﷺ

قال تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴾ [١٦٣: النساء]

قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَافِلِينَ ﴾ [٢: يوسف]

٢- الوحي الى النبيين صلوات الله وسلامه عليهم

قال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

٣- الوحي الإشارى :

وتأتى كلمة الوحي بمعنى الاشارة قال تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم ١١ فهو اى زكريا عليه السلام خرج من المحراب لا يكلم احدا وهو سليم من كل انة تمنعة من الكلام وانما حبس لسانه عن مكالمتهم

٤- الوحي الى بعض الانبياء قبل النبوة

وذلك لأن الله تعالى يعد انبياءه لرسالته فيحفظ لهم نظرهم ويرعاهم من حيث لا يشعرون او من حيث يشعرون قال تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]

٥- الوحي الى أمهات بعض الانبياء

وقد اوحى الله تعالى الى بعض أمهات بعض انبيائه لامور تتعلق بولادة هولاء الانبياء او بالحفاظ على حياتهم وسكنا وربطها على قلوب الأمهات قال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

.. فالاية صريحة فى الوحي الى مريم

قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِضَتْ عَلَيْهِ فَأَلْفَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٧: القصص] اشتملت الاية على امرين هما (أرضعية ، ألقية)، ونهيين هما (لاتخافي ، لا تحزنى) ، وخبرين هما (رادوه، اليك) ، وبشارتين (جاعلوه ، المرسلين) وهو وحي إعلام لا الهام وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية ويؤيده قوله تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا

يُوحَى * أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِثِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٨ : ٣٩ : طه﴾

٦- الوحي الى الملائكة

قال تعالى ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ ﴿١٠ : النجم﴾ .. معناها أوحى الله تعالى الى عبده جبريل ما أوحاه جبريل الى محمد ﷺ

قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ﴿١٢ : الانفال﴾ وقال تعالى ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢ : النحل﴾

٧- الوحي الى الحواريين

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١١١ : المائدة﴾

فليس الوحي وحيا مباشرا الى الحواريين وانما هو وحي عن طريق رسولهم عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى امرتهم فيما أوحيت الى عبدى عيسى .

٨- الوحي الإلهامى و التسخيري الى الكائنات الحية

قال تعالى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿٦٨ : النحل﴾ فوحي الله تعالى للنحل هو تسخير النحل لهذا النشاط النافع. وهو الإلهام والهداية والارشاد .

٩. الوحي التسخيري للجمامات

قال تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿١٢ : فصلت﴾ وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهُ﴾ ﴿٤ : ٥ : الزلزلة﴾

١٠- وحي الشيطان الى اوليائه

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١١٢ : الانعام﴾

و قال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الانعام: ١٢١]

أنواع الوحي

قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١] ما كان لبشر اى ما ينبغى لبشر وما صح لانسان ..

من الآية نجد أن كيفية الكلام (كلام الله) ثلاثة ((وحيًا ، - من وراء حجاب - ، إرسال رسول))

ذكر الإمام القرطبي والإمام النيسابوري: في ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تُكَلِّمُ اللَّهُ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا كَلَّمَهُ مُوسَى وَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِنَّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْعَلَ ذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مُوسَى لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ) فَتَنَزَّلَ قَوْلُهُ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾^(١)

أولاً: الوحي القلبي (إلا وحيًا) ولها صورتان

الصورة الأولى: النفث في الروح

وهو القلب والمعنى (القاء المعنى المراد في القلب) مثال ذلك : روى الإمام أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن أبي أمامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمَلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢)

الصورة الثانية: الرؤيا الصادقة

١- تفسير القرطبي (٥٢/١٦)

٢- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٦/١٠) والبعغوى في شرح السنة (٤١١٢) وصححه الألباني في الجامع الصغير

(٢٠٨٥)

الدليل على ذلك : في الصحيحين أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ^(١)

ثانيا : الوحي التكليمي (أو من وراء حجاب)

والكلام يفترض أن يكون على صورتين :

الصورة الاولى: الكلام كفاحا - أى جهرة من غير حجاب - وهذا لم يقع لأحد في هذه الدنيا على الراجح ولقد سأله موسى ولم يجب لذلك قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) الاعراف ١٤٣.... وهذه الصورة مسألة خلافية بين السلف وان كان جمهور الصحابة مع عائشة في أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني راسة.

شبهة والجواب عليها

روى الحاكم في المستدرک عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا^(٢)

الجواب على هذه الشبهة أن هذا في عالم البرزخ ، والله عز وجل لا يكلم أحدا في الدنيا إلا من وراء حجاب .

الصورة الثانية الكلام من وراء حجاب

وقد كلم الله عزوجل نبيه موسى بنص التنزيل قال تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الاعراف: ١٤٣] هذا بالنسبة لنبي الله موسى عليه السلام.....

١- أخرجه البخاري (٦٩٨٢) باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، ومسلم

(١٦٠) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢- أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٩١٤) وصححه وسكت عنه الذهبي

وبالنسبة لبينا محمد ﷺ ورد في حديث الاسراء عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ
فَنُودِيَ: أَنْ قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَقْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجَزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا" (١)

ثانيا : ارسال الملك - قال تعالى (أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء)

وقال أهل العلم مجئ الملك له ثلاث صور

الصورة الأولى : مجئ الملك على صورة بشرية - أى يتمثل الملك على صورة بشر - ویراة الصحابة بشر ، وأحيانا كان يأتي على صورة احد الصحابة وهو دحية الكلبي . الدليل على ذلك ما رواه مسلم عن
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ
 الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ..... ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ
 أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (٢)

روى البخارى أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ
 يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي
 وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا (٣)

الصورة الثانية: مجئ الملك على صورته الملكية الحقيقية : وهذه الحالة حدثت للنبي ﷺ مرتين
 الاولى في بداية البعثة بعد ما انزل عليه في غار حراء .

الدليل في الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ
 فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ
 الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَاءِ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَنَنْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي
 زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } [المدثر: ١] إِلَى (وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ) قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ
 الصَّلَاةُ وَهِيَ الْأَوْتَانُ (٤)

١- أخرجه أحمد (١٧٨٣٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين ، والنسائي (٤٤٨) وصححه الألباني

٢- أخرجه مسلم (٨) باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلاوة الساعة

٣- أخرجه البخاري (٢) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ومسلم (٢٣٣٣)

٤- أخرجه البخاري (٤٩٢٥) ومسلم (١٦١)

في الصحيحين من حديث ابن مسعود، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٌ»^(١)

الصورة الثالثة : مجئ الملك على حالة غير مرئية تصحبه علامات تدل عليه .

الدليل في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ»^(٢) وفي هذه الحالة ياتيه الملك فلا يراه من حوله وإنما يسمعون لمحيته دويًا وصلصلة ويحمر وجهه فجأة واخذته البرحاء حتى يتفصد جبينه عرقًا . ويثقل جسمه حتى كاد يرض فخذته فخذ الجالس الى جانبه حتى لو كان راكبًا لبركت به راحلته ثم لا يلبث ان تسرى عنه تلك الشدة فاذا هو يتلو قرانا جديدا وذكرنا محدثا وهذا لقوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [٥: المزمل] .

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي، أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى جَلَسَتْ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ نَابِتٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء: ٩٥] { وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [النساء: ٩٥]، فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ [ص: ٤٨] يَمْلُهَا عَلَيَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعَ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ أَعْمَى، «فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخَذَهُ عَلَى فَخِذِي، فَتَقُلْتُ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)^(٣)

وروى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو، يقول: «أُنزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا»^(٤).

وروى ايضا عن عائشة، أَنَّهَا قَالَتْ: " إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضَرِبُ بِجِرَاحِهَا"^(٥) " (٦) .

١- أخرجه البخاري (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤) عن ابن مسعود

٢- أخرجه البخاري (٢) باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ومسلم (٢٣٣٣)

٣- أخرجه البخاري (٤٥٩٢) (٢٨٣٢)

٤- أخرجه أحمد (٦٦٤٣) بإسناد حسن وصححه الشيخ أحمد شاكر

٥- اى تبرك وتلصق عنقها الارض

٦- أخرجه أحمد (٢٤٨٦٨) بسند حسن قال الهيثمي : رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

كيف كان الوحي بالقران الى رسول الله ﷺ

قال تعالى ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيِيُّ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [٤ : ٥ : النجم] وقول تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٠٢ : النحل]. وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٢ : ١٩٣ : الشعراء]

فكل وحى عن طريق جبريل نقطع بذلك ..

الرؤيا للنبي ﷺ :

قول عائشة رضي الله عنها أوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ

تقول العرب رأيت رؤية إذا عاينت ببصرك ورأيت رؤيا إذا عاينت في منامك

رؤية النبي ﷺ لربه في ليلة المعراج

فهذه المسألة وقع فيها الخلاف مبكرا في عهد الصحابة

أجمعت الأمة على أن الله عز وجل لا يراه أحد في الدنيا بعينه

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»

والخلاف إنما وقع في حصول الرؤية للنبي ﷺ خاصة ليلة الإسراء والمعراج

يقول الذهبي في السير " وَلَا تُعْنَفُ مَنْ أَثَبَّتَ الرُّؤْيَا لِنَبِيِّنَا ﷺ فِي الدُّنْيَا، وَلَا مَنْ نَعَاهَا، بَلْ نَقُولُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَعْلَمُ، بَلَى تُعْنَفُ وَتُبَدَّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا فِي الآخِرَةِ، إِذْ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الآخِرَةِ ثَبَتَ بِنُصُوصٍ مُتَوَافِرَةٍ"^(١)

وعدم التعنيف على المخالف يرجع إلى الأسباب الآتية

- ١- ليس في المسألة نص قاطع
- ٢- وقع التنازع فيها بين الصحابة
- ٣- أن النبوة لا يتوقف ذلك عليها

قول ابن عباس - رضي الله عنهما: قال «أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلامُ لِمُوسَى وَالرُّؤْيَا

لِمُحَمَّدٍ»^(٢)

١- سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤)

٢- أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٤٧) هذا حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، والنسائي في

الكبرى (١١٤٧٥)

و عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ»، قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣] قَالَ: «وَيُحَكِّمُ، ذَلِكَ إِذَا بَحَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، وَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ»^(١)

قال الحافظ: جَاءَتْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْبَارٌ مُطْلَقَةٌ وَأُخْرَى مُفِيدَةٌ فَيَجِبُ حَمْلُ مُطْلَقِهَا عَلَى مُقَيَّدِهَا . وَعَلَى هَذَا فَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ إِثْبَاتِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَنَفْيِ عَائِشَةَ بِأَنْ يُحْمَلَ نَفْيُهَا عَلَى رُؤْيَا الْبَصَرِ وَإِثْبَاتُهَا عَلَى رُؤْيَا الْقَلْبِ ثُمَّ الْمُرَادُ بِرُؤْيَا الْفُؤَادِ رُؤْيَا الْقَلْبِ لَا مُجَرَّدَ حُصُولِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ بَلْ مُرَادٌ مَنْ أُثْبِتَ لَهُ أَنَّهُ رَأَاهُ بِقَلْبِهِ أَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ خُلِقَتْ فِي قَلْبِهِ^(٢)

قول أنس بن مالك

عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. " ^(٣)

قول أبي هريرة

روى اللاكثي عن داود بن حصين قال: سأل مروان أبا هريرة رضي الله عنه: هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل؟ فقال: "نعم، قد رآه" ^(٤)

منهم من قيد الرؤية بقلبه ﷺ : منهم ابن عباس وأبو ذر .

روى أبو نعيم في المستخرج وغيره عن أبي العالبي عن ابن عباس في قوله ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] قَالَ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ مَرَّتَيْنِ ^(٥) .

روى الدارقطني في كتابه رؤية الله عن أبي ذر، قَالَ: «رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ» ^(٦)

ومنهم من نفى الرؤية مطلقا :

قول عائشة :

روى الإمام مسلم عن مسروق، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِي، وَلَا تُعْجِلِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

١- أخرجه الترمذي (٣٢٧٩) وضعفه الألباني

٢- فتح الباري (٦/٦٠٨)

٣- أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٣٢) وقال الألباني إسناده ضعيف، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٤٨٧/٢)

٤- أخرجه اللاكثي (٩٠٨)

٥- أخرجه أبو نعيم في المستخرج (٤٤٠) بسند صحيح وابن منده في الإيمان (٧٥٧)

٦- أخرجه الدارقطني في كتاب رؤية الله (٢٥٩)

{وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَمَا كَانَ لَيْشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]؟^(١)

قول ابن مسعود:

روى الإمام مسلم والإمام أحمد واللفظ له عن ابن مسعود، في هذه الآية: {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم: ١٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَأَيْتُ جِبْرِيلَ ﷺ وَهُوَ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَشِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ: الدَّرُّ، وَالْيَاقُوتُ"^(٢)

وكذلك قول أبي هريرة في الآية: روى مسلم عن أبي هريرة، {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ»^(٣)

قول أبي ذر: رواه مسلم عن عبد الله بن شقيق، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ، لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا» وفي رواية (قَالَ: «نُورٌ أُنِيَ أَرَاهُ»)^(٤).

(أى نور الحجاب بدلالة حديث أبي موسى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"^(٥) وهو عند مسلم.

*** ملاحظات على الأقوال السابقة :

١- أنها أثبتت الرؤية مطلقاً ولم تنص على رؤية العين .

١- أخرجه مسلم (١٧٧) بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

٢- أخرجه أحمد (٣٩١٥) بسند حسن وصححه الشيخ أحمد شاكر، ومسلم (١٧٤)

٣- أخرجه مسلم (١٧٥)

٤- أخرجه مسلم (١٧٨)

٥- أخرجه مسلم (١٦١/١، ١٧٩)

٢- أنها أثبتتها بالرؤية القلبية والنفى مطلقاً .

يقول شيخ الإسلام : وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ^(١)

***** أقوال العلماء :**

القول الأول : إثبات الرؤية مطلقاً (وهو رأى أحمد - ابن خزيمة - الآجرى) .

القول الثانى : من قيدها بالرؤية القلبية فقط (كعب الأبحار - مجاهد) .

القول الثالث : من رجح التوقف فى المسألة (وقالوا ليس عليه قاطع نفيًا ولا إثباتًا ولكنه جائز عقلاً)

القول الرابع : من قال رآه بفؤاده مرة وبعينه مرة .

القول الخامس : من نفى الرؤية مطلقاً .

القول السادس : من أثبت الرؤية بالعين .

******* وقفات مهمة فى مسألة الرؤية فى المعراج :

١- الآيات التى إستدل بها كل فريق لا تدل دلالة صريحة على إثبات الرؤية ولا على نفيها .

إستدل النفاة للرؤية بقوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣ : الأنعام] . وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يشاء إنَّه على حكيم﴾ [٥١ : الشورى] .

والآيات التى إستدل بها عائشة محتملة التأويل وهذا ما قاله ابن عباس لعكرمه «وَيْحُكَ، ذَاكَ إِذَا بَحَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ» ، .. وكذلك (لا تدركه الأبصار) أى أبصار الناس . أما آية الشورى فمن قال أن محمداً ﷺ رأى ربه لم يخالفها وإنما تكون المخالفة لمن يقول أنه ﷺ رأى ربه فكلمه فى ذلك الوقت .

٢- وكذلك السنة ليس فيها دليل قاطع صريح لأحد الفريقين :- فعائشة لم تنف الرؤية لثبوت النفى بحديث عندها ولكن إستنبط النفى من الآيات .

٣- قول ابن عباس لا يمكن أن يقال من قبيل الإجتهد بل لا بد من السماع .

٤- المثبت مقدم على النافي : فقول ابن عباس مثبت للرؤية وقول عائشة نافي فيُقدم المثبت على النافي . فالنفي لا يُوجب علماً والإثبات هو الذى يُوجب علماً .

٥- الجمع مُقدم فى حال التعارض (نفى عائشة رؤية البصر وإبن عباس أثبت رؤية القلب) .

***المقصود بالرؤية القلبية :

قال القرطبي : وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بَصَرَهُ فِي فُؤَادِهِ حَتَّى رَأَى رَبَّهُ تَعَالَى .. وقيل خلق الله تعالى رؤية لفؤاده فرأى بفؤاده مثل ما يرى الإنسان بعينه (١)

رؤية النبي ﷺ لربه فى المنام :

روى الترمذى وغيره عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: احْتَسِبُ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ عِدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيحًا فَثُوبٌ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَحَوَّرَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصُورَتِهِ فَقَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ» ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: " أَمَا إِلَيَّ سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْعِدَاةَ: أَيُّ فُتْتٌ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَشَقُّلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيهِمْ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ الحديث (٢) إلى هذا الحد متفق على هذه الألفاظ بين من روى الحديث ومحل الشاهد (فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ) .

وروى الطبرانى فى الدعاء وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة وقال رواه أحمد والترمذى وغيرهم عن أبي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: فِيهِمْ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ، ثُمَّ قَالَ: فِيهِمْ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ وَالذَّرَجَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكُفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي السَّبْرَاتِ، وَنَقْلُ الْأَفْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، قَالَ: فَمَا الذَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَصَلَاةٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا، قَالَ: قُلْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ إِلَيَّ أَسْأَلُكَ عَمَلًا بِالْحُسْنَاتِ، وَتَرَكًا لِلْمُنْكَرَاتِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي قَوْمٍ فِتْنَةً وَأَنَا فِيهِمْ فَأَقْبِضْني إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» (٣)

١- تفسير القرطبي (١٧/٩٢)

٢- أخرجه الترمذى (٣٢٣٥) وصححه الألبانى

٣- أخرجه الطبرانى فى الدعاء (١٤١٦) وأحمد (٢٢١٠٩) والترمذى (٣٢٣٥) وصححه الألبانى فى الصحيحة

(٣١٦٩)

أثبت العلماء رؤية النبي ﷺ المنامية لربه عزوجل وإعتمدوا على النصوص الثابتة وهذه الرؤيا ليست محل خلاف وقد وقعت بالمدينة وهي داخلة في عموم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى .

قال الإمام أحمد نعم رآه حقا فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد . (أما آحاد الناس فمحل نظر - هذا من كلام الشيخ صاحب الدراسة ... أى الشيخ عادل حفظه الله تعالى)

رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا عيانا :

هذه لم يختلف فيها أهل السنة فهم مجمعون على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا عيانا .. ومن باب أولى عدم ثبوت الرؤية لآحاد البشر ..

قال البرهاري: ومن زعم أنه يرى ربه في الدنيا فهو كافر بالله تعالى بدليل حديث (تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ،) ^(١)

نتائج:

١- بالنسبة لرؤية النبي ﷺ لربه في المعراج فالأدلة فيها غير قاطعة وغالبها مبني على الإجتهد مما يصعب الترجيح وما تطمئن إليه النفس هو أن الرؤية البصرية ما تمت ولكن الرؤية القلبية .

٢- رؤية النبي ﷺ لربه في المنام متفق عليها .

٣- رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا عيانا إئتفق على عدم وقوعها .

رؤيا الأنبياء حق ووحى لأن أعينهم تنام ولا تنام قلوبهم .. روى البخارى عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: " جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، الحديث) ^(٢) .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس أن اليهود سألت النبي ﷺ عن علامة النبي، قال: «تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» ^(٣) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنه: { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ } [الإسراء: ٦٠] قَالَ: " هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ،) ^(٤)

١- شرح السنه للبرهاري (١/ ٦٨)

٢- أخرجه البخارى (٧٢٨١) بَابُ الْإِفْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣- أخرجه أحمد (٢٤٨٣) بسند حسن وصححه الشيخ أحمد شاكر

٤- أخرجه البخاري (٣٨٨٨) بَابُ الْمَعْرَاجِ

قال الشنقيطي: التَّحْقِيقُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ مَا أَرَاهُ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ الْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ؛ لِأَنَّ عُقُولَ بَعْضِهِمْ ضَاقَتْ عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ، مُعْتَقِدَةً أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا، قَالُوا: كَيْفَ يُصَلِّي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَخْتَرِفُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ، وَيَرَى مَا رَأَى فِي لَيْلَةِ وَاحِدَةٍ، وَيُصْبِحُ فِي مَحَلِّهِ بِمَكَّةَ؟ هَذَا مُحَالٌ^(١)

قال ابن كثير: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ لَمْ يَشْكُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ^(٢)

الرؤيا لكل الناس

معنى الرؤيا : هي إدراك في أجزاء لم تحلها أفة، كالتنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلّة غلبة النوم، فيخلق الله تعالى للرأيي علما ناشئا، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك .

قال أبو بكر بن العربي: وَلَا يَرَى فِي الْمَنَامِ إِلَّا مَا يَصِحُّ إِدْرَاكُهُ فِي الْيَقِظَةِ، وَلِذَلِكَ لَا يَرَى فِي الْمَنَامِ شَخْصًا قَائِمًا قَاعِدًا بِحَالٍ، وَإِنَّمَا يَرَى الْجَائِزَاتِ الْمُعْتَادَاتِ^(٣)

الرؤيا في القرآن :

قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

وقال تعالى ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٠٥: الصافات]

وقال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [٢٧: الفتح] .

أنواعها باعتبار مصدرها :

روى البخارى و الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: الرؤيا ثلاث، فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان فمن رأى ما يكره فليقم فليصل وكان يقول:

١- أضواء البيان (٣/ ١٦٥)

٢- تفسير ابن كثير (٧/ ٣٥٦)

٣- أحكام القرآن (٣/ ٣٦)

يُعْجِبُنِي الْقَيْدُ وَأَكْرَهُ الْعُلَّ الْقَيْدُ: ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ. وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ رَأَى فَإِنِّي أَنَا هُوَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ لِي. وَكَانَ يَقُولُ: لَا تُقْصُ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ. ولفظ ابن ماجه "الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَبَشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَحَدِيثِ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيُقْصِهَا، إِنْ شَاءَ، وَإِنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلَا يَقْصَهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ يُصَلِّي" (١)

وفي الصحيحين أن أبا قتادة، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ». وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: «وَإِنْ كُنْتَ لِأَرَى الرُّؤْيَا أَنْتَقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجَبَلِ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فَمَا أَبَالِيهَا» (٢).

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُجِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ» (٣).

لا تضره معناه أن الله تعالى جعل فعله من التعوذ والتفل وغيره سببا لسلامته من المكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة حماية ووقاية للمال ...

فحاصل ما ذكر من أبواب الرؤيا الصالحة ثلاث أشياء :-

(أن يحمد الله عليها - أن يستبشر بها - أن يتحدث بها لمن يحب)

وما ذكر في الرؤيا المكروهة :

(أن يتعوذ بالله من شرها - ومن شر الشيطان - أن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثا - لا يذكرها لأحد أصلا - الصلاة - التحول عن جنبه الذي كان عليه - قراءة آية الكرسي) .

قال القرطبي : الرُّؤْيَا حَالَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، وَحَكْمٌ ﷺ بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَرُؤْيٍ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ. وَرُؤْيٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " جُزْءًا مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ". وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ " جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا". وَمِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ " جُزْءٌ

١- أخرجه البخاري (٧٠١٧) والترمذي (٢٢٨٠) وابن ماجه (٣٩٠٦)

٢- أخرجه البخاري (٥٧٤٧) ومسلم (٢٢٦١)

٣- أخرجه البخاري (٦٩٨٥) بَابُ الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ

مِنْ خَمْسِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ". وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ " مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ " وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ " مِنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ النَّبُوءَةِ ". وَالصَّحِيحُ مِنْهَا حَدِيثُ السُّنَّةِ وَالْأَرْبَعِينَ، وَيَتْلُوهُ فِي الصَّحَّةِ حَدِيثُ السَّبْعِينَ

وقال أيضا : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَرَاهَا عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ مِنْ صِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَالذِّينِ الْمَتِينِ، وَحُسْنِ الْيَقِينِ، فَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا وَصَفْنَاهَا تَكُونُ الرُّؤْيَا مِنْهُمْ عَلَى الْأَجْزَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْعَدَدِ، فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَيَقِينُهُ وَصَدَقَ حَدِيثُهُ، كَانَتْ رُؤْيَاهُ أَصْدَقَ، وَإِلَى النَّبُوءَةِ أَقْرَبَ

وقال أيضا والكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديثه عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وبرهان ذلك أن الكاهن وغيره قد يُخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على النذور والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء، وقال أيضا الرؤيا المضافة إلى الله تعالى التي خلصت من الأضغاث والأوهام^(١)

ولا يقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح :

قال القاضي أبو بكر بن العربي: أما العالم فإنه يؤوئها له على الخير مهما أمكنه وأما الناصح فإنه يرشده إلى ما ينفعه ويعينه عليه وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت وأما الحبيب فإن عرف خيرا قاله وإن جهل أو شك سكت^(٢)

*** وحكمة الاستعاذة بالله من شرها فهي واضحة والاستعاذة مشروعة عند كل أمر مكروه والاستعاذة من الشيطان لأنها منه وأنه يُخيل بما لقصد تخزين الآدمي والتهويل عليه والتفل أمر به طردا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة وتحقيرا له وإستقرارا وخصت اليسار لأنها محل الأقدار والتثليث للتأكيد . والصلاة لما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها .

أمثلة لرؤيا النبي ﷺ :

روى البخاري أن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم، أتيت بمذح لبن، فشربت حتى إنني لأرى الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»^(٣)

١ - تفسير القرطبي (٩/ ١٢٢) وما بعدها

٢ - فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٩)

٣ - أخرجه البخاري (٨٢) (٧٠٣٢)

وروى أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عرّضوا عليّ، وعليهم فُمصّ، فمنها ما يبلع الثدي، ومنها ما يبلع ذون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجترّة»، قالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «الدين»^(١).

وروى أيضا أن ابن عمر، قال: إن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول فيها رسول الله ﷺ ما شاء الله، وأنا غلام حديث السنن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ذات ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم في خير فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِمْعَة من حديد، يُقبِلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم إني أعود بك من جهنم، ثم أراي لقيني ملك في يده مِمْعَة من حديد، فقال: لئن تراع، نعم الرجل أنت، لو كنت تُكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، له قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مِمْعَة من حديد، وأرى فيها رجلا معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجلا من قرينش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين.. فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة، على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن عبد الله رجل صالح، لو كان يصلي من الليل» فقال نافع: «فلم يزل بعد ذلك يُكثر الصلاة»^(٢).

وروى الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بُشرى من الله، والرؤيا من تحزين الشيطان، والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس قال: وأحب القيد في النوم وأكره الغل القيد: ثبات في الدين^(٣).

التحذير من الكذب في الرؤيا :

روى البخاري عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل»^(٤). (من تحلم كاذبا دفع إليه شعيرة وعذب حتى يعقد بين طرفيها وليس بعاقب)^(٥) ..

١- أخرجه البخاري (٣٦٩١) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي الغدوي رضي الله عنه

٢- أخرجه البخاري (٧٠٢٨) باب الأمن ودهاب الرّوع في المنام

٣- أخرجه الترمذي (٢٢٧٠) وصححه الألباني

٤- أخرجه البخاري (٧٠٤٢) باب من كذب في حلمه

٥- أخرجه أحمد (١٠٥٤٩) إسناده صحيح على شرط البخاري

وله أيضا عن ابن عمر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفَرَى»^(١) أَنْ يُرَى عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ»^(٢)
(أفرى الفرى) أشد الكذب وأكذب الكذبات ..

*** قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ الرَّؤْيَا الْحَسَنَةَ وَالصَّالِحَةَ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى حُسْنِ ظَاهِرِهَا أَوْ صِدْقِهَا
كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ الرَّؤْيَا الْمَكْرُوهَةَ أَوْ السُّوءَ يَحْتَمِلُ سُوءَ الظَّاهِرِ أَوْ سُوءَ التَّأْوِيلِ^(٣)

روى البخارى أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمِشْرَاتُ» قَالُوا:
وَمَا الْمِشْرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»^(٤) .

رؤيا الشيطان لتحزين المسلم وإدخال الكرب والهم عليه :

روى مسلم عن جابر، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي
ضُرِبَ فَتَدَحَّرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى آثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ
بِكَ فِي مَنَامِكَ»^(٥) .

وفي الصحيحين عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ
لَمْ تَكُذْ تَكْذِبُ، رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ فَإِنَّهُ لَا
يَكْذِبُ»^(٦) .

وروى الترمذى عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ،
وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ. وَالرُّؤْيَا ثَلَاثُ:
فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا مِنْ تَحْزِينِ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَإِذَا رَأَى
أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ وَلْيَتَّقِلْ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ قَالَ: وَأَحَبُّ الْقَيْدِ فِي النَّوْمِ وَأَكْرَهُ الْعُلِّ الْقَيْدُ: ثَبَاتٌ
فِي الدِّينِ.^(٧) .

١- (أفرى الفرى) أشد الكذب وأكذب الكذبات

٢- أخرجه البخاري (٧٠٤٣) بَابُ مَنْ كَذَّبَ فِي حُلْمِهِ، وأحمد (٥٧١١) إسناده صحيح على شرط البخاري

٣- فتح الباري (٣٧٢/١٢)

٤- أخرجه البخاري (٦٩٩٠) بَابُ الْمِشْرَاتِ

٥- أخرجه مسلم (١٧٧٦/٤، ٢٢٦٨) بَابُ لَا يُجْبَرُ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ

٦- أخرجه البخاري (٧٠١٧) بَابُ الْقَيْدِ فِي الْمَنَامِ ومسلم (٢٢٦٣)

٧- أخرجه الترمذي (٢٢٧٠) وصححه الألباني

قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي الْمَعَالِمِ : فِي قَوْلِهِ إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ تَقَارُبَ زَمَانِ اللَّيْلِ وَزَمَانِ النَّهَارِ وَهُوَ وَقْتُ اسْتَوَائِهِمَا أَيَّامَ الرَّبِيعِ .

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ إِنَّ اقْتِرَابَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ مُدَّتِهِ إِذَا دَنَا قِيَامُ السَّاعَةِ .

قوله وَأَصْدَفُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَفُهُمْ حَدِيثًا وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ كَثُرَ صِدْقُهُ تَنَوَّرَ قَلْبُهُ وَقَوِيَ إِدْرَاكُهُ فَانْتَقَشَتْ فِيهِ الْمَعَانِي عَلَى وَجْهِ الصَّحَّةِ وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ غَالِبُ حَالِهِ الصِّدْقُ فِي يَقْظَتِهِ اسْتَصْحَبَ ذَلِكَ فِي نَوْمِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا صِدْقًا وَهَذَا بِخِلَافِ الْكَاذِبِ وَالْمُخَلِّطِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ قَلْبُهُ وَيُظْلِمُ فَلَا يَرَى إِلَّا تَخْلِيطًا وَأَضْعَافًا^(١)

روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ لِكَأَنَّ فِي إِحْدَى إِصْبَعِي سَمْنًا، وَفِي الْأُخْرَى عَسَلًا، فَأَنَا أَلْعُقُهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: " تَقْرَأُ الْكِتَابَيْنِ: التَّوْرَةَ وَالْفُرْقَانَ "، فَكَانَ يَقْرُؤُهُمَا^(٢)

روى أصحاب السنن والإمام أحمد عن أَبِي رَزِينٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ، مَا لَمْ تُعْبَرْ، فَإِذَا عُبِرَتْ وَقَعَتْ» . قَالَ: " وَالرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ التُّبُوءَةِ - قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - لَا يَقْضُهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ "^(٣) .

على رجل طائر وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُحْتَمَلَةً وَجْهَيْنِ فَعَبَّرَ بِأَحَدِهِمَا وَقَعَتْ عَلَى قَرَبِ تِلْكَ الصِّفَةِ

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فَالْمَعْنَى أَنَّهَا كَالشَّيْءِ الْمُعْلَقِ بِرَجُلٍ الطَّائِرِ لَا اسْتِقْرَارَ لَهَا وَمَعْنَاهُ: لَا يَسْتَقِرُّ تَأْوِيلُهَا حَتَّى تُعْبَرَ؛ يُرِيدُ أَنَّهَا سَرِيعَةُ السُّقُوطِ إِذَا عُبِرَتْ، كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ، فَكَيْفَ مَا يَكُونُ عَلَى رِجْلِهِ ... وَهِيَ لِأَوَّلِ عَابِرٍ يُعْبَرُهَا أَيُّ أَنَّهَا إِذَا اخْتَمَلَتْ تَأْوِيلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فَعَبَّرَهَا مَنْ يَعْرِفُ عِبَارَتَهَا وَقَعَتْ عَلَى مَا أَوْلَهَا وَانْتَفَى عَنْهَا غَيْرُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ^(٤) .

وقال الطحاوي: الرُّؤْيَا قَبْلَ أَنْ تُعْبَرَ مُعْلَقَةٌ فِي الْهَوَاءِ غَيْرَ سَاقِطَةٍ، وَغَيْرَ عَامِلَةٍ شَيْئًا حَتَّى تُعْبَرَ، فَإِذَا عُبِّرَتْ عَمِلَتْ حِينَئِذٍ^(٥)

١- فتح الباري (١٢/٤٠٥)

٢- أخرجه أحمد (٧٠٦٧) بسند حسن وصححه الشيخ أحمد شاكر

٣- أخرجه ابن ماجه (٣٩١٤) وأحمد (١٦١٨٢) وصححه الألباني

٤- عون المعبود (١٣/٢٤٨)

٥- شرح مشكل الآثار (٢/١٦٣، ٦٨١)

رؤيا النبي ﷺ

في الصحيحين أَنَّ أبا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقْظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» وفي رواية «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقْظَةِ، أَوْ لَكَأَنَّ رَأَى فِي الْيَقْظَةِ، لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»^(١) وفي رواية (وَمَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي)^(٢)

قال ابن سيرين: «إِذَا رَأَهُ فِي صُورَتِهِ» (فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقْظَةِ، - لَكَأَنَّ رَأَى فِي الْيَقْظَةِ - فَقَدْ رَأَى)

كَانَ مُحَمَّدٌ يَعْنِي بَن سِيرِينَ إِذَا قَصَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ صِفْ لِي الَّذِي رَأَيْتَهُ فَإِنْ وَصَفَ لَهُ صِفَةً لَا يَعْرِفُهَا قَالَ لَمْ تَرَهُ^(٣)

روى الحاكم بسند صحيح عن عاصم بن كليب، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» قَالَ أَبِي: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَقُلْتُ: قَدْ رَأَيْتُهُ ﷺ فَذَكَرْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَشَبَّهْتُهُ بِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّهُ كَانَ يُشَبِّهُهُ»^(٤)

قوله (مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقْظَةِ) لأهل العلم فيها أقوال:

١- أَنَّهُ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى فَكَأَنَّ رَأَى فِي الْيَقْظَةِ

٢- أَنَّهُ خَاصٌّ بِأَهْلِ عَصْرِهِ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ

٣- أَنَّهُ يَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَزِيدٍ خُصُوصِيَّةٍ لَا مُطْلَقٌ مَنْ يَرَاهُ حِينَئِذٍ مِمَّنْ لَمْ يَرَهُ فِي الْمَنَامِ

قَوْلُهُ (فَكَأَنَّ رَأَى) فَهُوَ تَشْبِيهُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَوْ رَأَهُ فِي الْيَقْظَةِ لَطَابَقَ مَا رَأَهُ فِي الْمَنَامِ .

فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقْظَةِ احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَهْلَ عَصْرِهِ مِمَّنْ يُهَاجِرُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا رَأَهُ فِي الْمَنَامِ جَعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ يَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَقْظَةِ ...

١- أخرجه البخاري (٦٩٩٣) ومسلم (١٧٧٥/٤، ٢٢٦٦)

٢- أخرجه اللالكائي (٦١٥)

٣- فتح الباري (٣٨٤/١٢)

٤- أخرجه الحاكم (٨١٨٦) وصححه ووافقه الذهبي

وَقَالَ الْقَاضِي وَقِيلَ مَعْنَاهُ سَيَّرَى تَأْوِيلَ تِلْكَ الرُّؤْيَا فِي اليَقْظَةِ وَصِحَّتْهَا ^(١)

** أما من قال أن معنى الحديث من رآه في الرؤيا فسيراه يقظة على ظاهره

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهَذَا قَوْلٌ يُدْرِكُ فَسَادَهُ بِأَوَائِلِ الْعُقُولِ وَيَلْزَمُ مِنْهُ فَسَادٌ كَبِيرٌ وَلَا مَكْنَ بَقَاءِ الصَّحْبَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (بمعنى أن كل من رآه بعد موته في اليقظة كما يزعم فهو صحابي وهذا ضلال بين ^(٢))

قال شيخ الاسلام : وَأَمَّا فِي اليَقْظَةِ فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا ^(٣)

ومن لوازم هذا القول الكذب على رسول الله ﷺ وبيان ذلك أن الجمع الغفير الذين راوه في الرؤيا ممن يقولوا أنهم راوه يقظة .. فهذا ابن عربي الضال إمام الملاحدة يزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام وقد أعطاه فصوص الحكم ليخرج به على الناس وهو كتاب مشحون بالكفر والكذب على رسول الله ﷺ فهذا فتح باب الزندقة والكفر .

فإحتمال الرؤية في اليقظة باطل من وجهين :

الأول : أنه مستحيل شرعا لمعارضته النصوص قال تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) .. ومخالف للإجماع لأن الأمة أجمعت على وفاته ﷺ ولا يُرد على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم لأن هذه حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيا في خصائصها وصفاتها ولذلك يُقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص ولا تقاس على الحياة الدنيا بأى حال من الأحوال .

الثاني : أنه مستحيل عقلا لأنه يلزم منه لوازم باطله مثل أن يخرج ويراه الناس وأن يقود أمته في كل المواطن كما كان في حياته وأن يجاهد في سبيل الله وأن يفصل بين الأمة في المسائل المتنازع فيها . إذ لو صح ذلك لكان حل النبي ﷺ لمشاكل أمته وجمع كلمتهم أولى من أن يظهر لأناس في مجالس فرعية .

قوله (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي - إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي - فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِي - مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ) « فَمَعْنَاهُ لَا يَتَشَبَّهُ بِي وَ لَا يَصِيرُ كَأَنَّ فِي مِثْلِ صُورَتِي

قوله (فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ) قال النووي مَعْنَاهُ أَنَّ رُؤْيَاهُ صَحِيحَةٌ لَيْسَتْ بِأَضْعَافٍ .

١- فتح الباري (١٢/ ٣٨٤)

٢- المفهم لما أشكل من تلخيص الامام مسلم (١٨/ ١٢٨)

٣- مجموع الفتاوى (١/ ١٧٣)

وَقَوْلُهُ لَا يَسْتَطِيعُ وَ (لَا يَنْبَغِي) قَالَ الْحَافِظُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ أَمَكَّنَهُ مِنَ التَّصَوُّرِ فِي أَيِّ صُورَةٍ أَرَادَ فَإِنَّهُ لَمْ يُمْكِّنْهُ مِنَ التَّصَوُّرِ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ (١)

وقال النووي: وَمُنِعَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَتَّصِرَ فِي خِلْقَتِهِ لِأَنَّ كَذِبَ عَلِيٍّ لِسَانِهِ فِي النَّوْمِ ... وَلَوْ وَقَعَ لَأَشْتَبَهَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَلَمْ يُوثِقْ بِمَا جَاءَ بِهِ مَخَافَةً مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ فَحَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَعَهُ وَوَسَّوَسْتَهُ وَإِقَائِهِ وَكَيْدِهِ (٢)

ورؤيته ﷺ تختلف ما تدل عليه باختلاف الصفات التي روى عليها كما قال بعضُ علماء التَّعْبِيرِ إِنَّ مَنْ رَأَاهُ شَيْخًا فَهُوَ عَامٌ سَلِمٌ أَوْ شَابًّا فَهُوَ عَامٌ حَرْبٍ .. ومنهم من قال فَمَنْ رَأَاهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ فَذَاكَ حُسْنٌ فِي دِينِ الرَّائِي وَإِنْ كَانَ فِي جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ شَيْئٌ أَوْ نَقْصٌ فَذَاكَ خَلَلٌ فِي الرَّائِي مِنْ جِهَةِ الدِّينِ وَمِنْ فَوَائِدِ رُؤْيَيْهِ ﷺ تَسْكِينُ شَوْقِ الرَّائِي لِكُونِهِ صَادِقًا فِي مَحَبَّتِهِ لِيَعْمَلَ عَلَى مُشَاهَدَتِهِ .

هل يثبت برؤيا النبي ﷺ حكم شرعي :

الجواب قال النووي وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بِهِ لِأَنَّ حَالَةَ النَّوْمِ لَيْسَتْ حَالَةً صَبَطٍ وَتَحْقِيقٍ لِمَا يَسْمَعُهُ الرَّائِي وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مِنْ شَرْطِ مَنْ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ وَشَهَادَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَيَقِّظًا لَا مَغْفَلًا وَلَا سَىءَ الْحَفِظِ وَلَا كَثِيرَ الْخَطَا وَلَا مُخْتَلَّ الصَّبَطِ وَالنَّائِمُ لَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ... أَمَّا إِذَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُهُ بِفِعْلٍ مَا هُوَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَوْ يَنْهَاهُ عَنْ مَنْهِيٍّ عَنْهُ أَوْ يُرْشِدُهُ إِلَى فِعْلٍ مَصْلَحَةٍ فَلَا خِلَافَ فِي اسْتِحْبَابِ الْعَمَلِ عَلَى وَفْقِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ حُكْمًا بِمُحَرَّرِ الْمَنَامِ بَلْ تَقَرَّرَ مِنْ أَصْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٣)

أجمع العلماء على أن من رأى النبي ﷺ في الرؤيا في ليلة الشك في رمضان وأخبره أن غدا رمضان لا يلزمه الصوم إلا بعد تحقق الرؤيا الشرعية للهلال .

روى الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدَّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ» (٤) وهذا التمني دليل على المحبة للنبي ﷺ .

في فضائل الصحابة للإمام أحمد عن مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ السَّمَّانُ قَالَ: سَمِعْتُ رِضْوَانَ السَّمَّانِ قَالَ: كَانَ لِي حَارٌّ فِي مَنْزِلِي وَسُوقِي وَكَانَ يَشْتُمُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، قَالَ: حَتَّى كَثُرَ الْكَلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ دَاتَ

١- فتح الباري (٣٨٦/١٢)

٢- شرح النووي على مسلم (٢٥/١٥)

٣- شرح النووي على مسلم (١١٥/١)

٤- أخرجه مسلم (٢٨٣٢) بابُ فِيْمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ

يَوْمٍ شَمَمَهُمَا وَأَنَا حَاضِرٌ، فَوَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَتَّى تَنَاوَلَنِي وَتَنَاوَلْتُهُ، قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَأَنَا مَعْمُومٌ حَزِينٌ أَلُومٌ نَفْسِي، قَالَ: فَبِمَنْتُ وَتَرَكْتُ الْعِشَاءَ مِنَ الْعَمِّ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْامِي مِنْ لَيْلَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فُلَانٌ جَارِي فِي مَنْزِلِي وَفِي سُوقِي وَهُوَ يَسُبُّ أَصْحَابَكَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابِي؟» فَقُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ هَذِهِ الْمُدِيَّةَ فَادْبُجْهُ بِهَا»، قَالَ: فَأَخَذْتُهُ فَأَضَجَعْتُهُ فَدَبَجْتُهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ كَأَنَّ يَدِي قَدْ أَصَابَهَا مِنْ دَمِهِ، فَأَلْقَيْتُ الْمُدِيَّةَ وَصَرَيْتُ بِيَدِي إِلَى الْأَرْضِ فَمَسَحْتُهَا بِالْأَرْضِ، فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّرَاحَ مِنْ نَحْوِ الدَّارِ، فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ: انظُرْ مَا هَذَا الصَّرَاحُ؟ فَقَالَ: فُلَانٌ مَاتَ فَجَاءَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا نَظَرْنَا إِلَى حَلْقِهِ فَإِذَا فِيهِ خَطٌّ مُوَضِعِ الدَّبْحِ^(١)

وذكر العلامة السمهودي المدني (في كتابه خلاصة الوفا وغيره) فقال إن الملك العادل نور الدين رأى (سنة ٥٥٨) النبي ﷺ في نومه ليلة ثلاث مرّات وهو يُشير إلى رجلين أشقرين يقول أجدني من هذين فأرسل إلى وزيره وتجهز في بيته ليلتهما على راحل خفيفة في عشرين نفرا وصحب مالا كثيرا فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فزار ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتأمل في كل ذلك تلك الصفة إلى أن انقضت الناس فقال هل بقي أحد قالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة فطلبهما فرأهما الرجلين اللذين أشار إليهما عليه الصلاة والسلام فسأل عن منزلهما فأخبر أنّهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة فأمسكهما ومضى إلى منزلهما فلم ير غير ختمتين وكتبا في الرقائق ومالا كثيرا فأثنى عليهما أهل المدينة خيرا فبقى مترددا متحيراً فرجع حصيرا في البيت فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة فارتاعت الناس لذلك فقال لهما السلطان أصدقاني وضربهما ضرباً شديدا فاعترفا بأنّهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بالمال العظيم ليتحिला في الوصول إلى الجناح الشريف ونقله وما يترب عليه فنزلا قرب رباطاً وصارا يحفران ليلاً ولكل منهما حفظة جلد والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع إذا خرجا بعلة الزيارة فلما قرب من الحجرة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجف عظيم فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة المسمى الآن شباك الجمال ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذاب ذلك الرصاص وملاً الخندق فصار حول الحجرة سور من رصاص إلى الماء^(٢)

عود لحديث عائشة

١ - أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٣٩٤)

٢ - خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١٧٥ / ٢)

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ^(١) إِلَيْهِ الْخَلَاءُ^(٢) وَكَانَ يَخْلُو بَعَارٍ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ^(٣) فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ (مدرج) - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ (ابهام العدد لاختلافه) قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ^(٤)، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ^(٥) وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا^(٦) أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي^(٧) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُوَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، (الفرع) فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْحَبْرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»^(٨) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا^(٩) وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمِعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(١٠)، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا^(١١)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلًا قَطُّ

١ - لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك وان كان كل من عند الله . او لينبه على انه لم يكن من باعث البشر

او الهام

٢ - فراغ القلب

٣ - في رواية يتحنف اى يتبع ملة ابراهيم

٤ - والشهر كان رمضان الذى يخلو فيه

٥ - الملك ويسمى الحق لانه من عند الله

٦ - نافية وليست استفهامية وتكرار ما انا بقارىء اولاً على الامتناع وثانياً الاخبار بالنفى المحض وثالثاً الاستفهام

٧ - ضمني وعصريني حتى حبس نفسي

٨ - الموت من شدة الرعب أو المرض أو دوام المرض

٩ - للنفي والابعاد

١٠ - فيها إستحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه وكذلك من نزل به أمر إستحباب له أن يطلع

عليه من يثق بنصيحته وصحة رايه

١١ - شاب والجدع في الأصل الصغير من البهائم كانه تمنى ان يكون عند ظهور الاسلام شابا ليكون امكن لنصره

بِمَثَلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَفَهُ أَنْ تُؤْفِي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ^(١).

** بعث النبي ﷺ وعمره أربعون سنة تقريبا . وكان نزول الوحي يوم الاثنين ٢١ رمضان ليلا ١٠ / ٨ / ٦١٠ م . . . قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
روى الإمام مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟ قَالَ: «دَاك يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -»^(٢).

إنقطاع الوحي (فترة الوحي)

وإنقطع الوحي أياما ليذهب ما كان وحده النبي ﷺ من الروع وليحصل له التشوق .

في الصحيحين أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَاءِ جَالِسٍ عَلَيَّ كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرَعَيْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ } [المدثر: ٢] إِلَى قَوْلِهِ { وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ } [المدثر: ٥]. فَحَجِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ^(٣)

فكانت آيات سورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحي هذه الأيام وكان أول من علم بنبوته ورسالته زوجه خديجة رضی الله عنها فأمنت به وأسلمت لله رب العالمين .

أثر المرأة الصالحة في الدعوة :

كان موقف خديجة لما رجع إليها النبي ﷺ يدل على قوة قلبها حيث لم تفرع من سماع الخبر وإستقبلت الأمر بهدوء وسكينة . حيث قارنت بعقلها الذكي بين ما سمعت وواقع النبي ﷺ الذي هو عليه فأدركت أنه من كانت هذه صفاته (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّجْمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمِعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وتصدق الحديث) لا يمكن أن يخزيه الله أبدا .

** * الإشارة إلى ما يحدث الآن من التخذيل من بعض النساء لأزواجهن عند القيام بمهام الدعوة .

١ - أخرجه البخاري (٣)

٢ - أخرجه مسلم (٨١٩/٢، ١١٦٢)

٣ - أخرجه البخاري (٤) ومسلم (١٦١)

فعلى كل من إقترنت بداعية أن تعرف أن حياتها لا بد أن تختلف في كل شيء عن حياة نظرائها ولا بد أن تكون عضدا لزوجها .

في الصحيحين أن أبا هريرة، قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فأقرأ عليها السلام من ربها عز وجل، ومني، وبشرها ببنت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" (١) وفي رواية النسائي فقالت: «إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعلىك السلام، ورحمة الله وبركاته» (٢)

(قصب) اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف .. (الصخب) الصوت المختلط المرتفع ... (نصب) المشقة والتعب

قَالَ السُّهَيْلِيُّ مُنَاسَبَةٌ نَفِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ أَعْنِي الْمُنَازَعَةَ وَالتَّعَبَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا دَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَجَابَتْ خَدِيجَةُ طَوْعًا فَلَمْ تُحَوِّجْهُ إِلَى رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ وَلَا تَعَبٍ فِي ذَلِكَ بَلْ أزالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ وَأَنَسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَخْشَةٍ وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مَنزِلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفِعْلِهَا (٣)

قول ورقة (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي) : السنة تكذيب المرسلين . فلا بد من وضعها في الاعتبار وإذا كُذبت الرسل فأتباعهم أولى أن يكذبوا .

تنقسم أدوار الدعوة إلى أقسام بإعتبارات معينة :-

أولاً : الدور المكي ١٣ عاما

ثانياً : الدور المدني ١٠ سنوات

أولاً الدور المكي :

(الدعوة السرية ٣ سنوات – الدعوة الجهرية من السنة الرابعة حتى العاشرة – بعد العاشرة حتى الهجرة كانت الدعوة خارج مكة)

كانت الدعوة في هذه المرحلة في غاية السرية والكتمان لا يعلم بها أحد وكان النبي ﷺ بوحي من الله تعالى يتخير وينتقى من يكلمه لهذا الدين الجديد وهذا أمر من الصعوبة بمكان .

١- أخرجه البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢)

٢- أخرجه النسائي في الكبرى (٨٣٠١)

٣- فتح الباري (١٣٨/٧)

فأول من دعاه النبي ﷺ أبا بكر فأسلم وما تردد ثم قام نظرا لعلو منزلته في قومه وكان مألوفاً بينهم فبدأ يدعو من يتوسم فيهم . فدعا وإستجاب لدعوته (عثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف) وأسلم قبلهم على بن أبي طالب وزيد بن حارثة .

ومضت الدعوة في سرية وفردية تعتمد على الإصطفاء والإختيار للعناصر التي تصلح أن تتكون منها الجماعة المؤمنة التي يُعتمد عليها في بناء الأمة .

** التركيز على أهمية الدعوة الفردية .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري :- لا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين أما سرية الدعوة في عهد النبي ﷺ في أول البعثة؛ فلأن الرسول ﷺ وأصحابه- رضي الله عنهم- كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولا أن يؤذنوا، أو يصلوا، ولما قويت شوكتهم أمر الله رسوله بالجهر بالدعوة فجهروا بها، ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين) ولكن إذا توفرت الظروف المشابهة كان التأسي كذلك برسول الله ﷺ في هذه الفترة هو السبيل عملاً بقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٢١) الأحزاب . والذين يقيسون الأمور ويضبطونها بضوابطها الشرعية هم العلماء أهل الحل والعقد . ١ هـ

وكان التشريع في بداية الأمر مقصوراً على النطق بالشهادتين وقراءة القرآن والصلاة ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره .

قال ابن حجر : فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ^(١)

ومع هذه السرية التامة إلا أن خبر الدعوة وصل إلى قريش إجمالاً غير أنها لم تكتثر له .

وأثمرت هذه الفترة من الدعوة السرية على إسلام (نيفا وأربعين رجلاً وإمراًة) .

أكثر من إستجاب للدعوة من الضعفاء والموالى وهم أقرب الناس إجابة لدعوة الرسل لأنهم لا يصعب عليهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم . وأما الكبراء وأهل الجاه والسلطان فيمنعهم الكبر وحب الجاه والرفعة من الإقتياد غالباً .

روى الإمام مسلم قال عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنْتُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّمْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ، قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»^(١)

فترة الوحي : كانت أياما قليلة وبقى الرسول ﷺ في هذه الفترة كئيبا حزينا تعتربه الدهشة وكان إنقطاع الوحي أياما قليلة ليذهب ما كان وجده من الروع وليحصل له التشوق الى العود .

أما ما روى من أنه ﷺ هم أن ينتحر وذهب مرارا كى يتردى من شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل كى يلقى نفسه منه تبنى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع . فهذا وإن كان رواه البخارى فهو من بلاغات الزهري . (وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا، حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ) فالرواية من بلاغات الزهري فقط فهي لا تصح ولا تثبت .

الدعوة الجهرية :

أولا بداية الدعوة الجهرية :

في الصحيحين عن ابن عباس، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، (وفي رواية فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ أُرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ) فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»

١ - أخرجه مسلم (٨٣٢)

قَالُوا: مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ (١)

قال الحافظ : قَوْلُهُ أَرَأَيْتُمْ كَمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ كَمْ إِخْلَجَ أَرَادَ بِذَلِكَ تَقْرِيرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ إِذَا أَخْبَرَ عَنِ الْأَمْرِ الْغَائِبِ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ مَا أَعْلَمُ شَأْبًا مِنَ الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمُهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا جِئْتُمْ بِهِ إِلَيَّ قَدْ جِئْتُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٢)

ولم يزل هذا الصوت مرتج دويه في أرجاء مكة حتى نزل قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]... فقام ﷺ بذلك خير قيام .

وإنفجرت مكة بمشاعر الغضب وماجت بالغرابة والإستنكار حين سمعت صوتا يجهر بتضليل قريش وتسفيه عبادتهم .

ولما كانت هذه المرحلة هي بعينها أو قريبا منها ما تعيشه الدعوة في هذه الآونة في جل الارض . كيف السبيل إلى عز الإسلام والمسلمين ؟

حدث تباين بين وجهات النظر بين العاملين في حقل الدعوة .

** فمنهم من يزعم أنه لا بد من الوصول إلى الجاه والسلطان ودخول البرلمان للوصول إلى عز الإسلام والمسلمين .

** ومنهم من يزعم أنه لا بد من جمع المال والتحكم في الإقتصاد .

** ومنهم من يرى أن الانقلاب العسكرى والهيمنة بالقوة على مقاليد الأمور هو السبيل الأيسر إلى ذلك

** ومنهم من يقتصر على الدعوة لإصلاح فساد الناس فقط .

وبالنظر الدقيق لكل ما ذكر نجد أنه ليس هو الطريق إلى تحقيق الهدف المنشود . قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) . وقال الإمام مالك "لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوْهَا" .

مسالك أهل الضلال لصرف المسلمين عن دينهم

١- أخرجه البخاري (٤٧٧٠) (٤٩٧١) ومسلم (٢٠٨)

٢- فتح البارى (٥٠٣/٨)

وهذه المسالك سلكها المشركون وأعداء الإسلام على مدار العهد المكي (وهى بعينها نفس المسالك التى تسلك مع المسلمين فى كل زمان) وكلما فشلت محاولة لجئوا إلى الأخرى وفى نفس الوقت كان النبى ﷺ يقوم بالإعداد والتربية .

المسلك الأول الضغط على من له تأثير على المسلم :

من أهل وأصحاب أو ذوى قرابة .

أصل لا بد منه : قال تعالى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٥١]

وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: " يا بلال، فم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " (١)

لما جهر النبى ﷺ بدعوته كما أمره الله تعالى لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آهنتهم وعابها

فمشى وفد من قريش إلى أبي طالب من أشرفهم . فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهنتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال أبو طالب قولاً رقيقاً، ورد رداً جميلاً، فإنصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وإن لك شرفاً ومنزلة فينا، وإننا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهنتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فقال أبو طالب يا عقيل إنطلق فائتيني بمحمد - ﷺ، فإنطلقت إليه، فإستخرجته من خيس ، يقول بيت صغير، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشى فيه من شدة الحر فلما أتاهم عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ وخذلانه . فقال للنبى ﷺ: (إبق على نفسك وعلى، ولا تحملى من الأمر ما لا أطيق) إن بني عمك هؤلاء قد رعموا أنك تؤذيه فى ناديه ومسجدهم فانتبه عن أذاهم فحلق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بصره إلى السماء، فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: والله ما كذبت ابن أخي قط فأرجعوا»

١- أخرجه البخاري (٦٦٠٦) ومسلم (١١١)

روى الإمام مسلم عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَقْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلْ وَلَا تَشْرَبْ، (وفي رواية قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحَدْتُنِي؟ قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أُمُّكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَّنْتُ ثَلَاثًا حَتَّى عُشِيَّ عَلَيْهَا مِنَ الْجُهْدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عَمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، (وفي رواية فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعَمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصَا، ثُمَّ أَوْجَرُوهَا) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي { وَفِيهَا { وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } [لقمان: ١٥] قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ يَا أُمَّةُ: تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِائَةٌ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتِ، فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، أَكَلَتْ (١)

وكان اسمها حمنة بنت سفيان بن أمية .

(شجروها فاهها بعصا ثم أوجروها) أي فتحوه ثم صبوا فيه الطعام وإنما شجروه بالعصا لئلا تطبقه فيمتنع وصول الطعام جوفها.

خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنه -:

كان إسلام خالد قديمًا، لرؤيا رآها عند أول ظهور النبي ﷺ، إذ رأى كأنه وقف على شفير النار، وهناك من يدفعه فيها، والرسول يلتزمه لئلا يقع، ففرغ من نومه، معتقدًا أن هذه الرؤيا حق، فقصها على أبي بكر الصديق، فقال له: أريد بك خيرًا هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، فذهب إليه فأسلم، وأخفى إسلامه خوفًا من أبيه، لكن أباه علم لما رأى كثرة تغيبه عنه، فبعث إخوته الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد في طلبه، فجيء به، فأنبه وضربه بمقرعة أو عصا كانت في يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه بمكة، ومنع إخوته من الكلام معه، وحذرهم من عمله، ثم ضيق عليه الخناق فأجاعه، وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر محتسب، ثم قال له أبوه: والله لأمنعك القوت، فقال خالد: إن منعني فإن الله يرزقني ما أعيش به،

العلاج لهذا المسلك :- النظر العميق على نوعية الضغط ومدى تأثيره على الشخص وهل ستغير مما قدره الله تعالى للعبد .

المسلك الثاني الإيذاء والتعذيب بكل الوسائل :-

روى الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد بسند صحيح عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْدَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِإِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ دُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِنْطُ بِلَالٍ»^(١)

فهذه سمة أهل الكفر والإلحاد والطغيان عند العجز عن المواجهة الفكرية يلجئون إلى الوحشية والهمجية . قال تعالى ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢: العنكبوت]

صور من الإيذاء :

في الصحيحين عن عمرو بن ميمون، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى^(٢) حَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى^(٣) الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَتَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُعْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَحَجَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُجِيلُ^(٤) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِفُرَيْشٍ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَحَابَّةٌ، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْنِكَ بِعُبَيْةِ بْنِ رَيْعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَيْعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَخْفَظْ -، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَعى، فِي الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ^(٥)

روى البخارى عن عمرو بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي ﷺ، قال: «بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبه بن أبي معيط، فوضع ثوبه في

١- أخرجه أحمد (١٤٠٥٥) إسناده صحيح على شرط مسلم، والترمذى (٢٤٧٢) وصححه الألباني

٢- الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم وهي كالمشيمة بالنسبة للآدمي

٣- أكثرهم حبثا وهو عقبه بن أبي معيط.

٤- ينسب كل منهم الفعل للآخر تحكما. وفي رواية (بمائل) أي من كثرة الضحك

٥- أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤)

عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر: ٢٨] (١)

روى أبو نعيم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن أبا مُعَيْطٍ كان يجلس مع النبي - ﷺ - بمكة لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً، وكان بقبيلة قريش إذا جلسوا آذوه، وكان لأبي مُعَيْطٍ خليلٌ غائبٌ عنه بالشام، فقالت قريش: صَبَأُ أَبُو مُعَيْطٍ. وقديم خليله من الشام ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل محمدٌ مما كان عليه؟ فقالت: أشدُّ مما كان أمراً. فقال: ما فعل خليلي أبو مُعَيْطٍ؟ فقالت: صَبَأٌ. فبات بلبلةٍ سوءٍ، فلما أصبح أتاه أبو مُعَيْطٍ فحياها، فلم يرُدَّ عليه التحية، فقال: ما لك لا ترُدُّ علي تحيتي؟ فقال: كيف أرُدُّ عليك تحيتك وقد صَبَوْتَ؟ قال: أَوْ قَدْ فَعَلْتَهَا قريش؟ قال؟ نعم. قال: فما يُبرئُ صدورهم إن أنا فعلتُ؟ قال: تأتيه في مجلسه فتبزُقُ في وجهه، وتشتمُه بأخبث ما تعلم من الشتم. ففعل، فلم يزد النبي - ﷺ - على أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: "إِنْ وَجَدْتِكَ خَارِجًا مِنْ جَبَالِ مَكَّةِ أَضْرِبُ عُنُقَكَ صَبْرًا". فلما كان يومُ بدرٍ وخرَجَ أصحابُه، أبا أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عُنُقِي صَبْرًا فقالوا: لك جملٌ أحمرٌ لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرقت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين، وحل به جملة في جددٍ من الأرض، فأخذه رسولُ الله - ﷺ - - أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو مُعَيْطٍ، فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال: "نعم، بما بزقت في وجهي"، فأنزل الله في أبي مُعَيْطٍ: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}، هو، إلى قوله: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] (٢)

** هنا إشارة إلى إمهال الله عزوجل للمشركين حتى تمكنوا من إيصال الإيذاء إلى النبي ﷺ ليكون لنا فيه الأسوة والقدوة ومهما يحدث للمسلم حسبه أنه في سبيل الله فليصبر نفسه بما حدث للنبي ﷺ . فالله عزوجل قادر على منعهم من الإيذاء ولكنها السنن .

بلال بن رباح :

رجل هانت عليه نفسه فبذلها لله (كَانَ أُمِّيَّةً بِنُ خَلْفٍ يُجْرِيهِ إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيُتَوَضَّعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا وَاللَّهِ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. فَيَقُولُ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ: أَحَدًا أَحَدًا.)

١- أخرجه البخاري (٣٨٥٦) باب ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ

٢- أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٠/٦) بسند صحيح

روى البخارى عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُخْرِزُهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ^(١)، فَأَبْصَرُهُ بِلَالٍ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ: لَا بَجُوتُ إِنْ بَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيْقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا حَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَّبِعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا، قُلْتُ لَهُ: «ابْرِكْ» فَبَرِكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ^(٢)

خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ :

كان قينا بمكة وكان من المستضعفين الذين عُذِّبوا بمكة لكي يرتد عن دينه وكان مولى لإمراة من قريش هي أم أثمار الخزاعية . كانوا يجمون الحديد حتى يحمر ثم يضعونه على الأرض ويُطرح عليه خباب بظهره ثم يوضع فوق ظهره الحجر حتى لا يستطيع النهوض فيطفيء الحديد بجلده وشحمه وبلحمه وعظمه .

روى البخارى أن خَبَابًا، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لِيَمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَيَشْقَى بِأَنْتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، زَادَ بَيَانًا: «وَالذُّئْبُ عَلَى عَنَمِهِ»^(٣)

فعلى المسلم التمسك بدينه والدعوة إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويتقيد بضوابط الشريعة ويوطن نفسه على الصبر على البلاء والإيذاء .. وليس معنى ذلك أن يتمنى العبد البلاء .

في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٤)

روى الترمذى عن حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ»^(٥)

١- أى رقدوا وأراد بذلك إغتنام غفلتهم ليهون دمه

٢- أخرجه البخاري (٢٣٠١) بَابُ إِذَا وَكَّلَ الْمُسْلِمُ حَرْبِيًّا فِي دَارِ الْحَرْبِ، أَوْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ حَارَ

٣- أخرجه البخاري (٣٨٥٢) بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ

٤- أخرجه البخاري (٢٩٦٥) ومسلم (١٧٤٢)

٥- أخرجه الترمذى (٢٢٥٤) وصححه الألباني

المسلك الثالث الإغراء بالمناصب والمال :

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

نزلت فيمن كانوا يُطعمون جيش مكة يوم بدر وكانوا إثني عشر رجلا منهم أبو جهل وعتبة وشيبة . وقالوا نزلت في أصحاب العير وذلك لما أصيبت قريش يوم بدر ذهب صفوان وعكرمة وغيرهم فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا إن محمدا (ﷺ) قد وترككم وقتل رجالكم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بمن أصيب منا ففعلوا .

وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنها نزلت في أبي سفيان إستاجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم النبي (ﷺ)^(١)

(فسيففونها) أى سيقع منهم الإنفاق ثم يكون عليهم حسرة لأنها لم تحقق هدفهم المنشود ثم يُغلبون) كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) .. (ثم) تدل على التراخي للدلالة على إستمرارية الصراع بين الحق والباطل . (ثم) للتراخي فى الوصفين :- إما فى الزمان لما بين الإنفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الإمتداد .. وإما التراخي فى الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة

روى محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب أن عُبَيْةَ بِنَ رَبِيعَةَ - وَكَانَ سَيِّدًا - قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ، وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا، فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكْفَى عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْرَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ؛ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَمِ إِلَيْهِ، فَكَلَّمَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُبَيْةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السَّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَنْيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، فَرَفَّتْ بِهِ جَمَاعَتُهُمْ، وَسَقَّهَتْ بِهِ أَحْلَامُهُمْ، وَعَبَّتْ بِهِ أَلْهَتُهُمْ وَدِينَهُمْ، وَكَفَّرَتْ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا بَنَ أَخِي إِنْ كُنْتُ إِتْمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا، حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَانَا عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نَبْرِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رَمَا غَلَبَ التَّابِعَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ عُبَيْةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ -

١- أخرجه الطبري في التفسير (١٣/٥٣٠)

ﷺ - يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمِعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَقَالُوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ. فصلت: ١ - ٥. ثم مضى رسول الله - ﷺ - فِيهَا يَقْرُوهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا، يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَلِكَ. فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَخْلِفُ بِاللَّهِ: لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسَّحْرِ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، فَاعْتزلوه، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِيبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ، فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزَّةُ عِزَّتِكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ (١)

*** فيه أدب الاستماع مهما كان المتكلم (قل يا أبا الوليد)

*** لم يدخل النبي ﷺ مع عتبة في نقاش حول العروض المغربية التي تقدم بها عتبة ممثلاً لقريش لأنها أسقط وأذل من أن يناقشها رسول الله ﷺ وذلك إمتثالاً لقوله تعالى (فإصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) ولكن النبي ﷺ إستمع منه من باب الأدب في الحوار وسعة الصدر حتى يجبر عتبة أن يستمع منه فأسمعه النبي ﷺ

*** الدخول في مناقشات وتفصيلات للعروض المقدمة يساوى المداهنة والتنازلات .

روى الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح من حديثي مُحَمَّدِ بْنِ لَيْبِدٍ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُحْيِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُجِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» (٢)

١ - أخرجه ابن اسحاق في السير (٢٠٧/١) والبيهقي في الدلائل (٢٠٤/٢)

٢ - أخرجه أحمد (٢٣٦٢١) بإسناد جيد ، والحاكم (٢٣١/٤) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب

**خطورة ما عرضه عتبة (الملك - الرئاسة - المال - النساء) قال تعالى ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [١٤: آل عمران]

*** حدث هذا أمام مرأى ومسمع جمع غفير من الصحابة فتربوا على ذلك

*** لم يعلق النبي ﷺ ولم يرد على الإتهامات التي وجهتها له قريش في شخص عتبة (إن في قريش لساحر - إن في قريش لكاهن - ما رأينا سخلة أشأم على قومه منك - إن كان بك رثيا من الجن) لأنها من عوارها ومن كذبها ومن بُعدها أذل وأحقر أن يُرد عليها

في الصحيحين في قصة كعب بن مالك قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِي مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاعَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلمَ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُؤَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التُّنُورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا^(١)

***** بعض النصوص الشرعية الناهية عن طلب الولاية أو الرياسة :-

في الصحيحين عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»^(٢)

روى مسلم قَالَ أَبُو مُوسَى: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِيَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى؟» أَوْ «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطَّلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفْتِهِ، وَقَدْ قَلَصْتُ، فَقَالَ: «لَنْ، أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى»، أَوْ «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ»، فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ^(٣)

١- أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)

٢- أخرجه البخاري (٧١٤٦) ومسلم (١٦٥٢)

٣- أخرجه مسلم (١٤٥٦) بَابُ التَّهْيِي عَنْ طَلَبِ الْإِمَارَةِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا

وروى ايضا عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» وفي رواية قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى أَنْفِي، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»

قال النووي هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُضَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ^(١)

روى الإمام أحمد وغيره عن أبي موسى الأشعري قَالَ: قَدِمَ رَجُلَانِ مَعِيَ مِنْ قَوْمِي قَالَ: فَأَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَخَطَبَا، وَتَكَلَّمَا، فَجَعَلَا يُعَرِّضَانِ بِالْعَمَلِ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَنَكُمْ عِنْدِي مَنْ يَطْلُبُهُ، فَعَلَيْكُمْمَا بِنَفْسِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَمَا اسْتَعَانَ بِمَا عَلَى شَيْءٍ^(٢)

روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعَمَ الْمَرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ»^(٣)

قال الحافظ: قَوْلُهُ عَلَى الْإِمَارَةِ يَدْخُلُ فِيهِ الْإِمَارَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ الْخِلَافَةُ وَالصُّغْرَى وَهِيَ الْوَلَايَةُ عَلَى بَعْضِ الْأِبْلَادِ .. وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَي لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فِيهَا بِمَا يَنْبَغِي^(٤)

(فنعمة المرضعة وبئست الفاطمة) قال الداوودي نعم المرضعة في الدنيا وبئست الفاطمة اي بعد الموت لانه يصير الى المحاسبة على ذلك .

روى الطبراني وغيره بسند صحيح عن عوف بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ»، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «أَوْلَاهَا مَلَامَةٌ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وَثَالِثُهَا عَدَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ عَدَلَ»^(٥)

المسلك الرابع التهديد بقطع الأرزاق والتضييق في المعيشة :

وهذا المسلك يسلكه أهل الضلال في كل وقت وفي كل مصر يلجأون إليه بعد أن تعجزهم الحيل فيهددون الشباب بالفصل من العمل

١- شرح النووي على مسلم (٢١٠ / ١٢)

٢- أخرجه أحمد (١٩٥٠٨) والنسائي في الكبرى (٥٨٩٩) وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٦٤٢)

٣- أخرجه البخاري (٧١٤٨) بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْإِمَارَةِ

٤- فتح الباري (١٣ / ١٢٥)

٥- أخرجه الطبراني (٧١ / ١٨) قال الهيثمي : رجاله رجال الصَّحِيح.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر، وهو يمئى: «نحى نازلون غدا يحيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر»^(١)

قال الحافظ : يعنى ذلك المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة، تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب، أو بني المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ^(٢)

قال أهل السير والمغازى : إجتمع مشركوا مكة في خيف بنى كنانة من وادى المحصب فتحالفوا على بنى هاشم أن لا يناكحوهم و لا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ لقتل وكتبوا بمكرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق أن لا يقبلوا من بنى هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافةً ولا رحمةً ولا هوادهً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل (وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - قال ابن هشام: ويُقال التضرب بن الحارث - فدعا عليه رسول الله ﷺ فشال بعض أصابعه^(٣)

تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة فى جوف الكعبة فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بنى هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش، فظاهروهم. وحبسوا فى شعب أبى طالب وذلك فى ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وإشدد الحصار وقطعت عنهم المياه فلم يترك المشركون طعاما يدخل مكة إلا بادروا إليه فاشتروه بأعلى الأسعار حتى لجئوا إلى أكل الأوراق والجلود وكان يُسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع وكان لا يصل إليهم شيئاً إلا سرا وكانوا لا يخرجون من الشعب لإشتراء الحوائج إلا فى الأشهر الحرم وكان أهل مكة يزيدون عليهم فى السلعة قيمتها حتى لا يستطيعون شراءها .

فى الصحيحين عن أبى هريرة ان النبي ﷺ أمر بلالاً فنأدى بالناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٤) قال تعالى (والله غالب على أمره)

إستمر الحال على ما ذكر لمدة ثلاثة أعوام متتالية وحدث ما يلى :

١- أخرجه البخاري (١٥٩٠) ومسلم (١٣١٤)

٢- فتح البارى (٤٥٣/٣)

٣- دلائل النبوة لأبو بنعيم (٢٧٢/١، ٢٠٥)

٤- أخرجه البخاري (٦٦٠٦) ومسلم (١١١)

تَمَّ إِنَّهُ قَامَ فِي نَفْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَاتَبَتْ فِيهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَعَلَى بَنِي الْمُطَّلِبِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ
وَمَ يُبْلِ فِيهَا أَحْسَنُ مِنْ بَلَاءِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خُثَيْلِ بْنِ عَامِرِ
بْنِ لُؤَيٍّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ أُخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نَضْلَةَ وَعَمْرٍو
أَخَوَيْنِ لِأُمِّ فَكَانَ هِشَامٌ لِبَنِي هَاشِمٍ وَاصِلًا وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ وَكَانَ فِيمَا بَلَغَنِي يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَ
طَعَامًا وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فِي الشَّعْبِ لَيْلًا حَتَّى إِذَا أَقْبَلَهُ فَمِ الشَّعْبِ خَلَعَ حِطَامَهُ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ
ضَرَبَ عَلَى جَنْبِهِ فَدَخَلَ الشَّعْبَ عَلَيْهِمْ فَيَأْتِي بِهِ قَدْ أَوْقَرَ بِرَا فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ
بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْرُومٍ، فَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ:
يَا زُهَيْرُ قَدْ رَضِيَتْ بِأَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ وَأَخْوَالَكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ لَا يُبَاعُونَ
وَلَا يُبْتَاغُ مِنْهُمْ وَلَا يُنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ؟ أَمَا إِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ أَحْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ثُمَّ
دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا قَالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ
وَاحِدٌ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرَ لَقُمْتُ فِي نَفْضِهَا حَتَّى أَنْفُضَهَا قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا قَالَ: مَنْ هُوَ؟
قَالَ: أَنَا قَالَ زُهَيْرٌ: ابْعِنَا ثَالِثًا فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ فَقَالَ لَهُ: يَا مُطْعِمُ
أَقَدْ رَضِيَتْ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافِ وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ مُوَفِّقٌ لِقُرَيْشٍ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ
أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدَنَّاهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا قَالَ: وَيْحَكَ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ قَالَ: قَدْ
وَجَدْتُ ثَانِيًا قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا قَالَ: ابْعِنَا ثَالِثًا قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ
قَالَ: ابْعِنَا رَابِعًا قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبُخَيْرِيِّ بْنِ هِشَامٍ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: هَلْ
مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَيَّ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَنَا قَالَ:
ابْعِنَا خَامِسًا قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ فَكَلَّمَهُ وَذَكَرَ
لَهُ قَرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ قَالَ: فَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ
فَاتَّعَدُوا حَطَمَ الْحُجُونِ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ فَاجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ وَتَعَاهَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ
حَتَّى يَنْفُضُوهَا وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبَدُوكُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فَلَمَّا أَصْبَحُوا عَدَدُوا إِلَى أُنْدِيَّتِهِمْ وَعَدَا زُهَيْرُ
بُنْ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَنَا أَكُلُ الطَّعَامَ
وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاغُ مِنْهُمْ؟ وَاللَّهِ لَا أَفْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ
الظَّالِمَةُ الْقَاطِعَةُ قَالَ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ قَالَ زَمْعَةُ: أَنْتَ وَاللَّهِ
أَكْذَبُ مَا رَضِينَا حِينَ كُتِبَتْ قَالَ أَبُو الْبُخَيْرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ لَا تَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا وَلَا تُقْرَأُ بِهِ قَالَ
الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ نَبْرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا كُتِبَ فِيهَا قَالَ هِشَامُ بْنُ
عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ تُشَوُّورَ فِيهِ بَغَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ وَأَبُو طَالِبٍ فِي
نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ أَمَا جَاءَهُمْ لَانَ اللَّهُ قَدْ اطَّلَعَ رَسُولُهُ عَلَى أَمْرِ صَحِيفَتِهِمْ، وَأَنَّهُ سَلَطَ عَلَيْهَا الْأَرْضَةَ،
فَأَكَلَتْ مَا فِيهَا مِنْ قَطِيعَةٍ وَظَلَمَ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَمَّهُ، فَخَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ،

وقال: إن كانَ كاذِبًا خَلَيْتَنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا رَجَعْتُمْ. قالوا: أنصفت. فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم». وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله^(١)...

تم نقض الصحيفة فخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب وقد رأى المشركون آية عظيمة من آيات النبوة.

عقيدة المؤمن في مسألة الرزق :

في الصحيحين عن عبد الله، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " ^(٢)

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ فَرَّ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ لَأَذْرَكَهُ كَمَا يُذْرِكُهُ الْمَوْتُ» ^(٣).

وروى أيضا عن عبد الله بن الحسن بن علي، عن أبيه، قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَطْلُبُهُ رِزْقُهُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ، فَإِنْ تَعَسَّرَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنْهُ فَاطْلُبُوهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٤)

روى أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن أبي أمامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» ^(٥)

إن الله عزوجل وعد الأرزاق وضمن وغيب الأوقات فالله تعالى أعلم الخلق أنه رازقهم وحلف لهم على ذلك وغيب عنهم أوقات العطاء ..

١- دلائل النبوة لأبو بنعيم (١/٢٧٢، ٢٠٥) والسيره لابن هشام (١/٣٧٥)

٢- أخرجه البخاري (٣٣٣٢) ومسلم (٢٦٤٣)

٣- أخرجه الطبراني (٦١١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٠٤)

٤- أخرجه الطبراني (٢٧٣٧) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٠٥٥)

٥- أخرجه أبو نعيم (١٠/٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠٨٥)

قال تعالى ﴿ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال تعالى ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَثَلٍ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢: ٢٣]

قال تعالى ﴿ وَكَأَيُّنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

كأين أصلها أى دخلت عليها كان للتشبيه . والمعنى وكم من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخره وإنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم فكيف لا يتوكلون على الله تعالى مع قوتهم وقدرتهم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها .

في كتاب التوابين لابن قدامة (ص: ١٣٣) [توبة عكبر الكردي] قرأت في "الملتقط" عن بشر بن الحارث الحافي أنه قال: اعترضت عكبر الكردي فقلت له: أيش كان أصل رجوعك إلى الله تعالى؟ فقال: كنت في بعض الدحال أقطع الطريق وكان فيها ثلاث نخلات نخلة منهن لا تحمل وإذا بعصفور يأخذ من حمل النخلة التي تحمل رطبة فيدعها في التي لا تحمل. فلم أزل أعد عليه عشر مرار فخطر بقلبي: قم وانظر! فنهضت فإذا في رأس النخلة حية عمياء - يعني وهو يضع الرطبات في فيها. فبكيت وقلت: سيدي! هذه حية قد أمر نبيك بقتلها أعميتها وأقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك أقر بأنك واحد رزاق^(١)

المسلك الخامس المطالبه بالمعجزات لإثبات النبوة وتحديدهم للنبي ﷺ :

أولا : تعريف المعجزة : المعجزة واحد معجزات وهى أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد أنبيائه تأييدا لهم . وتكون خارقة للعادة في كل زمان .

شروط المعجزة :

- ١- أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كفلق البحر وإنشقاق القمر .
- ٢- أن تخرق العادة بمعنى أن يأتى مدعيها بأشياء ليست على العادة مثل أن ينشق الحجر فتخرج منه ناقة - فلو قال قائل معجزتى أن تطلع الشمس من مشرقها أو يكمل القمر ليلة ١٤ - فليس هذا إعجاز لأن العادة كذلك .
- ٣- أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله عزوجل فيقول آيتى أن يقلب الله تعالى هذا الماء زيتا أو يحرك الأرض عند قولى لها تزلزلى فإن فعل ذلك حصل المتحدى به

١- التوابين لابن قدامة (١/ ١٣٤)

٤- أن تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة وإنما أشرت بهذا الشرط لأنه لو قال مدعى الرسالة أنه نبي وحقى أن تنطق هذه الدابة وتشهد برسالتى فأنطقها الله تعالى وقالت هو كذاب . قال مسيلمة الكذاب آية نبوتى أن أتفل فى هذا البئر فيكثر ماؤه فتفل فغارت ماؤه .

٥- ألا ياتى أحد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة ..

فمعجزات الأنبياء مختصة بهم ليست مما يكون لغيرهم ولم يخلق الله مثلها لغير الأنبياء - كنع الماء من بين أصابع النبي ﷺ وغيرها .

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار، وأبا البخترى أبا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهة ومنبهة ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى ترضوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً، يحبّ رشدهم ويعزّز عليه عنّتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الألهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر فيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فإنا سؤدناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا .

فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمري أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» أو كما قال رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلادا، ولا أقل مالا، ولا أشد عيشا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وييسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم فصي بن كلاب، فإنه كان شيعا صدوقا، فسنألهم عما تقول، حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدفوك صدفتك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحق رسولا، كما فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما بهذا بعثت، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حِطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَاسْأَلْهُ فَلْيَجْعَلَ لَكَ جَنَانًا وَكُنُوزًا وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَيُعِينِكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حِطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قَالُوا: فَاسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلْ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ فَعَلْ بِكُمْ ذَلِكَ»

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ هُوَ لِعَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا، لِيَعْرِفُوا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجِّلَ مَا تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَوَاللَّهِ لَا أَوْمِنُ لَكَ أَبَدًا، حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّمًا تَرْقَى فِيهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَتَأْتِي مَعَكَ بِنُسُخَةٍ مَنُشُورَةٍ مَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَطَنَنْتُ إِلَّا أَصَدَّقَكَ، ثُمَّ انصَرَفَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١)

قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ حِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [٩٠ : ٩٣ : الإسراء]

روى الإمام أحمد عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحى الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلکوا كما أهلکت من قبلهم، قال: «لا، بل أستأني بهم» فأنزل الله عز وجل هذه الآية: { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً } [الإسراء: ٥٩]^(٢)

١- أخرجه الطبري في التفسير (٨٧/١٥)

٢- أخرجه أحمد (٢٣٣٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال ابن كثير : { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ } أَي: نَبَعَثُ الْآيَاتِ وَنَأْتِي بِهَا عَلَى مَا سَأَلَ قَوْمَكَ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَهَّلَ عَلَيْنَا يَسِيرٌ لَدَيْنَا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ بَعْدَمَا سَأَلُوهَا، وَجَرَتْ سُنَّتَنَا فِيهِمْ وَفِي أُمَّتَاهِمُ أَتَّهُمْ لَا يُؤَخَّرُونَ إِذَا كَذَّبُوا بِهَا بَعْدَ نُزُولِهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } [المائدة: ١١٥] ^(١)

في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا» ^(٢) هذا الحديث من مراسيل الصحابة لانسا لم يدرك ذلك

روى الترمذى بسند صحيح عن ابن مسعود قال: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ إِذْ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَلَقَّتَيْنِ: فَلَقَّةٌ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ، وَفَلَقَّةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا» - يَعْنِي - { افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [القمر: ١] ^(٣)

قَالَ الْخَطَّابِيُّ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ ^(٤)

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ إِذْ انْفَلَقَ الْقَمَرُ فَلَاقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فَلَاقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفَلَاقَةً دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا» ^(٥)

قال الحافظ: وقول ابن مسعود لا يعارض قول أنس أن ذلك كان بمكة لأنه لم يصرح بأن النبي ﷺ كان ليلتئذ بمكة وعلى تقدير تصريحه فهي من جملة مكة فلا تعارض (ويحمل قول أنس بمكة أى قبل الهجرة) ^(٦)

روى البيهقي وغيره عن ابن مسعود، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَكُمُ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ انظُرُوا السُّقَّارَ فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمُ بِهِ، قَالَ: فَسُئِلَ السُّقَّارُ وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَقَالُوا: رَأَيْنَا ^(٧)

١- تفسير ابن كثير (٨٣/٥)

٢- أخرجه البخاري (٣٨٦٨) ومسلم (٢٨٠٢)

٣- أخرجه الترمذي (٣٢٨٥) وصححه الألباني

٤- فتح الباري (١٨٥/٧)

٥- أخرجه مسلم (٢٨٠٠) باب انشقاق القمر

٦- فتح الباري (١٨٣/٧)

٧- أخرجه البيهقي في الاعتقاد (٢٦٩/١) بسند صحيح

ووقع في الروايات عند الحاكم «رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقًّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ، شَقَّةٌ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ، وَشَقَّةٌ عَلَى السُّوَيْدَاءِ»^(١)

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية إنه أُرِّحَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْهِنْدِ، وَبُنِيَ بِنَاءٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأُرِّحَ بِلَيْلَةَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ^(٢)

وليس هناك تعارض بين معجزة إنشقاق القمر واية الإسراء (وما منعنا أن نرسل بالآيات) وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فإراهم إنشقاق القمر فهم لم يطلبوا آية بعينها ثم أوتوها ولم يؤمنوا وتركهم الله تعالى .

المسلك السادس تشويه الإسلام والدعوة :

من مسالك أهل الضلال لصرف المسلمين عن دينهم التشويه للإسلام والمسلمين وذلك لهدفين :

١- زعزعة المسلمين عن دينهم إما بترك ما تم تشويهه وإما بترك الدين كلية .

٢- الحيلولة بين الإسلام وبين أن يدخل إليه أحد من خارجه .

وسلكوا لتحقيق هذا الهدف عدة مسالك .

١- الطعن في شخص النبي ﷺ ٢- الطعن في الصحابة

٣- الطعن في تعاليم الإسلام ٤- الربط بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين .

أولا الطعن في شخص النبي ﷺ :

١- إصااق التهم : قال ابن اسحاق إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تحتلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به؛ قال: بل أنتم

١- أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٥٧) وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

٢- البداية والنهاية (٤ / ٢٩٩)

فَقُولُوا أَسْمَعُ؛ قَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ؛ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُفَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْرَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ؛ قَالُوا: فَتَقُولُ: مَجْنُونٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَا، فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ، وَلَا تَخَالُجِهِ، وَلَا وَسْوَاسِيَّتِهِ؛ قَالُوا: فَتَقُولُ: شَاعِرٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ رَجْزَهُ، وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشَّعْرَةِ قَالُوا: فَتَقُولُ: سَاحِرٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحَّارَ وَسَحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِبَنْفُثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ قَالُوا؛ فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؛ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لِحَالَةً وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَدْقٍ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لِحَنَاتٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ لَعَدَقٌ - وَمَا أَنْتُمْ بِبِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ؛ لِأَنَّ تَقُولُوا سَاحِرٌ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يَفْرَقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ. فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسَبِيلِ النَّاسِ حِينَ قَدَمُوا الْمَوْسِمَ، وَلَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَدَرُوهُ إِيَّاهُ، وَدَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: { دَرَبِي وَمَنْ حَلَمْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَيْنَ شُهُودًا، وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } [المدثر: ١١-١٦] ^(١)

يُلاحظ فيما سبق الآتي :

١- إختيار الوقت المناسب وهو إجتماع الناس للحج ٢- الإتفاق على قول واحد وعدم التناقض .

وقد أثرت هذه الإتهامات الباطلة وهذه الدعوى الماثونة في بعض الرجال فعن ابن عباس قال: قَدِمَ ضِمَادٌ مَكَّةً، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ وَكَانَ يَزْفِي مِنْ هَذِهِ الرِّيَاحِ، فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ سَفَهَاءِ النَّاسِ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: آتَى هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَهُ عَلَى يَدِي قَالَ: فَلَقِيْتُ مُحَمَّدًا، فَقُلْتُ: إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيَاحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مِنْ شَاءَ فَهَلُمَّ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَهَلُمَّ يَدَكَ أَبَايَعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: «وَعَلَى قَوْمِكَ؟» فَقَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.

ثانيا الطعن في الصحابة :

سنة الله الكونية أن أتباع الرسل من ضعفاء الناس ومساكينهم

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٢٤٤)

روى البخارى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقُلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتُ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ اتَّبَاعُ الرَّسُولِ (١)

قال تعالى ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

قال ابن كثير: هَذَا اعْتِرَاضُ الْكَافِرِينَ عَلَى نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتَّبَاعِهِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ (٢)

(بادی الرأى) أى ظاهر الرأى لا عمق عنده فى التفكير والتصور للأشياء .

روى الإمام مسلم عن سعدٍ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٣)

ما ورد على لسان سعد من هم النبي ﷺ بالاستجابة لا حجة فيه فقد أخبر حسب ظنه وأخبر عن أمر لا يعلمه إلا الله .

وما يحدث الآن من طعن فى الصحابة ليس منا ببعيد .

ثالثا : الطعن فى الإسلام ذاته (تعاليمه - أوامره - نواهيه) : وهذا ما حدث من فريش مع الطفيل

قال ابن اسحاق وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ، يَبْدُلُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّجَاةِ بِمَا هُمْ فِيهِ. وَجَعَلَتْ فُرَيْشٌ، حِينَ مَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، يُحَدِّثُونَ النَّاسَ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ. وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ فُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، فَقَالُوا لَهُ: يَا طُّفَيْلُ، إِنَّكَ قَدِمْتَ بِأَدْنَا، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ

١- أخرجه البخاري (٢٩٤٠)

٢- تفسير ابن كثير (٢٧٤/٤)

٣- أخرجه مسلم (١٨٧٨/٤، ٢٤١٣)

الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَحِبِّهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَإِنَّا نَحْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلِّمَنَّهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلِّمَهُ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنِي حِينَ عَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ: فَعَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ. قَالَ: فُقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا. قَالَ: فُقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاتَّكَلْتُ أُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَيْبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ! فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَنًا قَبْلْتُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ. قَالَ: فَمَكَثْتُ حَتَّى انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فُقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالُوا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي بِكُرْسُفٍ لِيَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فَأَعْرَضَ عَلَيَّ أَمْرَكَ. قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً. قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِشَيْبَةٍ تَطْلُعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنِي مِثْلَ الْمِصْبَاحِ، فُقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي عَيْبِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى، أَنْ يَطْنُوا أَنَّهَا مِثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِغِرَاقِي دِينَهُمْ. قَالَ: فَتَحَوَّلَ فَوْقَ فِي رَأْسِ سَوْطِي. قَالَ: فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءُونَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَهْبُطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّيْبَةِ، قَالَ: حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَالَ: فُقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَ: وَلَمْ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: فُقُلْتُ: أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: فُقُلْتُ: فَادْهَبْ فَاعْتَسِلْ وَطَهَّرْ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا عَلَّمْتُ. قَالَ: فَادْهَبْ فَاعْتَسِلْ، وَطَهَّرْ ثِيَابَهُ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ. (قَالَ): ثُمَّ أَتَيْتِي صَاحِبَتِي، فُقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَتْ: لِمَ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: (قُلْتُ: قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامَ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: فُقُلْتُ: فَادْهَبِي إِلَى حِنَا ذِي الشَّرَى - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: حَمَى ذِي الشَّرَى - فَتَطَهَّرِي مِنْهُ. (قَالَ): وَكَانَ ذُو الشَّرَى صَنَمًا لِذَوْسٍ، وَكَانَ الْحِمَى حَمَى حَمُوهُ لَهُ، (وَ) بِهِ وَشَلٌّ مِنْ مَاءٍ يَهْبُطُ مِنْ جَبَلٍ. قَالَ: فُقُلْتُ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَتَخْشَى عَلَى الصَّيْبَةِ مِنْ ذِي الشَّرَى شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: لَا، أَنَا ضَامِنٌ لِذَلِكَ، فَذَهَبْتُ فَاعْتَسَلْتُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَتْ. ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَلُوا عَلَيَّ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فُقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ عَلَبَنِي عَلَى دَوْسِ الزَّنَا، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْتُقِ بِهِمْ. قَالَ: فَلَمَّ أَرَلُ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْحَنْدُقَ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنَ

قَوْمِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ، حَتَّى نَزَلَتْ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دُوسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ، فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ..... القصة (١)

أيضا من صور الطعن في الإسلام :- وضع الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ مثال قصة شرب بول النبي ﷺ .

وهي في السلسلة الضعيفة ١١٨٢ - " صحة يا أم يوسف! قاله لما شربت بوله " ضعيف

قال في " المواهب اللدنية " : وعن ابن جريج قال: أخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره، فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها: بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: أين البول الذي كان في القدح؟ قالت: شربته، قال: صحة يا أم يوسف! فما مرضت قط حتى كان مرضها الذيمات فيه (٢)

المسلك السابع إثارة الشبهات:

الشبهة : مشاهجة الحق بالباطل ومشاهجة الباطل للحق من وجه إذا حُقق فيه النظر ذهب .

** إن الحماس للحق لا يغني غناء الفقه ** الجرأة في التبليغ لا تسد مسد الفهم

** الصبر على الأذى لا يقوم مقام العلم .

قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]

*** الصراع بين الحق والباطل له ميدانان :

١- ميدان النفس البشرية ٢- الصراع عبر المجتمع

فإنسان حين يكون خيرا لا يعنى أن عناصر الشر زالت منه بالكلية بل النفس الأمارة موجودة وكيد الشيطان موجود ولذلك المنحرف لا يعنى أنه أصبح شيطانا فقد يستقيم .

١- أخرجه ابن هشام في السيره (١/ ٣٨٢) وأبو نعيم في الدلائل (١٩١)

٢- المواهب اللدنية (٢/ ٩٣)

ولما يئس الأعداء من تغيير النص المحفوظ في الصدور والسطور فبدءوا في إثارة الشبهات والشكوك في معاني الألفاظ ودلائل العبارات وأصول الدين وفروعه .

والشبهه : هى إستخدام المعقول والمنقول أو أحدهما فى الطعن فى شريعة الرسول ﷺ .

الطعن فى مصدر القرآن :

تحدى الله تعالى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث :

الاولى : أن يأتوا بالقرآن كله هم وغيرهم من إنس وجن . قال تعالى ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [٨٨ : الاسراء]

الثانية : تحداهم أن يأتوا بعشر سور قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١٣ : هود]

الثالثة : تحداهم بسورة واحدة . قال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢٣ : البقرة] وقال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٣٨ : يونس]

فلما عجزوا قالوا (إنما يعلمه بشر)

روى ابن جرير بسند صحيح عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: " أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمين، وكانا طفلين، وكان يقال لأحدهما يسار والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ﷺ رُبَّمَا جَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: إِنَّمَا يَجْلِسُ إِلَيْهِمَا يَتَعَلَّمُ مِنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل: ١٠٣]^(١)

يقول ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: أَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ بَشَرٌ، وَيُشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، عَلَامٌ لِبَعْضِ بَطُونِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَيَاعًا يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، فَرُبَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَذَلِكَ كَانَ أَعْجَمِيٍّ اللَّسَانِ لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ بِقَدْرِ مَا يَرُدُّ جَوَابَ الْحُطَّابِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِمْ فِي افْتِرَائِهِمْ ذَلِكَ: { لِسَانُ الَّذِي

١- أخرجه الطبري في التفسير (١٤ / ٣٦٧) بسند صحيح

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ { يَعْنِي: الْقُرْآنَ أَي: فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَغَتِهِ وَمَعَانِيهِ التَّامَّةِ الشَّامِلَةِ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَعَانِي كُلِّ كِتَابٍ نَزَلَ عَلَى نَبِيٍّ أُزْسِلَ، كَيْفَ يَتَعَلَّمُ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟! لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنَ الْعَقْلِ ^(١)

روى الطحاوى فى مشكل الآثار عن ابن عباس، قال: آية فى كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوا فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨] شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد أهتنا فقام ابن الزبير فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد أهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨] قال: ادعوه لي، فدعيني محمد ﷺ فقال ابن الزبير: يا محمد هذا شيء لأهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: " بل لكل من عبد من دون الله عز وجل " قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية، يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى عبد صالح وعزير عبد صالح، والملائكة عباد صالحون، قال: " بلى "، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرًا وهذه بنو ملبح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ} [الأنبياء: ١٠١] عيسى وعزير والملائكة {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠١] قال: ونزلت: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ} [الزخرف: ٥٧] ^(٢)

قال ابن اسحاق: وجلس رسول الله ﷺ فيما بلعنا، يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد. فجاء النصر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش. فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النصر، فكلمة رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ، لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ " . ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النصر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً وما فعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبير: أما والله لو وجدته لخصمته، فسألوا محمداً: أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرًا، والنصارى تعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبير، ورأوا أنه قد احتج وخصم. فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم فقال: " كلُّ من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فى النار، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته " . فأنزل الله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ

١- تفسير ابن كثير (٤/٥١٨)

٢- أخرجه الطحاوى فى شرح مشكل الآثار (٩٨٦)

سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ
(١)"

روى الطبراني عن ابن عباس، قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } [الأنعام: ١٢١] أُرْسِلَتْ فَارِسُ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ حَاصِمُوا مُحَمَّدًا وَقُولُوا لَهُ: مَا تَدْبِخُ أَنْتَ بِيَدِكَ بِسَكِّينٍ فَهُوَ حَالًا، وَمَا دَبَّحَ اللَّهُ بِشَمَشِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَهُوَ حَرَامٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } [الأنعام: ١٢١] " قَالَ: «الشَّيَاطِينُ مِنْ فَارِسٍ، وَأَوْلِيَائُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٢)

قال تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

حصل هذا لما حول الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين من إستقبال بيت المقدس في الصلاة إلى الكعبة تحقيقا لرغبة الرسول ﷺ فتكلم كل واحد من السفهاء بما في قلبه . فقال السفهاء من قريش تحول إلى قبلتنا يوشك أن يتحول إلى ديننا . وقال السفهاء من اليهود والله لا ندرى أين يتوجه محمد في صلاته إن كان ما كان عليه أولا حق فقد تركه إلى الباطل وإن كان ما تحول إليه حق فقد كان على باطل . ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

روى الحاكم والإمام أحمد وغيرهما بسند صحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَأَيُّ النَّارِ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ الَّذِي قَدْ أَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَيُّ نَجَلِ النَّهَارِ؟» قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، (وفي رواية قال حيث شاء الله) قَالَ: «كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»^(٣)

المسلك الثامن الإغراق في الشهوات :

الغرض من هذا الحيلولة دون السماع عن أى شىء عن الإسلام .

الشهوة : هى حركة النفس طلبا للملائم .

١- السيره لابن هشام (١/٣٥٨) \

٢- أخرجه الطبراني (١١٦١٤)

٣- أخرجه أحمد (١٥٦٥٥) والحاكم (١٠٣) وقال على شرطهما ووافقه الذهبي واللفظ له

وهذه سمة الأعداء في كل وقت وحين البحث والتنقيب عما تشتبهه الأنفس ثم إغراق الناس فيه حتى يتم صرفهم عن الحق وعن سماع الحق .

*** لما جهر النبي ﷺ بالدعوة وتتابع عليه الوحي ونزل القرآن وسمعه مشركوا مكة وعلموا أنه الحق وأنه من عند الله وما استطاع منصفهم أن ينكر إعجازه بل كانوا يستترون خلف ستار الكعبة ليسمعوا منه القرآن من حلاوته وإعجازه . فلما علموا ذلك بدءوا في التفكير في كيفية الصد عن الجلوس معه والإستماع إليه .

النضر بن الحارث :

شيطان من شياطين قريش، كان كثير السفر وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك القريش، وأحاديث رؤسهم وأسبديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهل إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورؤسهم وأسبديار ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن

قال تعالى ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]

قال تعالى { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الفرقان: ٥]

بل وصل الأمر بالنضر بن الحارث كان إذا سمع بأن أحدا من أشراف قريش يريد الإسلام إلا وذهب إليه وأخذ معه قينة مغنية إشتراها لهذا الغرض ويقول لها أطعميه وإسقيه وغنيه ويقول له هذا خير مما يدعوك إليه محمد ﷺ. قال تعالى ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَبْرٍ عَظِيمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [٦: لقمان]

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبو سلمة، ويحيى، قال: لما هلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً؟ قال: «فمن البكر؟» قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة، أمنت بك، وأتبعناك على ما تقول، قال: «فأذهبي فاذكريهما علي»، فدخلت بيت أبي بكر، فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أحطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي،

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟
 قَالَتْ: أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَحِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: " ارجعي إِلَيْهِ فِقُولِي لَهُ: «أَنَا أَخْوَكُ، وَأَنْتَ أَحْيَى فِي الْإِسْلَامِ،
 وَإِنْتِ تَكُ تَصْلُحُ لِي» ، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: انْتِظِرِي وَخَرَجِي، قَالَتْ أُمُّ رُوْمَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بَنِ
 عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللَّهِ مَا وَعَدَ وَعَدًّا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ
 بَنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي فُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصِيبِي صَاحِبِنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي
 أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بَنِ عَدِيٍّ: أَقُولُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ،
 فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدْتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِحَوْلَةَ:
 ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى
 سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ:
 أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَادُّرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا،
 قَدْ أَدْرَكَتُهُ السَّنُ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَحَيْثُ بَتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ:
 حَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أُرْسَلَنِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْطُبُكَ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفِّءُ
 كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكَ؟ قَالَتْ: نُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعِهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيُّ بِنْتِةٍ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ
 مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أُرْسَلَ يَخْطُبُكَ، وَهُوَ كُفِّءُ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكَ بِهِ، قَالَتْ:
 نَعَمْ، قَالَ: ادْعِي لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ،
 فَجَعَلَ يَخْطِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَخْطِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ
 تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ^(١)

المسلك التاسع السخرية والإستهزاء بالمسلمين :

وذلك بقصد تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية وإضعافهم من الداخل وذلك عن طريق إصاق التهم
 بهم

قال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا
 أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [٥٢ : ٥٣ : الأنعام]

١- أخرجه أحمد (٢٥٧٦٩) بإسناده حسن والبيهقي في الكبرى (١٣٧٤٨)

وهذا واضح مما يُسمع من أنهم أصحاب عُقد ومرضى ووصوليين ويلبسون عباءة الدين للتستر وغير ذلك . قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ نُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢٩ : ٣٦ : المطففين] .

عوامل الثبات في حياة الصحابة :

ملاحظات على فترة الدعوة الجهرية :

١ - كثرة الإيذاء واشتداد البلاء على النبي ﷺ وأصحابه .

٢ - مواجهة الدعوة بشتى الأساليب وصد الناس عنها .

٣ - اهتمام النبي ﷺ بتربية الصحابة .

وهنا يقف الحلیم حيران ويتساءل عقلاء الرجال فيما بينهم ما هي الأسباب التي بلغت بالمسلمين الى هذه الغاية القصوى والحد المعجز من الثبات كيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود :

١ - الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفة باسمائه الحسنی وصفاته العلیا ، فخالط إيمانهم بالله وبشأسته قلوبهم فأصبحت متاعب الدنيا كلها مهما تفاقت وكثرت بجوار إيمانهم بالله لاشئ

٢ - شخص النبي ﷺ بين أظهرهم تجسيدا للإسلام ونموذجا فذا لكل تعاليمه من ناحية العقيدة والعمل والسلوك والأخلاق ، فكانوا يرون فيه المثل الأعلى لكل شئ فتعلموا منه علما وعملا ومن ذلك

روي مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟^(١) قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ (بغتهم) إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ

١ - أي يسجد ويلصق وجهه بالتراب

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوئَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٤١: النحل]

قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [١٣: إبراهيم]

قصة خباب روى البخاري عن خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِأَثْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١)

كيفية تنمية عوامل الثبات في الواقع لدينا :

١ - مراعاة السنن الكونية حتما ولا بد .

الطريق طويل وشاق والشر قد تأصل وتجذر في النفوس ويحتاج لاستئصاله صبر وتدرج وتؤدة .

وأخبرنا الله تعالى بقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣٨: ق] .

وهو سبحانه قادر علي خلقها في لمح البصر ، وكذلك بالنسبة لإطوار خلق الإنسان والحيوان والنبات كلها تتدرج في مراحل حتي تبلغ كمالها وفق سنة الله تعالى . التأسيس

٢ - التعرف على الله تعالى من خلال القرآن والسنة :

ولا سبيل الى ذلك إلا من خلال القرآن فهو كلام الله غير مخلوق ووصف الله نفسه فيه وكذلك النبي صلي الله عليه وسلم بما صح عنه ، فقد عرف القرآن الكريم للناس من هو الإله الذي يجب ان يعبدوه ، وقد حرص النبي ﷺ منذ اليوم الأول ان يعطي الناس التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم من خلال عدة محاور :

١ - أخرجه البخاري (٣٦١٢)

أن الله تعالى منزه عن كل نقيصة وموصوف بكل كمال لا تناهي له فهو سبحانه واحد لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولد . قال تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

التدبر والتأمل في آيات الصفات وكذلك الأحاديث

الإشارة إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات :

وهو: إثبات بلا تكييف وتنزيه بلا تعطيل

" فمن الإيمان بالله تعالى الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

قال تعالى ﴿طه﴾ * ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى * إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿ [١ : ٨ : طه]

روي البخاري من حديث ابن مسعود " أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْحَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] قال عَبْدُ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصَدِيقًا لَهُ^(١)

روى مسلم من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِنَاطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ» حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ^(٢)

١- أخرجه البخاري (٧٤١٤) بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} {ص: ٧٥}

٢- أخرجه مسلم (١٧٩)

معناه أن الله سبحانه وتعالى لا ينام وانه يستحيل في حقه النوم ، لأن النوم صفة نقص والله عز وجل منزه عن ذلك ،

(يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار) معناه والله أعلم يرفع إليه عمل الليل قبل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده .

(ما أنتهي إليه بصره من خلقه) اي جميع مخلوقاته لأنه سبحانه وتعالى محيط بجميع كائناته

روى الإمام الطبري وابن أبي عاصم من حديث أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } . قَالَ " وَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ طَرْفِ أُمَّلْتِهِ فَسَاحَ الْجَبَلُ " . فَقَالَ لَهُ حُمَيْدُ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَضْرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ يُخْبِرُ بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا؟^(١) :

** فائدة : الكرسي موضع قدمي الرحمن عز وجل والعرش أكبر من الكرسي والعرش أعظم المخلوقات

روي الطبري من حديث أبي ذر قال : قال النبي ﷺ: « مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَلْقَيْتَ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ »^(٢)

قال بن مسعود: « إِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ بَيْنَ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَنَضْدُ كُلِّ سَمَاءٍ - يَعْنِي غِلْظُهُ - خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ »^(٣)

أن الله تعالى خالق كل شئ ومدبر أمره :

قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٤ : الأعراف]

١- أخرجه الطبري في التفسير (٤٢٩ / ١٠) وابن أبي عاصم في السنه (٢١٠ / ١) إسناده صحيح على شرط مسلم

٢- أخرجه الطبري في التفسير (٥٣٩ / ٤) وضعفه الألباني في الضعيفة (٦١١٨)

٣- أخرجه أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة (٥٦٥ / ٢)

قال تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفِقُونَ ﴾ {٣٥ : ٣٦ : الطور}

مسلك السير والتقسيم مبني على أمرين :

١ - حصر أوصاف المحل وهو التقسيم .

٢ - إبطال ما ليس صالحا للتعليل بطريقة من طرق الإبطال .

فيتعين الوصف الثاني وهو المعبر عنه بالسير .

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ...)

لا يخلو الأمر من ثلاثة حالات :

الأولى : أن يكونوا خلقوا من غير شيء ، أي بدون خالق أصلا .

الثانية : أن يكونوا خلقوا انفسهم .

الثالثة : أن يكونوا خلقهم خالق غير انفسهم ولا شك في بطلان القسمين الأولين فيصح الثالث .

روي مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود البديري قال : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْعَضْبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْعَلَامِ قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهُ فَقَالَ أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارَ أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارَ" (١)

أن الله تعالى علمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء: - .

روي الإمام احمد والبخاري تعليقا قالت عائشة : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ تَشْكُو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَأَنَا فِي كِسْرِ الْبَيْتِ يَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ كَلَامِهَا

١- أخرجه مسلم (١٢٨١/٢، ١٦٥٩) بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [الْمُجَادَلَةُ (١)]

روي الإمام محمد بن إسحاق بسند حسن (جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ
مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ فُرَيْشٍ - فِي الْحِجْرِ - بَيْسِيرٍ، وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ شَيْطَانًا مِنْ شَيْطَانِ فُرَيْشٍ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَيَلْقُونَ مِنْهُ عَنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى
بَدْرٍ.

فَذَكَرَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ وَمُصَابِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّهِ إِنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ؟ قَالَ لَهُ عُمَيْرُ: صَدَقْتَ
وَاللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي فَضَاءٌ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى
مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتَلَهُ، فَإِنَّ لِي قِبَلَهُمْ عِلَّةٌ: ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ قَالَ: فَاغْتَنِمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ: عَلَيَّ دِينُكَ، أَنَا
أَفْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ. مَا بَقُوا، لَا يَسْعِي شَيْءٌ وَيَعْجِزُ عَنْهُمْ فَقَالَ لَهُ عُمَيْرُ: فَاكْتُمُ
شَأْنِي وَشَأْنُكَ قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرُ بِسَيْفِهِ، فَشَجِدَ لَهُ وَسَمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي نَقْرِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ، وَيَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى
عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ حِينَ أَنْتَاحَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ
وَهَبٍ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا لَشَرٍّ. وَهُوَ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرْنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا
سَيْفَهُ: قَالَ: "فَادْخُلْهُ عَلَيَّ"، قَالَ: فَأَقْبَلَ عُمَرَ حَتَّى أَخَذَ بِجَمَالَةِ سَيْفِهِ فَرَطَ عَنْقَهُ فَلَبَّيْهُ بِهَا، وَقَالَ لِرِجَالِ
مَنْ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْحَبِيثِ،
فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعُمَرُ أَخَذَ بِجَمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عَنْقِهِ، قَالَ: "أَرْسَلَهُ يَا عُمَرُ، اذْنِ يَا عُمَيْرُ؟" فَدَنَا
ثُمَّ قَالَ: انْعَمُوا صَبَاحًا، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَقَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةِ
خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، بِالسَّلَامِ: تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ". فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ بِهَا لِحَدِيثِ عَهْدٍ.
قَالَ: "فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ؟" قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأُحْسِنُوا فِيهِ، قَالَ: "فَمَا بَالُ
السَّيْفِ فِي عَنْقِكَ؟" قَالَ: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ، وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا؟ قَالَ: "اصْدُقْنِي، مَا الَّذِي جِئْتُ

١ - أخرجه أحمد (٢٤١٩٥) إسناده صحيح على شرط مسلم والبخاري (١١٧/٩) معلقاً

له؟ " قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ. قَالَ: "بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بِنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتُمْ، لَوْلَا دَرَيْتُ عَلِيَّ وَعِيَالُ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتَلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدِينِكَ وَعِيَالِكَ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ، وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ"، قَالَ عُمَيْرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ" (١)

أن الله تعالى يؤيد وينصر من لجأ إليه ولاذ بحماه وصدق رسله وأمن بهم وهذا شاهده الصحابة بأعينهم في هجرته ﷺ ويوم بدر .

فهم الصحابة عن النبي ﷺ حقيقة الإيمان ، وهو أنه يزيد وينقص فبدأو يسعون جاهدين لزيادة إيمانهم بكل مشروع والبعد عما ينقص الإيمان .

روي البخاري بسنده إلى الأسود بن هلال قال لى معاذ بن جبل : إجلس بنا نؤمن ساعة يجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدان (٢)

دلت الأدلة الشرعية على أن الإيمان يزيد وينقص : قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢: الأنفال] .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [١٢٤: التوبة]

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [٢٢: الأحزاب]

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [٤: الفتح]

قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [٣١: المائدة]

١- السيره لابن هشام (١/ ٦٦١) وأبو نعيم في الدلائل (٤١٣)

٢- أخرجه البخاري (١٠/١)

فدلت هذه الأدلة وغيرها من السنة على ان الإيمان يزيد صراحة ودل أيضا على نقصانه تضمننا إذ ما من شئ يزيد إلا وهو ينقص ففطن الصحابة لهذا الأمر فبدوا يسعون جاهدين إلى زيادة الإيمان .

وأجمع أهل السنة والجماعة على ان الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي (أي معصية) . من ثم كانوا حريصين كل الحرص على الإتيان بأي طاعة والبعد عن كل معصية .

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] .

روي البخاري من حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنَّهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ^(١)

والمعنى أن الله عز وجل يكون مسددا له في هذه الأعضاء الأربعة في السمع يسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضى الله تعالى ولا ينظر إلا إلى ما أباحه الله تعالى ولا ينظر إلى المحرم ، وكذلك يده ورجله

الإيمان بالقضاء والقدر وتأثيره على النفس :

(العلم - الكتاب - المشيئة - الخلق)

٣ - سكون النفس وطمانينة القلب وراحة البال :

الحوار بين ابن عمر وعثمان - رضي الله عنهما -

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اسْتَشَارَنِي عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْضُورٌ فَقَالَ: مَا تَرَى فِيمَا يَقُولُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ؟ قُلْتُ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَخْلَعَ هَذَا الْأَمْرَ وَتُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ أَمْحَلَدْتَ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: لَا قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ

١ - أخرجه البخاري (٦٥٠٢) باب التَّوَأُّعِ

تَفْعَلْنَ، هَلْ يَرِيدُونَ عَلَيَّ أَنْ يَقْتُلُوكَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَهَلْ يَمْلِكُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: «فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ تَسُنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، كُلَّمَا سَخَطُوا أَمِيرًا خَلَعُوهُ، وَلَا أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصًا أَلْبَسَكَهُ اللَّهُ»^(١)

٤ - عزة النفس والقناعة والتحرر من عبودية الخلق :

روي أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢)

٥ - التربية الجسدية :

من خصائص الشريعة : ١- أنها من عند الله . ٢- العموم والشمولية .

٣- الجزاء في الإسلام . ٤- المثالية والواقعية .

٥- دين الفطرة .

قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣١ : ٣٢ : الأعراف]

حرمت الشريعة على المسلم الزنا وأحلت له الزواج .

قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٢٢٢ : البقرة].

روى الترمذي عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ أَكْلَاتٍ يُقَمَّنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ طَعَامًا وَتُلْتُ شَرَابًا وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ»^(٣)

١- أخرجه ابن أبي شيبة (٤/١٢٢٣) في تاريخ المدينة

٢- أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع للألباني (٢٠٨٥)

٣- أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع للألباني (٥٦٧٤)

روى الترمذي عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَكَلْتُ تَرِيدَةً بِلَحْمِ سَمِينٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَجْشَأُ، فَقَالَ: «اكَفُفْ عَلَيْكَ حُشَاءَكَ أَبَا جُحَيْفَةَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)

روي الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "... وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَعْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ"^(٢)

٦- التربية العقلية :

للعقل منزلة عظيمة في الإسلام فهو مناط التكليف وحرمة الإسلام أي شئ يضر بالعقل أو يؤثر فيه بالتلف .

روي الشيخان عن ابنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْحَمْرِ، وَهِيَ مِنْ حَمْسَةِ مِنَ الْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ - وَالْحَمْرُ: مَا خَامَرَ الْعَقْلَ"^(٣)

روى أبو داود وصححه الألباني عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْعِنَبِ حَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ التَّمْرِ حَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعَسَلِ حَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْبُرِّ حَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعِيرِ حَمْرًا»^(٤)

وأمر القرآن بإعمال العقل فيما يعود عليه بالنفع .

قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت : ٢٠]

قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٩ : الروم]

١- أخرجه الترمذي (٢٤٧٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤٣)

٢- أخرجه البخاري (١٦٢) ومسلم (٢٧٨)

٣- أخرجه البخاري (٤٦١٩) ومسلم (٤/٢٣٢٢، ٣٠٣٢)

٤- أخرجه أبو داود (٣٦٧٦) وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٩٣)

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [٦: الحجرات]

٧ - النظرة الصحيحة إلى الدنيا ومقارنتها بالأخرة .

١- الدنيا فانية والأخرة باقية :

روى الإمام مسلم عن المستورد بن شداد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمِثْلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الِیَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يَرْجِعُ .." (١)

روى الإمام احمد عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: " إِنَّهُ مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ" (٢)

روي الشيخان عن أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفْقَهُ فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [مریم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا" (٣)

٢ - الدنيا تشتت الإنسان وتفرق ذهنه والأخرة العكس .

قال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٣٤: فاطر]

روي الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ» (٤)

٣ - الدنيا حقيرة مهينة قليلة لا يحصل الإنسان منها ما يريد .

١- أخرجه مسلم (٢٨٥٨) بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٢- أخرجه أحمد (٩٢٧٩) إسناده صحيح على شرط مسلم وصححه الألباني في الصحيحة (الصحيحة (١٠٨٦)

٣- أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢١٨٨/٤)، (٢٨٤٩)

٤- أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١)

روى الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَمَى كَافِرًا مَنَهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(١)

روي الطبراني وصححه الألباني عن سلمان قال: «جَاءَ قَوْمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ لَهُمْ: " أَلكُمْ طَعَامٌ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " فلكم شرابٌ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " فَتَصِفُونَهُ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " وَتُبْرِدُونَهُ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " فَإِنَّ مَعَادَهُمَا كَمَعَادِ الدُّنْيَا، يَثُومُ أَحَدُكُمُ إِلَى خَلْفِ بَيْتِهِ فَيُمْسِكُ عَلَى أَنْفِهِ مِنْ نَتْنِهِ»^(٢)

روي الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»^(٣)

روي البخاري عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «لَعَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَأَلَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِبَتْهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٤)

قال علي الرزبادي: " في طلب الدنيا زل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيا عجباً لمن يؤثر الذل في طلب ما يفني على العز في طلب ما يبقى "

٤ - لذات الدنيا ونعيمها يشارك فيها البر والفاجر حتى البهائم .

روي مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٥)

١- أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٨٢) وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٣) وصححه الألباني في الصحيحة

٢- أخرجه الطبراني (٦١١٩) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٤١)

٣- أخرجه البخاري (٣٢٤٤) باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ومسلم (٢١٧٤/٤، ٢٨٢٤)

٤- أخرجه البخاري (٢٧٩٦) باب الحور العين، وصفتهن يخار فيها الطرف، شديد سواد العين، شديد بياض العين

"

٥- أخرجه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرفائق

٥ - الدنيا من شؤونها وبلائها إن حصلت منها شيئاً أنقص من درجتك عند الله.

روي مسلم عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ عَازِيَةٍ تَعَزُّو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ (تغزوا فتغنم)، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثَلَاثِي أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثَّلَاثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»^(١)

معني الحديث : فالصواب الذي لا يجوز غيره ان الغزاة إذا أسلموا أو غنموا فيكون اجرهم أقل من اجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم وأن الغنيمة شيء في مقابلة جزء من أجورهم فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر .

فهم الصحابة لذلك : روي البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أتي بطعام وكان صائماً، فقال: " قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ، إِنْ عُطِّيَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ عُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ - وَأَرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْرَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي - ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ - أَوْ قَالَ: أَعْطَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ " ^(٢)

روي الإمام احمد وصححه الألباني في الصحيحة (١٨١٧). أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: يَا سَامِعَ الْأَشْعَرِيِّينَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْعَائِبَ إِلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " حُلُوهُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الْآخِرَةِ، وَمُرَّةُ الدُّنْيَا حُلُوهُ الْآخِرَةِ " ^(٣)

قال بعض الصحابة -رضوان الله عليه- "مِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا وَمِنَّا مَنْ أُيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا أَيَّ يَجْتَنِيهَا " ^(٤) قالها حباب بن الارت

الهجرة إلى الحبشة

وقعت الهجرة إلى الحبشة مرتين مرة بعد مرة .

١- أخرجه مسلم (٣/١٥١٤، ١٩٠٦) بَابُ بَيَانِ قَدْرِ ثَوَابِ مَنْ عَزَا فَعَنِمَ، وَمَنْ لَمْ يَعْزَمْ

٢- أخرجه البخاري (١٢٧٥) (٤٠٤٥)

٣- أخرجه أحمد (٢٢٨٩٩) وقال الهيثمي : رجاله ثقات والطبراني في مسند الشاميين (٩٦٣)

٤- أخرجه أحمد (٢١٠٥٨) من حديث حباب وإسناده صحيح على شرط الشيخين والطبراني (٣٦٦١) والبخاري

(١٢٧٦) ومسلم (٩٤٠)

من السنن الكونية التي ينبغي أن لا تخالف :

١ - سنة الأخذ بالأسباب :

والأسباب جمع سبب وهو كل شيء يتوصل به إلى غيره ... وهذه سنة كونية ومن ذلك :

أرسي الله عزوجل الجبال ، أنبت الزرع بالماء ولو شاء الله لفعل كل شيء بدون سبب ، ولكن فعل ذلك حتي يوجه خلقه أن يراعى تلك السنة ليستقيم سير الحياة على النحو المراد ، وكذلك من سننه الكونية أن يكون التناسل عن طريق الزواج والإتصال ، ولو شاء الله ل جاء بالنسل بدون زواج وبدون أي شيء ، وكل هذه معلق بمشيئة الله تعالى .

*** يقرر الإسلام الأخذ بالأسباب ، وتعطيها تعطيل للشرع ولمصالح الدين .

*** الإعتماد على الأخذ بالأسباب وحدها مع ترك التوكل على الله عزوجل شرك .

*** يربط الإسلام بين الأخذ بالأسباب والتوحيد بمعنى أن سبب لا يؤثر بذاته وكله بأمر الله .

*** المسلم ملزم بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى .

روي الترمذي عن أنس بن مالك، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَغْقَلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَغْقَلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١)

قال تعالى ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

قال ابن كثير: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحْرَمَةِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَفْدُرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، إِلَى أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، حَيْثُ يُمَكِّنُ إِقَامَةَ الدِّينِ^(٢)

*** من الثابت أن المسلمين هاجروا إلى الحبشة مرتين

الأولى في شهر رجب سنة خمس من البعثة وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة خرجوا مشاة حتى وصلوا إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار .

١ - أخرجه الترمذي (٢٥١٧) وابن حبان (٧٣١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٤)

٢ - تفسير ابن كثير (٢٦٢/٦)

روي بن إسحاق في السيرة بسند حسن عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنها قالت: لَمَا صَافَتْ عَلَيْنَا مَكَّةَ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ بَارِضَ الْحَبْشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحُقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ "، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا وَنَزَلْنَا بِحَيْرٍ ذَارٍ إِلَى خَيْرٍ جَارٍ أَمِنًا عَلَى دِينِنَا، وَمَنْ نُحْشَ مِنْهُ ظُلْمًا ^(١)

واختار النبي ﷺ أرض الحبشة نظرا لأن بها ملكا عادلا لا يظلم عنده احد وهو رجل صالح، ولعل الله تعالى يجعل فيها منبتا للدعوة، وكان من المهاجرين للحبشة:

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - الزبير بن العوام - مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ - عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ - أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ رَيْبَعَةَ - سهيل بن نصار - عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ - أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ - أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ - سَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلٍ - وأم سلمة - ورقية بنت النبي ﷺ و ليلى بنت أبي حيثمة وغيرهم .

فمكث المهاجرون في الحبشة ثلاثة أشهر ثم حدثت فتنة الغرانيق، وانتشرت إشاعة أن قريش أسلمت فرجع المهاجرون وبالقرب من مشارف مكة علموا الحقيقة ولكن بعد أن إقتربوا ولم يعد هناك إمكانية للرجوع .

قصة الغرانيق

روى البيهقي في الدلائل بسنده إلى موسى بن عقبة قال في مغازيه (بعد ما ذكر إبداء المشركين للنبي ﷺ وأصحابه ودخولهم الشعب قال فَلَمَّا فُعِلَ بِالْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلَ الشَّعْبَ مَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِالْخُرُوجِ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ. وَكَانَ بَارِضُ الْحَبْشَةِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ النَّجَاشِيُّ لَا يُظْلَمُ بَارِضُهُ أَحَدٌ وَكَانَ يُنْبِي عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا عَامَّتُهُمْ حِينَ فَهَرُوا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَبْرَحْ، وَذَلِكَ قَبْلَ خُرُوجِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، وَأَنْتَهُمْ خَرَجُوا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ الَّذِينَ خَرَجُوا الْمَرَّةَ الْأُولَى قَبْلَ خُرُوجِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّجْمِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَدْكُرُ آهْتَنَا بِخَيْرٍ أَفْرَزْنَاهُ وَأَصْحَابَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَدْكُرُ مَنْ خَالَفَ دِينَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمِثْلِ مَا يَدْكُرُ بِهِ آهْتَنَا مِنَ الشَّتْمِ وَالشَّرِّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ مَا نَالَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَذَاهُمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَأَحْزَنَتْهُ ضَلَالَتُهُمْ وَكَانَ يَتَمَنَّى هُدَاهُمْ،

١ - أخرجه ابن اسحاق في السير (١/ ٢١٣) بسند حسن والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠١)

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ النَّحْمِ قَالَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ} [النجم: ٢٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عِنْدَهَا كَلِمَاتٍ حِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آخِرَ الطَّوَاغِيَةِ فَقَالَ: «وَإِنَّهُنَّ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَهِيَ الَّتِي تُرْتَجَى» وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَجَعِ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ، فَوَقَعَتْ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُشْرِكٍ بِمَكَّةَ، وَزَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَتَبَاشَرُوا بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ الْأَوَّلِ وَدِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِرَ النَّحْمِ سَجَدَ، وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ مُشْرِكٍ،

وَفَشَّتْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ فِي النَّاسِ، وَأَظْهَرَهَا الشَّيْطَانُ حَتَّى بَلَغَتْ أَرْضَ الْحَبَشَةِ، وَمَرَّ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَأَصْحَابُهُ، وَحَدَّثُوا أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا كُلَّهُمْ وَصَلُّوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَلَغَهُمْ سُجُودُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ عَلَى التُّرَابِ عَلَى كَفِّهِ، وَحَدَّثُوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ آمَنُوا بِمَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا سِرَاعًا وَقَدْ نَسَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ وَأَحْكَمَ اللَّهُ آيَاتِهِ وَحَفِظَهَا مِنَ الْبَاطِلِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج]

وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَأَصْحَابُهُ فِيهِمْ رَجَعُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ حَتَّى بَلَغَهُمْ شِدَّةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِجَوَارٍ، فَأَجَارَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَلَمَّا رَأَى عُثْمَانُ الَّذِي يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَعُدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِالنَّارِ وَالسَّيِّطِ، وَعُثْمَانُ مُعَاقٍ لَا يُعْرَضُ لَهُ، اسْتَحَبَّ الْبَلَاءَ عَلَى الْعَافِيَةِ . فَعَهَدَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ فَقَالَ: يَا عَمَّ، قَدْ أَحْرَزْتَنِي وَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُخْرِجَنِي إِلَى عَشِيرَتِكَ فَتَبْرَأَ مِنِّي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَعَلَّ أَحَدًا مِنْ قَوْمِكَ آذَاكَ أَوْ شَتَمَكَ وَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي فَأَكْفِيكَ ذَلِكَ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا اعْتَرَضَ لِي أَحَدٌ وَلَا آذَانِي، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ الْوَلِيدُ، أَخْرَجَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَفُرِيَتْ فِيهِ كَأَحْفَلٍ مَا كَانُوا، وَلَبِيدُ بْنُ رِيعَةَ الشَّاعِرُ يُنْشِدُهُمْ فَأَخَذَ الْوَلِيدُ بِيَدِ عُثْمَانَ فَأَتَى بِهِ فُرَيْشًا فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي وَحَمَلَنِي عَلَى أَنْ أَتَبْرَأَ مِنْ جَوَارِهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَبِي بَرِيءٌ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقَ، أَنَا وَاللَّهِ أَكْرَهُتُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ^(١)

أصل الكلام الوارد في هذه القصة إنما هو في آيات سورتين من سور القرآن

قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ فُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ فُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢ : ٥٤﴾ [الحج]

وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰ * إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا
تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩ : ٢٣]

قوله تعالى (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) في بمعنى عند أي القي الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي
ﷺ مثل قوله تعالى (ولبثت فينا) أي عندنا

معني الآية آية الحج وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث
وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم (فَيَسْخُحُ اللَّهُ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ) يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

يقول الشنقيطي : تمنى لِلْعُلَمَاءِ فِيهَا وَجْهَانِ :

الأول: أَنَّ تَمَنَّى بِمَعْنَى: قَرَأَ وَتَلَا وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :-

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَأَخْرَجَهَا لَأَقَى جَمَامَ الْمَقَادِرِ

روى البخاري، عن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ: إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
حَدِيثِهِ، وَكَوْنُ تَمَنَّى بِمَعْنَى: قَرَأَ وَتَلَا، هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ^(١)

الثاني: أَنَّ تَمَنَّى فِي الْآيَةِ مِنَ التَّمَنَّى الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ تَمَنِّيهِ إِسْلَامَ أُمَّتِهِ وَطَاعَتَهُمْ لِلَّهِ وَلِرُسُلِهِ، وَمَفْعُولُ أَلْقَى
مُخَدَّوْفٌ مَا الَّذِي أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ

فإذا كانت تَمَنَّى بِمَعْنَى: أَحَبَّ إِيمَانَ أُمَّتِهِ وَعَلَّقَ أَمَلَهُ بِذَلِكَ، فَمَفْعُولُ أَلْقَى يَظْهَرُ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْوَسَاوِسِ،
وَالصَّدِّ عَنْ دِينِ اللَّهِ حَتَّى لَا يَتِمَّ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ الرَّسُولِ مَا تَمَنَّى.

وَمَعْنَى كَوْنِ الْإِلْقَاءِ فِي أُمْنِيَّتِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي وَسَاوِسَهُ وَشُبْهَهُ لِيَصُدَّ بِهَا عَمَّا تَمَنَّاهُ
الرَّسُولُ أَوْ النَّبِيُّ، فَصَارَ الْإِلْقَاءُ كَأَنَّهُ وَاقِعٌ فِيهَا بِالصَّدِّ عَنْ تَمَامِهَا وَالْحَيْلُولَةَ دُونَ ذَلِكَ.

وإذا قلنا بأنَّ تَمَنَّى بِمَعْنَى: قَرَأَ، فَفِي مَفْعُولِ أَلْقَى تَقْدِيرَانِ:

^١ - أخرجه البخاري (٦/٩٧) باب { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا }

الأول: من جنس ما سبق أي: ألقى الشيطان في قراءة الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو النبي الشبهة والوساوس ليصد الناس عن اتباع ما يقرؤه، ويتلوه الرسول أو النبي، وعلى هذا التقدير فلا إشكال.

الثاني: ألقى الشيطان في أميته أي قراءته ما ليس منها ليظن الكفار أنه منها.

وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان يستأنس به لهذا التقدير.

وقد ذكر كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية قصة العرائق قالوا: سبب نزول هذه الآية الكريمة أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قرأ سورة النجم بمكة، فلما بلغ { أفرايتهم اللات والعزى ومناة الثالثة } ألقى الشيطان على لسانه: تلك العرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون. وقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وشاع في الناس أن أهل مكة أسلموا بسبب سجودهم مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حتى رجع المهاجرون من الحبشة ظناً منهم أن قومهم أسلموا، فوجدوهم على كفرهم

ويوجد في الآية قرينة قرآنية واضحة على بطلان هذا القول؛ أ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى: { إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان }

وليس من المعقول أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يسب آلهتهم هذا السبب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم، إلا وعضبوا، ولم يسجدوا؛ لأن العبرة بالكلام الأخير^(١)

روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»^(٢)

روى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: " أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال: فسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من ثراب فسجد عليه "، فرأيتُه بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف^(٣)

سبب سجود المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم

١ - أضواء البيان (٥/٢٨٤، ٢٨٦)

٢ - أخرجه البخاري (٤٨٦٢)

٣ - أخرجه البخاري (٤٨٦٣)

قال الألوسي : وليس لأحد أن يقول: إن سجود المشركين يدل على أنه كان في السورة ما ظاهره مدح آلهتهم وإلا لما سجدوا لأننا نقول: يجوز أن يكونوا سجدوا لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى { وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ } [النجم: ٥٠ - ٤٥] إلى آخر الآيات فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم، ولعلمهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه صلى الله عليه وسلم وهو قائم بين يدي ربه سبحانه في مقام خطير وجمع كثير وقد ظنوا من ترتيب الأمر بالسجود على ما تقدم أن سجودهم ولو لم يكن عن إيمان كاف في دفع ما توهموه، ولا تستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه صلى الله عليه وسلم

وهذا نظير ما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة فلما قرأ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى { فَإِن أَعْرَضُوا فَأُنذِرْكُم صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } [فصلت: ١٣] أمسك عتبه على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم واعتذر لقومه حين ظنوا به أنه صبا وقال: كيف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فحفت أن ينزل بكم العذاب.

ويمكن أن يقال على بعد: إن سجودهم كان لاستشعار مدح آلهتهم ولا يلزم منه ثبوت ذلك الخبر لجواز أن يكون ذلك الاستشعار من قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾^(١)

وقصة الغرائق باطلة نظرا لإنقطاعها واختلاف ألفاظها وفي سندها متروك ومتهم بالكذب ومتونها متناقضة

وعلي الفرض بصحتها وهذا مستحيل فمعني إلقاء الشيطان علي لسان النبي ﷺ أنه ﷺ كان يقرأ القرآن يرتله ترتيبا تتخلله سكتات فراقب الشيطان بعض سكتات النبي ﷺ ثم حاكي قراءته ﷺ بقوله -لعنه الله- تلك الغرائق العلا وإن شفاعتهن لترجي (فظن المشركون صوت الشيطان صوت النبي ﷺ)

وهذه القصة تتنافي مع عصمة النبي ﷺ ولا يقدر الشيطان أن يجري ذلك علي لسانه ﷺ لأنه ليس له عليه سلطان بشهادة القرآن وإقرار الشيطان

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩ ، ٩٨] ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم من الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

وأقر الشيطان بأنه لا سبيل على من هو دونه قال تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٨٢، ٨٣: ص]

** تفسير آية سورة الحج

أن الله تعالى ما أرسل رسولا من الرسل ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الامم إلا وذلك الرسول يتمني الإيمان لأمته ويحبهم لهم ويرغبهم فيه ويحرص عليه كل الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة وفي حملتهم نبينا ﷺ الذي قال له ربه (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) وقال تعالى (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) ثم الأمة تختلف كما قال تعالي (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) فأما من كفر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوسوس القاذحة في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن لا يخلو من وسوس لأنها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب . فمعني تمني أنه يتمني الإيمان لأمته ويجب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه أمنية كل رسول ونبى

وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوسوس الموجبة لكفر بعضه ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيهم الآيات الداله علي الوحداية والرسالة ويبقي ذلك في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به فتحصل من هذا أن الوسوس تلقي أولا في قلوب الفريقين معا غير أنها لا تدوم علي المؤمنين وتدوم علي الكافرين

إسلام عمر بن الخطاب :

ذكر ابن اسحاق ان إسلام عمر كان بعد هجرة الحبشة الأولى أى بعد خمس سنوات من المبعث او في السنة الرابعة على قول لإهل العلم^(١)

روى ابن هشام من حديث أم عبد الله بنت أبي حنمة، قالت: وَاللَّهِ إِنَّا لَنَتَرَحَّلُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَاتِنَا، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِيهِ -قَالَتْ: وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَدَى لَنَا وَشِدَّةً عَلَيْنَا- قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ لَلْإِنِّطْلَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: نَعَمْ وَاللَّهِ، لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ، آذِيْتُمُونَا وَفَهَرْتُمُونَا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا. قَالَتْ: فَقَالَ: صَحِبْكُمْ اللَّهُ، وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ -فِيمَا أَرَى- خَرُوجَنَا. قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ بِحَاجَتِهِ تِلْكَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ أَنْفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَ عَلَيْنَا. قَالَ: أَطْمَعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟

١- السير لابن اسحاق (١/ ١٨١)

قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَلَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتِ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارَ الْخُطَّابِ، قَالَتْ: يَا سَأَا مِنْهُ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غَلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ^(١)

من أهم أسباب إسلامه استجابة الله تعالى لدعوة النبي - ﷺ -

روى الترمذى وصححه الألباني من حديث ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدْيَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ^(٢)

من شدته على المسلمين قبل أن يسلم .

روي البخاري عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، يَقُولُ: " وَاللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي ، وَأُخْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ " ^(٣)

روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»^(٤)

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ»^(٥)

وفي رواية للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلِّمُونَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»^(٦)
مُحَدِّثُونَ : جمع مُحَدِّثٌ ،

ملهم ، الصادق الظن . من ألقى في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى - يجرى الصواب على لسانه .

وروى مرفوعاً من حديث أبي سعيد قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَحْدُثُ قَالَ تَكَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ^(٧)

سبب إسلام عمر بن الخطاب :

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٣٤٢)

٢- أخرجه الترمذى (٣٦٨١) وصححه الألباني وأحمد (٥٦٩٦) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٣- أخرجه البخاري (٣٨٦٢) بَابُ إِسْلَامِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤- أخرجه البخاري (٣٨٦٣) بَابُ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٥- أخرجه البخاري (٣٦٨٩) بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ أَبِي حَفْصِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٦- أخرجه البخاري (٣٦٨٩) بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ أَبِي حَفْصِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٧- أخرجه الطبراني في الاوسط (٦٧٢٦)

روي البخاري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ، لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ " بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ (سواد بن قارب)، فَقَالَ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ: لَقَدْ كَانَ كَاهِنُهُمْ، عَلَيَّ الرَّجُلُ، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُفْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمًا، قَالَ: فَإِنِّي أَعَزُّمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ: كُنْتُ كَاهِنُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جَنِّيَّتُكَ (التابع)، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرَفُ فِيهَا الْفَرْعَ، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا (اليأس)؟ وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا^(١)، وَلُحُوفَهَا بِالْقِلَاصِ، وَأَخْلَاسِهَا، قَالَ: عُمَرُ صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، عِنْدَ آلِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجَلٍ فَدَبَّحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ، لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ بِجِيحُ، رَجُلٌ فَصِيحُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَوُتِبَ الْقَوْمُ، قُلْتُ: لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ بِجِيحُ، رَجُلٌ فَصِيحُ، يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَعُمْتُ، فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ^(٢)

الرجل الذي جاء بالعجل هو ابن عبس .

الجليح : الوقح الكاشف بالعداوة .

رجل فصيح : في رواية لأحمد " قول فصيح رجل يصيح "^(٣)

وروى أبو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ جَعَلَ لِمَنْ يَقْتُلُ مُحَمَّدًا مِائَةَ نَاقَةٍ قَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْحَكَمِ الضَّمَانُ صَحِيحٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَتَقَلَّدت سَيْفِي أُرِيدُهُ فَمَرَرْتُ عَلَى عِجَلٍ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْبُحُوهُ فَعُمْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِ الْعِجَلِ يَا آلَ دَرِيحٍ أَمْرٌ بِجِيحٍ رَجُلٌ يَصِيحُ بِلِسَانٍ فَصِيحٌ قَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا يُرَادُ بِهِ إِلَّا أَنَا^(٤)

*** تنبيه هام : ذكر البخاري حديث عمر هذا مع سواد بن قارب وذكر بعده مباشرة حديث سعيد

بن زيد وهو أن عمر حبسه وقيده من أجل إسلامه . فيه مناسبة لقصته مع أخته فاطمة .

إسلام حمزة بن عبد المطلب — رضي الله عنه —

١- معناه يمست من إستراق السمع من بعد ما ألفتته

٢- أخرجه البخاري (٣٨٦٦) بابُ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣- أخرجه أحمد (١٥٤٦٢) بإسناد ضعيف

٤- فتح الباري (٧/١٨١)

روى ابن اسحاق عن رجل أسلم : كَانَ حمزة بن عبد المطلب أَعَزَّ فَنِي فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهُ شَكِيمَةً وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ فَتْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ فمر علي مولاة لعبد الله بن جدعان فقالت له: يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أُخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنفَا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بن هِشَامٍ: وَجده هَاهُنَا جَالِسًا فَأَدَاهُ وَسَبَّهُ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّمهُ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَاحْتَمَلَ حَمْرَةَ الْعَضْبُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كِرَامَتِهِ، فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ؟ فَزِدْ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتُ ^(١)

الهجرة الثانية للحبشة :

إشتد أذى المشركين للمسلمين بعد رجوعهم من الحبشة فأشار عليهم النبي ﷺ بالهجرة مرة ثانية فخرج المسلمون وكانوا (٨٢) رجلا و (١٨) إمراة .

روى الإمام أحمد عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّحَاشِيِّ أَمِيًّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤَدِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّحَاشِيِّ فِيْنَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّحَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ: الْأَدْمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدْمًا كَثِيرًا وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بن أَبِي رَبِيعَةَ بنِ الْمُغِيرَةَ الْمُخَرُّومِيَّ وَعَمْرُو بنَ الْعَاصِ بنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُهُمْ وَقَالُوا هُمَا: اذْهَبَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّحَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّحَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُّوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّحَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَخَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَاهُ النَّحَاشِيِّ، ثُمَّ قَالَا: لِكُلِّ بَطْرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غُلْمَانٌ سَفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِتُرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا هُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّحَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غُلْمَانٌ سَفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدِعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتُرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

١ - خرجه ابن هشام في السيرة (٢٦٠ / ١)

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِيَمِ عَيْنِنَا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيُرِدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَائِمَ اللَّهُ إِذَا لَا أُسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوُورِي، وَنَزَلُوا بِبِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلُهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمَ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمَ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمَ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوُورِي (..)

الحوار بين جعفر والنجاشي :

قَالَتْ: ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا. ثُمَّ قَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِينَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيَّ أَسَافَقْتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي فِي الْيَدِ فَارْقُتُمْ فِيهِ قَوْمُكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفُجَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ. حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا: إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنُخَلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ. وَنَهَانَا عَنْ: الْفُجَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ". قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَخْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَدُّبُونَا فَفَقَتُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جَوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كَهَيْعِص. قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَافِقَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مَشْكَاتٍ وَاحِدَةٍ انْطَلَقًا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبِينَتَهُ غَدَا أَعْيِيهِمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ اسْتَأْصَلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ، وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا، لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُمَ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لِأَخْبِرْتَهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ

عَدَا عَلَيْهِ الْعَدَا. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّمْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ قَالَتْ: وَمَ يَنْزِلُ بِنَا مِثْلَهَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَأَيُّنَا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ. قَالَتْ: فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُوْدًا. ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَا قُلْتُمْ هَذَا الْعُوْدَ فَتَنَاحَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ: مَا قَالَ فَقَالَ: وَإِنْ نُحَزِّمُ وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيُومٌ بِأَرْضِي، وَالسُّيُومُ: الْأَمْنُونَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي دَيْرٌ ذَهَبٍ وَأَيُّ آدِيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، وَالْدَيْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ، رُدُّوا عَلَيْنِهَا هَذَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرَّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرَّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ" (١)

فائدة : روي ابن أبي حاتم عن عبد الله بن الزبير، قال: " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ، { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ } [المائدة: ٨٣] (٢) السنن الكبرى للنسائي.

روي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " نَعَى لَهُمُ النَّجَاشِيَّ، صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَالَ: : مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ بَغِيرَ أَرْضِكُمْ فَقوموا فصلوا عليه . قالوا من هو ؟ قال : قال النجاشي وقال «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» قال : فخرج بهم إلى المصلي فصفا خلفه صفيين وكبر عليه أربعاً" (٣)

** فوائده من الحوار وما فعلته قريش :

- قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

- فضل الصدق

- فضيلة الشورى حيث أتم تشاوروا في كل أمورهم فكان ذلك سببا في النجاح والتوفيق .

- ما فعله عمرو بن العاص هو ما يفعله أهل الضلال الآن .

- أن دعوة محمد ﷺ أدت إلى حدوث بليلة وفرقة وشر بين أهل مكة .

١- أخرجه أحمد (٢٢٤٩٨) بإسناد حسن

٢- أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٦٦٨٠) والنسائي في الكبرى (١١٠٨٣)

٣- أخرجه البخاري (٣٨٨٠)

- تحذير بالتعريض للنجاشي من أنه سيحدث عندك ما يحدث عندنا .
- أنهم لم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين جديد وأيضاً عقيدتهم في المسيح عليه السلام .
- إستصغارهم لشأن الملك وعدم السجود له .

** عرض جعفر وما فيه من دروس :

- عدّد عيوب الجاهلية .
- عرض شخصية النبي ﷺ .
- إبراز محاسن الإسلام وهي التي يتفق معها جميع الشرائع .
- إظهار ما فعلته قريش بهم وهذا يتنافى مع إحترام الآدمية .
- الثناء على النجاشي بسيرته وعدم ظلمه لأحد .
- عبقرية جعفر عندما أراد أن يقرأ القرآن واختياره لما قرأ .
- عقيدة المسلمين في عيسى هي التي تتفق مع الفطرة السليمة ، فهو عبد وليس إله ومع ذلك عدم الخوض في عرض مريم فهي عذراء بتول .

وفاة خديجة رضى الله عنها وذكر بعض من فضائلها ووفاة أبي طالب :

اتفقت روايات أهل السير على أن خديجة رضى الله عنها توفيت في نفس العام الذى توفى فيه أبو طالب وهى السنة العاشرة من البعثة وبعضهم يقدم وفاة أبي طالب على وفاة خديجة رضى الله عنها .

أولاً : وفاة خديجة رضى الله عنها .:

كانت وفاتها في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وبوفاتها فقد النبي ﷺ النصير البشري في البيت .

فضائلها :

روى مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: « لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ »^(١)

وهذا مما لا إختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها : لأنها اغنتها عن غيرها .

١- أخرجه مسلم (٢٤٣٦) بابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا

روى البخارى في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: " أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومي وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب " (١)

وفي رواية للنسائي قالت رضي الله عنها «إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته» (٢) وبشرها ببيت في الجنة .

وفي القصة ما يعود ويدل على وفور فقهاها : لأنها لم تقل وعليه السلام فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله عز وجل لا يرد عليه السلام كما يرد على المؤمنين : لأن السلام إسم من أسماء الله تعالى .

ثانيا وفاة أبي طالب :

روى البخارى من حديث سعيد بن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترعب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم } [التوبة: ١١٣] . ونزلت: { إنك لا تهدي من أحببت } [القصص: ٥٦] (٣)

وكان موته بعد خروج النبي ﷺ من الشعب

في الصحيحين من حديث عبد الله بن الحارث أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويعضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» (٤) والمعنى أنه خفف عنه العذاب .

روى مسلم عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بتعلين يعلين منهما دماغه» (٥)

١- أخرجه البخاري (٢٤٣٢) باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها

٢- أخرجه النسائي في الكبرى (٨٣٠١) مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

٣- أخرجه البخاري (٣٨٨٤) باب [ص: ٥٢] قصة أبي طالب

٤- أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (١٩٤/١)، (٢٠٩)

٥- أخرجه مسلم (٢١٢) باب أهون أهل النار عذابا

قال الحافظ: فِي سُؤَالِ الْعَبَّاسِ عَنْ حَالِ أَبِي طَالِبٍ مَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ مَا أَخْرَجَهُ بِنِ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ بِنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدٍ فِيهِ مَنْ لَمْ يُسَمَّ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا تَفَارَبَ مِنْهُ الْمَوْتُ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَبَى قَالَ فَظَنَرَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ وَهُوَ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ فَأَصْغَى إِلَيْهِ فَقَالَ يَا بِنِ أُخِي وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ أُخِي الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُولَهَا وَهَذَا الْحَدِيثُ لَوْ كَانَ طَرِيقُهُ صَحِيحًا لَعَارَضَهُ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ فَضَلًّا عَنْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ^(١)

روى النسائي وغيره عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ، فَمَنْ يُؤَارِيهِ؟» قَالَ: «أَذْهَبَ فَوَارِ أَبَاكَ، وَلَا تُحَدِّثْ حَدَثًا حَتَّى تَأْتِيَنِي فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَعْتَسِلَ، فَأَعْتَسَلْتُ، وَدَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسْرُبُنِي مَا عَلَى الْأَرْضِ بِشَيْءٍ مِنْهُنَّ»^(٢)

وقد أجمع أهل العلم على شفاعته النبي ﷺ في عمه أبي طالب وهذه شفاعته خاصة بالنبي ﷺ .

شبهة : فإن قيل قال الله تعالى ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]

الجواب : لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة .

أبو طالب وقف بجوار النبي ﷺ يؤيده وينصره وكان من حكمة الله تعالى أن بقى على كفره فلولا أنه كان على كفره ما حصل هذا الدفاع منه عن رسول الله ﷺ : بل كان سيؤذى كما يؤذى رسول الله ﷺ ، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه وصار للنبي ﷺ جانب من الحماية.

قال الحافظ: مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ لَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَأَسَلَّمَ اثْنَانِ وَكَانَ اسْمُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ يُنَافِي أَسَامِي الْمُسْلِمِينَ وَهُمَا أَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَأَبُو هَبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بِخِلَافِ مَنْ اسَلَّمَ وَهُمَا حَمْرَةَ وَالْعَبَّاسُ^(٣)

زواج النبي من سودة بنت زمعة : وفي شوال من سنة عشر من البعثة تزوج ﷺ من سودة بنت زمعة رضى الله عنها

روى الإمام أحمد في مسنده وغيره عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ حَدِيحَةُ، جَاءَتْ حَوْلَهُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَزُوجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟»

١- فتح البارى (٧/ ١٩٤)

٢- أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤٨١) وأبو داود (٣٢١٤) وصححه الألباني

٣- فتح البارى (٧/ ١٩٦)

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكَرًا، وَإِنْ شِئْتَ نَيْبًا؟ قَالَ: «فَمَنْ الْبَكْرُ؟» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنْ النَّيْبُ؟» قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، أَمَنْتُ بِكَ، وَاتَّبَعْتُكَ عَلَى مَا تَقُولُ ، قَالَ: «فَادْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ» ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُم مِّنَ الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَنْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِي، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُم مِّنَ الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَحَبِّهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: " اِرْجِعِي إِلَيْهِ فُقُولِي لَهُ: «أَنَا أَحْوَكُ، وَأَنْتِ أَحْيِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْتِنْتُكَ تَصْلُحُ لِي» ، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: أَنْتَظِرِي وَخَرِّجِي، قَالَتْ أُمَّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بَنِ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللَّهِ مَا وَعَدَ وَعَدَا فَطُ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي فُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصِيبِي صَاحِبِنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقُولُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَّجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدْتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِحَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُكَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتُهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحُجِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَحَيْثُ بَتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: حَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيُّ بِنْتِئِهِ إِنْ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكَ، وَهُوَ كُفَّاءٌ كَرِيمٌ، أُحِبُّبِنَ أَنْ أُزَوِّجَكَ بِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِي لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحُجِّ، فَجَعَلَ يَخْشِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنْ لَسْتِغِيهِ يَوْمَ أَحْتَنِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ^(١)

رحلة الطائف : وهذا تابع للقسم الثاني من أدوار الدعوة الجهرية والتي كانت الدعوة فيها خارج مكة.

*** هام عن جماعة التبليغ والدعوة :

سئل الشيخ عبد الرزاق عفيفي عن خروج جماعة التبليغ لتذكير الناس بعظمة الله ؟

١- أخرجه أحمد (٢٥٧٦٩) بإسناد حسن

قال " الواقع أنهم مبتدعة ومحرفون وأصحاب طرق قادية وغيرهم وخروجهم ليس في سبيل الله ولكنه في سبيل إلياس وهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ولكن يدعون إلى شيخهم " إلى أن قال " وأنا أعرف جماعة التبليغ من زمان قسّم وهم المبتدعة في أي مكان كانوا"^(١)

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله :

" لاخير فيها فإنها جمعية بدعة وضلال وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدتها تشمل على الضلالة والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك " ١٣٨٢/١/٢٩

وقال العلامة بن باز رحمه الله :

جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة فلا يجوز الخروج معهم "

وقال العلامة الألباني رحمه الله :

" جماعة التبليغ لا تقوم على منهج الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح فلا يجوز الخروج معهم "

وقال العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله :

" جماعة التبليغ عندهم أمور منكرة ... والمؤسسون لها من أهل البدع "

الرحلة إلى الطائف :

في شوال سنة عشر من البعثة ومكث بها صلى الله عليه وسلم عشرة أيام .

أسباب الرحلة إلى الطائف:

- إشتداد مقاومة قريش للدعوة عقب موت أبي طالب .

- البحث عن مركز جديد للدعوة .

روى الشيخان من حديث عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: " لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبه"^(١)، إذ عرضت

١- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/٣٧٢)

نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ ^(١)، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ^(٢)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَانظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ"، قَالَ: "فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ^(٤)"، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» ^(٥)

وفي الحديث : بيان شفقة النبي ﷺ ومزيد صبره وحلمه .

ما أصاب النبي ﷺ يوم أحد أبلغ من الناحية الجسمية ، أما من الناحية النفسية فإن إصابته يوم الطائف أبلغ وأشد : لأن فيها إرهافا كبيرا لنفسه .

الدعاء : أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح ولكنه مرسل محمد بن كعب القرظي ، والمرسل من أنواع الضعيف لا يحتج به إلا مع قرائن .

"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَايَ عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتَنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمَنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ" ^(٦)

وفد جن نصيبين:

١- عقبة الطائف وليست عقبة منى

٢- أي على الجهة المواجهة لي ، أي انطلقت هائما لا أدري أين أتوجه

٣- أي لم أظن لنفسى وانتبه لحالى ، والموضع الذى أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا فى قرن الثعالب لكثرة همى الذى كنت فيه ، وقرن الثعالب هو قرية المنازل ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة ، وأصل القرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير

٤- (الأخشبين) هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله أي إن شئت ضمنت الأخشبين وجعلتهما كالطبق عليهما حتى هلكوا تحته

٥- أخرجه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥)

٦- أخرجه ابن هشام فى السيرة (١/ ٤٢٠) وابن كثير فى السيرة النبوية (٢/ ١٥٠)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انصرفت من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يمس من خير تقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من خوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } [الأحقاف: ٢٩] . إلى قوله تعالى: { وَيُحِزُّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ } [الأحقاف: ٣١] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ } . [الجن: ١] . إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة^(١)

وَأَقَامَ بِنَخْلَةَ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَخْرَجُوكَ؟ يَعْنِي فُرَيْشًا. قَالَ: يَا زَيْدُ، إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظَهِّرٌ نَبِيَّهُ. فلما انتهى إلى مكة، أرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي: ادخل في جوارك؟ فقال: نعم. فدعا بنيه وقومه، وقال: اليسوا السلاح، وكوئنا عند أركان البيت، فإني قد أجزت محمداً. فدخل رسول الله ﷺ، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم على راحلته، فنادى: يا معشر فريش، إني قد أجزت محمداً، فلا يهجه أحد منكم. فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن، فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته ومطعم وولده مخدقون به بالسلاح حتى دخل بيته.^(٢)

وقد حفظ رسول الله ﷺ هذا الصنيع للمطعم: روى البخاري في صحيحه من حديث محمد بن جبير، عن أبيه رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء التتى لتركتهم له»^(٣) سماهم نتي رائحة كريهة (إنما المشركون نجس)

الإسراء والمعراج :

قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

قال تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُتَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (٤٢٢ / ١) وأبو نعيم في الدلائل (٢٥٩)

٢- زاد المعاد (٣ / ٣٠)

٣- أخرجه البخاري (٣١٣٩) باب ما من النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى من غير أن يحمس

رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ
وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٥ : ١٨ : النجم﴾ .

أولا متى كان الإسراء والمعراج ؟

الجواب : على أقوال لأهل العلم :

١- كان الإسراء والمعراج في سنة البعثة (الطبري)

٢- كانت بعد البعثة بخمس سنوات (النووي والقرطبي)

٣- كانت ليلة السابع والعشرين من رجب في السنة العاشرة من البعثة (المنصور فوري)

٤- كانت في رمضان في السنة الثانية عشر من البعثة .

٥- كانت في المحرم للسنة الثالثة عشر من البعثة .

٦- كانت في ربيع الأول للسنة الثالثة عشر من البعثة .

والأقوال الثلاثة الأول مردودة ولا تصح وذلك لأن خديجة رضی الله عنها ماتت في رمضان سنة عشر
وكانت وفاتها قبل أن تُفرض الصلاة ومعلوم أن الصلاة فُرضت في الإسراء والمعراج .

*** والإسراء كان يقظة لامناما بجسده وروحه راكبا البراق .

*** من رواوا حديث الإسراء والمعراج من الصحابة منهم (عمر - علي - ابو هريرة - ابن مسعود -

ابو ذر - مالك بن صعصعة - ابو سعيد - ابن عباس - ام هانيء - حذيفة - وغيرهم)

روى ابن ماجه عن أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ
مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ
الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ" (١)

وروى البيهقي والطبراني عن أبي أمامة، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فَرَأَى عَلَى بَابِهَا
مَكْتُوبًا الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ" (٢) وصححه الألباني .

١- أخرجه ابن ماجه (٢٤٣١) وقال الألباني : ضعيف جداً

٢- أخرجه الطبراني (٧٩٧٦) والبيهقي في الشعب (٣٢٨٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤٠٧)

بداية الرحلة : روى البيهقي في الدلائل قال ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ (فَإِنْ قِيلَ مَا الْحِكْمَةُ فِي الْإِسْرَاءِ بِهِ رَاكِبًا مَعَ الْفُتْرَةِ عَلَى طَيِّ الْأَرْضِ لَهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ تَأْنِيْسًا لَهُ بِالْعَادَةِ فِي مَقَامِ خَرْقِ الْعَادَةِ) يَضَعُ خَطْوَهُ (حافره) عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ (١)

و عند ابن حبان عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مُسْرِعًا مُلْحَمًا لِيَرْكَبَهُ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ قَالَ فَارْفُضْ عِرْقًا" (٢) (فركبته حتى أتيت بيت المقدس . فربطته بالحلقة (٣) التي يربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت .

روى أبو نعيم في الدلائل وأصل الحديث في الصحيحين عن محمد بن كعب القرظي . وزاد أبو نعيم يقول أبو سفيان وما معنى من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقني في شيء حتى ذكرت قوله ليلة الإسراء فقلت أيها الملك، ألا أخبرك خبراً تعرف به أنه قد كذب؟. قال: وما هو؟ قلت: إنه زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فحجاء مسجداً هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح. قال: وبطريق إيلياء عند رأس قيصر، فقال: قد علمت تلك الليلة، قال: فنظر إليه قيصر، وقال: وما علمك بهذا؟ قال: إني كنت لا أنام ليلة أبداً حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى، فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرنى فلم نستطع أن نحركه، كأننا نزاول جبلا، فدعوت النجارين فنظروا إليه فقالوا: هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح، فننظر من أين أتى، فرجعت وتركت البابين مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب، وإذا فيه أثر مريط الدابة، فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلى الليلة في مسجدنا هذا.

روى البزار وابن حبان بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ فَاتَى جَبْرِيلُ الصَّخْرَةَ الَّتِي بَيْنَتِ الْمَقْدِسِ فَوَضَعَ أَصْبَعَهُ فِيهَا فَخَرَفَهَا فَشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ (٤)

١- أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٧٨ / ٢)

٢- أخرجه ابن حبان (٤٦) وصححه الألباني

٣- حلقة باب مسجد بيت المقدس

٤- أخرجه البزار (٢٨٧ / ١٠) وابن حبان في المورد (٣٤)

بعض مشاهد الإسراء : فركبت ومعى جبريل عليه السلام، فسرت، فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت صليت بطيبة، وإليها المهاجر. ثم قال: انزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلم الله موسى. ثم قال: انزل فصل، فصليت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بيت لحم حيث ولد عيسى . ثم مر بأرض بيضاء فقال: انزل فصل، فصلى، فقال: صليت بمدين .

وعند البيهقي في الدلائل (أنه مر بشيء يدعوه مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: سِرَّ يَا مُحَمَّدُ .. وأنه مر بِعَجُوزٍ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ سِرَّ يَا مُحَمَّدُ .. وأنه سار فَلَقِيَهُ خَلْقٌ مِنَ الخَلْقِ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا آخِرَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ارْزُدِ السَّلَامَ يَا مُحَمَّدُ، فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَمَّا العَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِ تِلْكَ العَجُوزِ، وَأَمَّا الَّذِي أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ فَذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(١)

المسجد الأقصى :

روى مسلم عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكْتَكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ» وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ «ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكْتَكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّهِ، فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ»^(٢)

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ: " أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالَ ثَلَاثَةِ: سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأَوْتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَوْتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَعَ مِنْ بِنَاءِ المَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَازُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " ^(٣)

قال الحافظ: أَوَّلُ البِنَاءِ وَوَضِعِ أُسَاسِ المَسْجِدِ وَلَيْسَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى الكَعْبَةَ وَلَا سُلَيْمَانُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ .. وَقَالَ القُرْطُبِيُّ إِنَّ الحَدِيثَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَيْمَانَ لَمَّا بَنَى المَسْجِدَ ابْتَدَأَ

١ - أخرجه البيهقي في الدلائل (٢ ٣٦٢)

٢ - أخرجه مسلم (١/٣٧٠، ٥٢٠) كِتَابُ المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ

٣ - أخرجه النسائي (٦٩٣) وصححه الألباني

وَضَعُهُمَا لَهُمَا بَلْ ذَلِكَ تَجْدِيدٌ لِمَا كَانَ اسْمُهُمَا... وقال الحافظ وقد رُوينا أن أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام^(١):

روى ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ»^(٢)

المسجد الأقصى (مساحته ٢٧ فيراط ٤٧٢٥ متر مربع - فيه ١٠٢ من الأعمدة ٥٣ رخام و٤٩ حجارة - به ١٤ باب)

*** تابع مشاهد في الرحلة :

روى ابن ماجه والترمذى وصححه الألباني عن ابن مسعود قال: «حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ عَلَى مَلَاٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا أَمَرُوهُ أَنْ مُرَّ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ»^(٣)

قال الحافظ: رَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ قَالَ تُحَدِّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ أَخَافَ أَنْ يَغْرَرَ مِنْهُ وَقَدْ سَحَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ الْمُثَبِّتُ مُقَدِّمٌ عَلَى النَّاسِ يَغْنِي مَنْ أَتَيْتَ رَبَطَ الْبِرَاقِ وَالصَّلَاةَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَهُ زِيَادَةٌ عِلْمٍ عَلَى مَنْ نَقَى ذَلِكَ

فإن قيل ولماذا البراق مع أن القدره كانت صالحه لأن يصعد بنفسه من غير براق ولكن ركوب البراق كان زياده له في تشريفه لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماشٍ والراكب أعز من الماشي^(٤)

روى مسلم عن أبي هريرة قال ﷺ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَّتْهُمْ^(٥)

عند البيهقي عن عبد الله بن مسعود وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ ثم أقيمت الصلاة فأمَّتْهُمْ

عند بن أبي حاتم عن أنسٍ فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناسٌ كثيرٌ ثم أذن مؤذناً فأقيمت الصلاة فقمنا صُفُوفًا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم^(٦)

١- فتح الباري (٦/٤٠٨)

٢- أخرجه ابن ماجه (١٤٠٦) وصححه الألباني

٣- أخرجه ابن ماجه (٣٤٧٩) والترمذى (٢٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٧١)

٤- فتح الباري (٧/٢٠٨)

٥- أخرجه مسلم (١٧٢) باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال

بداية المعراج :

روى الشيخان والبيهقى فى الدلائل قال ﷺ ثم أتيت بالمعراج^(٢) فلم أر قط شيئا أحسن منه فوضعت لى مرقاة من فضة و مرقاة من ذهب ثم أخذ جبريل بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل: لحازن السماء افتح (يدل على إن الباب كان مغلقا قال بن المبير حكيمته التحق أن السماء لم تفتح إلا من أجله) قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، (فيه من أدب الاستئذان أن المستأذن يسمي نفسه لئلا يلتبس بغيره) قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم (المعنى أرسل إليه للتعرج إلى السماء) فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، فلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمة بيته، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى^(٣) (النسمة جمع نسمة وهي الروح وظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء وهو مشكل قال القاضي عياض قد جاء أن أرواح الكفار في سجين وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا وهو ظاهر في حديث الإسراء وأجاب بأنه يُحتمل أنها تُعرض على آدم أوقاتا فصاف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كونهم في الجنة والنار إنما هو في أوقات دون أوقات قوله تعالى النار يُعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بأن أرواح الكفار لا تُفتح لها أبواب السماء والجواب عنه ما أبداه هو احتمالا أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يُكشف له عنهما اه ويُحتمل أن يقال إن النسمة المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أُعلم بما سيصرون إليه فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره بخلاف التي في الأجساد فليست مرادة قطعًا وبخلاف التي انتقلت من الأجساد إلى مستقرها من جنة أو نار فليست مرادة أيضًا فيما يظهر^(٤)

١- فتح البارى (٧/ ٢٠٨)

٢- وهو السلم

٣- أخرجه البيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٨٠)

٤- فتح البارى (١/ ٤٦١)

وَقَوْلُهُ مَنْ مَعَكَ يُشْعِرُ بِأَنَّهُمْ أَحْسُوا مَعَهُ بِرَفِيقٍ وَإِلَّا لَكَانَ السُّؤَالُ بِلَفْظِ أَمَعَكَ أَحَدٌ وَذَلِكَ الْإِحْسَانُ إِمَّا بِمُشَاهَدَةِ لِكَوْنِ السَّمَاءِ شَفَافَةً وَإِمَّا بِأَمْرِ مَعْنَوِيٍّ كَزِيَادَةِ أَنْوَارٍ أَوْ نُحُوهَا .. قَوْلُ مُحَمَّدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِسْمَ أَوْلَى فِي التَّعْرِيفِ مِنَ الْكُنْيَةِ

ملحوظة : بالنسبة للنسمة التي رآها آدم يحتمل أن يكون المراد بها من خرجت من الأجساد حين خروجها لأنها مستقرّة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء الدنيا أن يفتح لها أبواب السماء ولا تلحها وقد وقع في حديث أبي سعيد عند البيهقي ما يؤيده ولفظه فإذا أنا بآدم تُعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تُعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين وفي حديث أبي هريرة عند البزار فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة .

وفي قول آدم بالابن الصالح إشارة إلى افتخاره بأبوة النبي صلى الله عليه وسلم والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد^(١)

** وصف نبي الله آدم :-

روى البيهقي في الدلائل عن أبي سعيد قال صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بآدم كهية يوم خلقه الله على صورته^(٢)

عود للحديث (ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فيعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح (وقد استشكل رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرّة في قبورهم بالأرض وأجيب بأن أرواحهم تشكّلت بصور أجسادهم أو أُحضرت أجسادهم لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشریفاً له وتكريماً) ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فيعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فردت ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، (وعند الطبراني عن أبي هريرة فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالفمر ليلة البدر على سائر الكواكب .. وهذا إشكال وهو ما رواه الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبياً أحسنهم وجهاً

١- فتح الباري (٧/٢١٠)

٢- أخرجه البيهقي (٢/٣٩٢) باسناد ضعيف

وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا . والجواب إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ لا يدخل فِي عُمُومِ خِطَابِهِ . بمعنى أَنه أُعْطِيَ شَطْرَ الحِسنِ ولا يدخل فِيهِ نَبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ابن المُبَرِّقِ أَنَّ المُرَادَ أَنَّ يُوسُفَ أُعْطِيَ شَطْرَ الحِسنِ الَّذِي أُوتِيَهُ نَبِيًّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .) ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الحَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكى، قِيلَ لَهُ: مَا بَيْنَكِ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، (لَمْ يَكُنْ بِنَاءِ مُوسَى حَسَدًا بَلْ كَانَ أَسْفًا عَلَى مافاتِهِ مِنَ الأَجْرِ لِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ غُلَامٌ فَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّنْوِيهِ بِقُدْرَةِ اللهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ إِذْ أُعْطِيَ لِمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ السَّنِّ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ مِمَّنْ هُوَ أَسْنُ مِنْهُ وَقَدْ وَقَعَ مِنْ مُوسَى مِنَ العِنَايَةِ بِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَفْعَلْ لِعَبْرَةٍ) ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ (وفي رواية فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ) ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى (لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الأَقْلَامِ) (وَهُوَ تَصَوُّبُهَا حَالَةَ الكِتَابَةِ قال الخُطَّابِيُّ هُوَ صَوْتٌ مَا تَكْتُبُهُ المَلَائِكَةُ مِنْ أَقْضِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْيِهِ وَمَا يَنْسَخُونَ مِنَ اللُّوحِ المَحْفُوظِ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُكْتَبَ) فَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، (سُمِّيَتْ سِدْرَةَ المُنْتَهَى لِأَنَّ عِلْمَ المَلَائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا فَلَمَّا عَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا عَشِيَهَا تَعَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا) وَإِذَا أَرْبَعُهُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلِ وَالقُرَاتُ (قَالَ النَّوَوِيُّ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ أَصْلَ النَّيْلِ وَالقُرَاتِ مِنَ الجَنَّةِ وَأَنَّهُمَا يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ثُمَّ يَسِيرَانِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَنْزِلَانِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَسِيرَانِ فِيهَا ثُمَّ يَخْرُجَانِ مِنْهَا وَهَذَا لا يَمْنَعُهُ العَقْلُ . وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ مَاءِ النَّيْلِ وَالقُرَاتِ لِكَوْنِ مَبْعُوعِهِمَا مِنَ الجَنَّةِ) ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ

روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَزْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَحْمُسُونَ وَحُوهُهُمْ وَصُدُورُهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ حُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ" (١)

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ" (٢)

روى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث جابر قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِالْمَالِ الْأَعْلَى، وَجَبْرِيلُ كَالْحَلِيسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٣)

روى الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقِيْتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَيْ أُمَّتَكَ مِيَّ السَّلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. (٤)

روى ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ بَطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بَطُونِهِمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَهُ الرَّبَا" (٥)

روى البيهقي عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه (نَظَرْتُ - يعني: ليلة أسري به - فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ هُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ وَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ وَيَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ ، فَتَخْرُجُ مِنْ أَسْفَلِهِمْ ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطُونِهِمْ نَارًا) [النساء: ١٠] (٦)

١- أخرجه أحمد (١٣٣٤٠) إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأبو داود (٤٨٧٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٢)

٢- أخرجه أحمد (١٢٢١١) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩١)

٣- أخرجه الطبراني في الاوسط (٤٦٧٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٩)

٤- أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) والطبراني (٥٣٩) وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٥)

٥- أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٣) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٩٣)

٦- أخرجه ابن جرير في التفسير (٤٥٤/٦) وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٤٥٩)

قال الحافظ في الفتح : الْحِكْمَةُ فِي الْإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ إِزَادَةٌ إِظْهَارِ الْحَقِّ لِمُعَانَدَةِ مَنْ يُرِيدُ إِحْمَادَهُ لِأَنَّهُ لَوْ عُرِجَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى السَّمَاءِ لَمْ يَجِدْ لِمُعَانَدَةِ الْأَعْدَاءِ سَبِيلًا إِلَى الْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ فَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلُوهُ عَنْ تَعْرِيفَاتِ جُرْئِيَّاتٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانُوا رَأَوْهَا وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَأَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهَا حَصَلَ التَّحْقِيقُ بِصِدْقِهِ فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ وَإِذَا صَحَّ خَبْرُهُ فِي ذَلِكَ لَزِمَ تَصْدِيقُهُ فِي بَقِيَّةِ مَا ذَكَرَهُ فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ وَزِيَادَةً فِي شَقَاءِ الْجَاهِدِ وَالْمُعَانَدِ^(١)

روى الحاكم بسند صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " (٢)

أثر الرحلة على قريش :

روى الإمام أحمد عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَطَعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكْذِبِي " فَقَعَدَ مُعْتَرِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَعَمْ " قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: " إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ " قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: " إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ " قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَلَمْ يَرِهِ أَنَّهُ يُكْذِبُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمُهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَعَمْ ". فَقَالَ: هَيَّا مَعَشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدَّثْتُ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ " قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ "، قَالَ: " فَجِيءَ

١- فتح الباري (٧/ ٢٠١)

٢- أخرجه الحاكم (٤٤٥٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٦)

بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وَضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ "، قَالَ: " وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ " قَالَ: " فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَا النِّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ " (١)

روى الحاكم بسند صحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ فَمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنُ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِحَبْرِ السَّمَاءِ فِي عَدْوَةٍ أَوْ رُوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ " (٢)

وعند أبي يعلى الموصلى فى المعجم من حديث أم هانئ أن الذى أشار على النبى ﷺ بوصف البيت هو المطعم بن عدى

روى البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ، فُتِمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» (٣)

وعند مسلم من رواية أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَثْبِتْهَا، فَكُرِئَتْ كُرْبَةً مَا كُرِئَتْ مِثْلَهُ قَطُّ» ، قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ " (٤)

وعند أحمد والبخاري بإسناد حسن من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ " فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وَضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ " (٥)

قال الحافظ : وهذا أبلغ في المعجزة ولا إستحالة فيه .

١- أخرجه أحمد (٢٨١٩) إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الشيخ أحمد شاكر

٢- أخرجه الحاكم (٤٤٥٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٦)

٣- أخرجه البخاري (٣٨٨٦) ومسلم (١٧٠)

٤- أخرجه مسلم (١٧٢) بابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَالْمَسِيحِ الدَّجَالِ

٥- أخرجه أحمد (٢٨١٩) إسناده صحيح على شرط الشيخين وصححه الشيخ أحمد شاكر ، والبخاري في كشف

الاستار (٥٧)

وعند ابن سعد في الطبقات من حديث أم هانئ أنهم قالوا للنبي ﷺ " كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ؟ وَلمَ أَكُنْ عَدَدْتُ أَبْوَابَهُ. فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَأَعُدُّهَا بَابًا بَابًا .. " (١)

فقالوا جميعا - وفيهم من ذهب وشاهد المسجد الأقصى - أما الوصف فقد صدق .

(حَدِيثُ سُؤَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ)

رواه البيهقي في الدلائل وأصحاب السير عن عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه، قالوا: قدم سويد بن الصامت، أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجًا أو معتمرًا، وكان سويد يسميه قومه فيهم الكامل؛ ليسه وجلده وشعره قال: فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما الذي معك؟» فقال بحلة لقمان، يعني حكمة لقمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعرضها علي»، فعرضها عليه، فقال: " إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل منه: قرآن أنزله الله عز وجل علي هو هدى ونور "، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن، ثم انصرف فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، وكان رجال من قومه يقولون: إنا لترى أنه قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل بعث (٢)

ما بعد الإسراء والمعراج :

أصبح واضحاً عدم إستجابة قريش للدعوة وأنهم مازالوا حجر عثرة في طريقها : وأن بذل الجهد معهم ما هو إلا ضياع للوقت بلا فائدة ، فبدأ رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل .

روى الإمام أحمد عن شيوخ من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، - وكان الناس يزدحمون عليه غير أنهم لا يقولون شيئاً وهو لا يسكت ويكرر دعوته - قال: وأبو جهل يحنى عليه الشراب ويقول: يا أيها الناس، لا يعزبكم هذا عن دينكم، فإمّا يريد لتشركوا آلهتكم، وتشركوا اللات والعزى (٣)

١ - أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١٦٧)

٢ - أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٤١٩)

٣ - أخرجه أحمد (١٦٦٠٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين

وفي موسم الحج للعام الحادى عشر من البعثة : وبينما النبي ﷺ يسير عند عقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمدهم حتى لحقهم وكانوا ستة نفر من الخزرج وهم : (أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ - رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ - قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ - عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ - جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ رَبَابٍ) .

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما لحقهم رسول الله ﷺ قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَفَلَا بَجَلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمَ، تَعَلَّمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودٌ، فَلَا تَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاَهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ^(١) .

*** فائدة :- قال يحيى بن معاذ الرازي " لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة "

قال ابن إسحاق " ولعل استشعار الأنصار لحاجتهم إلى عقيدة تربط بينهم بعد التمزق والعداوة التي خلفتها وقعة بعاث قبل سنين من هذا اللقاء كان سببا هيأه الله تعالى لإسلامهم وكذلك مقتل رؤسائهم في بعاث خفف من التزاحم على الزعامة والأنفة من الدخول في الإسلام خوف فقدان السلطان والزعامة. وبعد الإنهاء من عرض الإسلام عليهم وقالوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَندَعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَحْبَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ. ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا. ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ^(٢)

بيعة العقبة الأولى :

في العام التالى على لقاء وفد الخزرج حضر اثنا عشر رجلاً . عشر من الخزرج وإثنان من الأوس . وعند العقبة بمنى تمت البيعة .

في الصحيحين وعند ابن إسحاق واللفظ له عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٢٨) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٣٤)

٢- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٢٩)

الحرب، على ألا تُشرك بالله شيئاً، ولا نسرِق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببُهتانٍ نَفْتَرِيه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف: "فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عز وجل، إن شاء عذب وإن شاء عَفَرَ".^(١)

ملحوظة على نصوص البيعة : نص البيعة يكل معاقبة الجرائم إلى الله تعالى في الآخرة لعدم تشريع الحدود الإسلامية في وقت البيعة .

ولما أُنجزت البيعة عاد الأنصار إلى المدينة وبعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير وأمره أن يُقرئهم القرآن ويُعلمهم الإسلام ويُفقههم في الدين .

ما قام به مُصعب بن عمير:

قال ابنُ إسحاق نزل مُصعب بن عمير على أسعد بن زراره فخرَج بمُصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، فدخَلَ به حائطاً من حوائط بني ظفر. فجلَسا في الحائط على بئر يُقال لها: بئر مرق واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، يؤمِّد سيداً قومهما وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيدي بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا لیسقفا ضعفاءنا، فارجهما وانهما عن أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارَةَ مني حيث قد علمت كفتيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مَقْدماً، قال: فأخذ أسيد بن حضير حزبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد ابن زرارَةَ، قال لمُصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فأصدق الله فيه، قال مُصعب: إن يجلس أكلّمه. قال: فوقف عليهما مُتَشَتِّماً، فقال: ما جاء بكما إينا تُسقفا ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مُصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفت عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حزبته وجلس إليهما، فكلّمه مُصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يُذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تعتسل وتطهر وتؤبى، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تُصلي. فقام فاعتسل وطهر وتؤبى، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأزسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حزبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقبلاً، قال: أخلف بالله لقد جاءكم أسيد بعير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما

١ - أخرجه ابن هشام في السيرة (١/٤٣٣) البخاري (٤٨٩٤) ومسلم (١٧٠٩)

فَعَلْتِ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِنَّ بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفَعْنَا مَا أَحْبَبْتِ، وَقَدْ خُدَّتْ أَنْ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَاتِكَ، لِيُخْفِرُواكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدُ مُعْضَبًا مَبْدِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي دُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَعْنَيْتِ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدُ مُطْمَئِنِّينَ، عَرَفَ سَعْدُ أَنَّ أَسِيدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُشْتَمًّا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، (أَمَا وَاللَّهِ) ، لَوْلَا مَا بَنَيْتُ وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَعْتَشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ- وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ ابْنُ زُرَّارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيُّ مُصْعَبٍ، جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيْدٌ مِنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعَكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ ائْتَانًا- قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْتَعُدُّ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيَتْ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ فَبَلِّغْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا نَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدُ: أَنْصَفْتُ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: نَعْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهَّرُ نَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاعْتَسَلَ وَطَهَّرَ نَوْبَيْهِ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ.: فَلَمَّا رَأَهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا (وَأَوْصَلْنَا) وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيَّمُنَّا نَقِيَّةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. قَالَا: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ^(١)

* بيان ثمره التربية الصحيحة ظهر في مُصعب .

بيعة العقبة الثانية :

ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ يَحْمِلُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَائِرِ الْفُوزِ وَيَقْصُ عَلَيْهِ خَبَرَ قَبَائِلِ يَشْرِبُ وَمَا فِيهَا مِنْ مَوَاهِبٍ وَمَا لَهَا مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ .

وفي موسم الحج من السنة الثالثة عشرة من البعثة جاء حجاج مشركي المدينة لأداء مناسك الحج وبينهم مسلموا المدينة متخفين . فقالوا فيما بينهم حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويُطرد في جبال مكة ويُخاف .

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٣٦) وما بعدها

قدر الله لنبيه الكريم ولدينه القويم بلدا لا تغلق أبوابها عن داخل ولا خارج وهي مكة فلم يستطع أحد من كره دعوته من عظماء مكة ورؤسائهم أن يغلقوا أبواب بلدهم ليمنعوا دعوته من الإلتشار .

جعلها واد غير ذى زرع مما جعلهم يآلفون رحلة الشتاء والصيف .

خروج زمرة من المدينة سمعوا منه دعوته فإستجابوا لها وقالوا إنه النبي المبعوث الذى بشرت به يهود فلا يسبقنكم إلى إتباعه أحد . قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٨٩: البقرة] .

ومن التدبير الإلهى الذى هيا الله به المدينة لهجرة نبيه ﷺ أن العداء بين الأوس والخزرج كان طويلا وأمدا بعيدا نشأمنه أمران :- الأول :- أن القوم كانوا قد تعلموا فنون الحرب وكانوا قد جمعوا الشجاعة والإقدام فلما جاء الإسلام ونابذهم الناس العداء قال قائلهم يوم بدر إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدِّقَ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فكانوا لا يهابون الحرب ولا يخافون السيف .

الثانى : أن القوم كانت بينهم مُصاهرات فإذا وقعت الحرب بينهم إلتقوا بسيوفهم وبينهم الأرحام والقربات فسُفكت الدماء بأيديهم على ما بينهم من قربات ومصاهرة فإشتاقوا لسلم يجمعهم فيكفوا أسلحتهم .

المدينة دار زرع يصبر سكانها على حصارها إذا حوصروا كما وقع ذلك يوم الأحزاب .

تابع بيعة العقبة الثانية :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بِالْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - هَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامِ بْنِ جَابِرٍ، سِيدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذَنَا مَعَنَا وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سِيدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِيَّانَا الْعَقَبَةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا

قَالَ: فَمِمَّنَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَحْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَابِيٍّ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلْمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ .

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ نُنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أُخِيهِ وَيَتَوَقَّعَ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخُزْجِ قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِتْمًا يُسْمُونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ: الْخُزْجِ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَا مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْخِيَارَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّهُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَازِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحِذِّ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَعَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: "أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي بِمَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ". قَالَ: فَأَخَذَ الْبِرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِنَمْنَعَنَّكَ بِمَا تَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الْخُزُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْفَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبِرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ جِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا يَعْنِي الْيَهُودَ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنَ الْخُزْجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ^(١)

بنود المعاهدة :

١- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة في العسر واليسر.

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/٤٤١) وما بعدها

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤- وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة»

ولما تم إبرام المعاهدة، وكان القوم على وشك الإنفصاض، اكتشفها أحد الشياطين، في اللحظة الأخيرة قام ذلك الشيطان على مرتفع من الأرض، وصاح بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الأحاشب- المنازل- هل لكم في محمد والصبابة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا أذب العقبة، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك»

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ نَضَلَةَ: وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِئِي عَدَا بِأَسْيَافِنَا؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا، فَنَمْنَا عَلَيْهَا حَتَّى أَصْبَحْنَا.

وصول الخبر إلى زعماء مكة فذهبوا إلى مُحَيِّم أهل يثرب فقالوا: يَا مَعْشَرَ الْخُزْجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ أَبْعَضُ إِلَيْنَا، أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، مِنْكُمْ. قَالَ: فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ .

** الصراحة والوضوح والمصادقية التامة في كلام أبي الهيثم بن التيهان .

** عدم التسرع في القتال إلا بعد الإعداد التربوي والجسدي .

الهجرة :

لما تمت بيعة العقبة الثانية وتعهد الأنصار بمنع النبي ﷺ ممن يمنعونه منه أزرهم .

تدل الروايات على أن الإذن بالهجرة واختيار المكان كان بوحى .

في الصحيحين عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَيَّ أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ بَحَا نَحْلٍ، فَذَهَبَ وَهَلِي (١) إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ (٢)، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ (٣) . (٤)

قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾

بيان أثر التربية في تنفيذ الهجرة وعدم التأخر :

معنى الهجرة : إهدار المصالح والتضحية بالأموال والنجاة بالشخص ومع ذلك عند الهجرة كان يشعر المسلم بأنه مستباح منهوب قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدرى عنه شيئاً .

وفي رواية عند البخاري قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنِّي أُرَيْتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ» وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ غَامَةً مَنْ كَانَ هَاجِرًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، (٥)

الْحَرَّةُ هِيَ أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ

قَالَ الْحَافِظُ: قَالَ ابْنُ التَّيْنِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أُرِيَ دَارَ الْمُهْجَرَةِ بِصَفَةِ بَحْمَعِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ أُرِيَ الصَّفَةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْمَدِينَةِ فَتَعَيَّنَتْ (٦)

هجرة عامر بن ربيعة وزوجه : في فضائل الصحابة للإمام أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَتْ: وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَنَزَّحِلُّ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَتِنَا، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، قَالَتْ: وَكُنَّا نُلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَدَى لَنَا وَشَرًّا عَلَيْنَا، فَقَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ لَأَنْطَلِقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ، آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَنَا مَخْرَجًا، قَالَتْ: فَقَالَ: صَحَبَكُمُ اللَّهُ، وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ فِيمَا أَرَى خُرُوجَنَا، قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ مِنْ حَاجَتِنَا تِلْكَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ

١- وهمي واعتقادي

٢- مدينة معروفة وهي قاعدة البحرين

٣- اسمها في الجاهلية فسمها الله تعالى المدينة وسمها رسول الله ﷺ "طيبة وطابة"

٤- أخرجه البخاري (٥٦/٥) (٧٠٣٥) ومسلم (٢٢٧٢)

٥- أخرجه البخاري (٣٩٠٥) بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

٦- فتح الباري (٧/٢٣٤)

عُمَرَ أَنْفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَ عَيْنَيْهَا، قَالَ: أَطْمَعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتَ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: يَا سَأَا لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ^(١)

هجرة أبو سلمة وزوجه (أم سلمة) : روى ابن إسحاق عن أم سلمة، زوج النبي ﷺ - قالت: لما أجمع أبي سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملي عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى، ثم خرج بي يقود بغيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه قالت: وعضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجادبوا بئى سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد، وحسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل عداة فأجلس بالأبطح، فلا أزال، أبكي، حتى أمسى: سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي، أخذ بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمي فقال ليبي المغيرة. ألا تخرجون هذه المسكينة، فرثتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقى بزوجه إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بغيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجرى، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: أتبلغ من لقيت حتى أقدم علي زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أوما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله ثم بي هذا. قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناح بي، ثم استأخر عني؛ حتى إذا نزلت استأخر ببعيري؟ فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الروح، قام إلى ببعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: ازكي، فإذا ركبت واستويت على ببعيري أتى فأخذه بخطامه فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء، قال: زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلا فاذخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة. قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة^(٢)

هجرة عمر بن الخطاب ومن معه :

١ - أخرجه أحمد (٣٧١) في فضائل الصحابة

٢ - أخرجه ابن هشام في السيرة (٤٦٩ / ١)

روى ابن إسحاق عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: اتَعَدْتُ، لَمَّا أَرَدْنَا الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ، وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ التَّنَاضِبِ مِنْ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَوْقَ سَرِفٍ وَقُلْنَا: أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمُضْ صَاحِبَاهُ. قَالَ: فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضِبِ، وَحُبِسَ عِنَا هَشَامٌ، وَفُتِنَ فَاثَتِنِ. فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَيْتِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمَّهِمَا، حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِمَكَّةَ، فَكَلَّمَاهُ وَقَالَ: إِنَّ أُمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشَطٌّ حَتَّى تَرَكَ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَكَ، فَفَرَّقَ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عِيَّاشُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدَكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيُنْفِتُونَكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أُمَّكَ الْقَمَلُ لَأَمْتَشَطْتُ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَأَسْتَظَلَّتْ. قَالَ: فَقَالَ: أَبْرُ قَسَمَ أُمِّي، وَبِي هُنَالِكَ مَا لَ فَاحْذُرْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيُّ لِمَنْ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا. قَالَ: فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا؛ فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ؛ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَمَا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا نَاقَةٌ بَجِيَّةٌ ذَلُولٌ، فَالزَّمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَكَ مِنَ الْقَوْمِ رُبٌّ، فَانْجُ عَلَيْهَا. فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنِ أَحْيِي، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَطْتُ بِعَيْرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَنَاحَ، وَأَنَاحَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَوْتَقَاهُ وَرَطَّاهُ ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ، وَفَتَنَاهُ فَاثَتِنِ. وَ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ نَهَارًا مُوْتَقَا، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، هَكَذَا فَافْعَلُوا بِسَفِيهَاتِكُمْ، كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِيهِنَا هَذَا. قَالَ عَمْرٌ فَكُنَّا نَقُولُ: مَا اللَّهُ بِقَابِلٍ بِمَنْ افْتَنَ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللَّهَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ. فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ، وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَمُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هَشَامِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: فَقَالَ هَشَامُ بْنُ الْعَاصِ: فَلَمَّا أَتَيْتَنِي جَعَلْتُ أَقْرُؤُهَا بِذِي طُوى ١، أَصَعَّدُ بِهَا فِيهِ وَأَصَوَّبُ وَلَا أَفْهَمُهَا حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ فَهْمْنِيهَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِيْنَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِيْنَا. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي، فَحَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِثْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وهو بالمدينة^(١)

هجرة صهيب بن سنان : أبو يحيى النميري يُعرف بالرومي لأنه أقام بالروم مدة .

روى الحاكم عن عكرمة، قال: لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة فنزل كنانته، فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: «لا تصلون إليَّ حتى أضع في كل رجلٍ منكم سهماً، ثم أصرير بعدُ إلى السيف فتعلمون أيَّ رجلٍ، وقد خلفت بمكة قنيتين فهما لكم»^(١) وفي رواية (أرأيت، إن جعلت لكم مالي أتحلون أنتم سبيلي؟ قال: قالوا: نعم، فخلع لهم ماله^(٢))

روى الطبراني عن صهيب، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت بالخروج معه وصدني فتبان من قرئش، فجعلت ليكي تلك أقوم لا أقعد، وقالوا: قد شعلهُ الله عزَّ وجلَّ عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً، فقاموا فخرجت فالحقني منهم ناسٌ بعدما سرتُ يريدون ردي، فقلت لهم: هل لكم أن أُعطيكُم أواقِي من ذهبٍ وحلَّتِين لي بمكة وتُحلون سبيلي وتوثقون لي، ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت: احضروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي، واذهبوا إلى فلانة بآية كذا وكذا فخذوا الحلتين، فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فبأء، قبل أن يتحوَّل منها، فلما رأني قال: «يا أبا يحيى ربح البيع» ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحدٌ، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام^(٣)

العوامل التي ساعدت على هجرة الصحابة :

- ١- أن الإيمان الصحيح بالله تعالى وكتابه ورسوله إذا دخل القلوب وأشرته النفوس عن علم وفهم لا بد أن يؤتى أكله وثمراتهن العمل الظاهري والجهاد بالنفس والمال .
- ٢- فارقوا أقوامهم مفضلين ما بلغهم عن الله ورسوله ﷺ ومؤثرين الحق على ما فيه من مرارة على أعز شيء لديهم من مال وولد .
- ٣- لم يمنعهم من الهجرة قلة المال ولا تعللوا بالعيال والأحبة وما كانوا عليه في مكة من دعة ومكاسب ينالونها بأهون الأسباب لعلمهم بأن كل ذلك بل وجميع متاع الدنيا لا يوازي ما أعدده الله تعالى لهم في الآخرة والدنيا .

١- أخرجه الحاكم (٥٧٠٠) وسكت عنه الذهبي

٢- أخرجه أحمد (١٥٠٩) في فضائل الصحابة

٣- أخرجه الطبراني (٧٢٩٦) وأبو نعيم في الحلية (١/١٥٢)

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي قتادة، وأبي الدهماء، قالاً: كَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ،
 قَالَ: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ الْبَدَوِيُّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا
 عَلَّمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»^(١)

توفى عبد الرحمن بن عوف سنة ٣٢ هجرية . وخلف ١٠٠٠ بعير و ٣٠٠٠ شاة و ١٠٠ فرس . وكان
 ثمن تركته (٣٢٠٠٠٠) . قاله الذهبي .

الزبير بن العوام من المهاجرين الأولين كان تركته بعد موته في موقعة الجمل ٥٧ مليون وستمائة ألف .
 فكان نصيب كل امرأة من نسائه الأربع بعد رفع الثلث من التركة مليون ومائة ألف .

٤- هاجر المسلمون إلى المدينة فوجدوا أخوة لهم أثروهم على أنفسهم وبهم من الخصاصة الكثير .

قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
 إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨: ٩: الحشر]

قال القرطبي روى عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ النَّصْرِ لِلْأَنْصَارِ: «إِنْ شِئْتُمْ فَسَمِّتُمْ
 لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ وَتُشَارِكُونَهُمْ فِي هَذِهِ الْعَيْمَةِ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَمْ
 يُفَسِّمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْعَيْمَةِ» ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: بَلْ نَفْسِمُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا وَدِيَارِنَا وَنُؤْتِرُهُمْ بِالْعَيْمَةِ وَلَا
 نُشَارِكُهُمْ فِيهَا^(٢)

بعض فضائل المدينة :-

١- أسماءها الكثيرة :- كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ولا توجد بلده في الدنيا لها من الأسماء
 ما بلغ ربع أسماء المدينة . وقد بلغ عدد أسمائها مائة إسم .

أشهر الأسماء يشرب : قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾
 [١٣: الأحزاب]

١- أخرجه أحمد (٢٠٧٣٩) بإسناد صحيح

٢- انظر تفسير البغوي (٧٧/٨) وتفسير الثعلبي (٩/٢٨٠)

المدينة : وهذا أشهر أسمائها وهذا الإسم إذا أطلق دون قيد إنصرف الذهن فوراً إلى مدينة النبي ﷺ . قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠]

طابة : روى مسلم عن جابر بن سمره، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةً»^(١)

وأما تسميتها يثرب فقد وقع في القرآن من كلام غير المؤمنين . روى الإمام أحمد عن البراء، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هِيَ طَابَةٌ هِيَ طَابَةٌ»^(٢)

٢- محبة النبي ﷺ لها وهو لا يُحِبُّ إلا الطيب المبارك :

روى البخارى أن أنساً رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ^(٣)، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا»^(٤)

٣- دعاء النبي ﷺ بالبركة :

روى مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدُنِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ»، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْعَرَ وَوَلِيدَ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ .^(٥)

في الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ»^(٦)

١- أخرجه مسلم (١٣٨٥) باب الْمَدِينَةِ تَنْفِي شِرَارِهَا

٢- أخرجه أحمد (١٨٥١٩) بإسناد ضعيف ، وضعفه الألباني (٤٦٠٧) في الضعيفه

٣- أسرع السير

٤- أخرجه البخاري (١٨٠٢) باب مَنْ أَسْرَعَ نَاقَتَهُ إِذَا بَلَغَ الْمَدِينَةَ

٥- أخرجه مسلم (١٠٠٠/٢، ١٣٧٣) باب فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ

تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا

٦- أخرجه البخاري (١٨٨٥) ومسلم (٩٩٤/٢، ١٣٦٩)

٤ - عدم دخول المسيح الدجال فيها :

روى الإمام أحمد بسند حسنه الالبانى عن مَحْنِ بْنِ الْأَدْرِجِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «يَوْمَ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ، يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ» ثَلَاثًا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟ قَالَ: "يَجِيءُ الدَّجَالُ فَيَصْعَدُ أَحَدًا، فَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَرُونَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ؟ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا، فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْحَرْفِ، فَيَضْرِبُ رُؤُوفَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ، وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ" (١)

روى البخارى عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، هَذَا يَوْمٌ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ» (٢)

وفي رواية عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ، وَلَا الدَّجَالُ» (٣)

في الصحيحين أن أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يُقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ» (٤)

وفي رواية (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةَ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ) (٥)

٥ - تنفي الذنوب :

روى البخارى عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَحَدٍ قَالَ: «إِنَّهَا طَيْبَةٌ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ حَبَثَ الْفِضَّةِ» (٦)

٦ - فضيلة من مات بها :

١ - أخرجه أحمد (١٨٩٧٥) والحاكم (٨٦٣١) وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبي

٢ - أخرجه البخاري (١٨٧٩) باب: لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ

٣ - أخرجه البخاري (١٨٨٠) باب: لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ

٤ - أخرجه البخاري (١٨٧١) باب فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهَا تَنْفِي النَّاسَ ، ومسلم (١٣٨٢)

٥ - أخرجه مسلم (١٠٠٥/٢، ١٣٨١) بابُ الْمَدِينَةِ تَنْفِي شِرَارَهَا

٦ - أخرجه البخاري (٤٥٨٩) ومسلم (١٠٠٦/٢، ١٣٨٤)

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»^(١)

٧- حفظ الله إياها من أرادها بسوء :

في الصحيحين أن سعداً رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا أَمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ»^(٢)

وعند مسلم «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَدَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ»^(٣)

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] .

روى البخارى عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَكَتَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكْتَبُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيَرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرِبُ فَيُقْتَلُ» - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}^(٤)

قال الحافظ: عن بن عباس عند بن المنذر والطبري كان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يُخفون الإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم وأنهم لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فقتلواهم فرجعوا فنزلت ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب إليهم المسلمون بذلك فخرجوا فقتلوا ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية فكتبوا إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجوا من بجا وقتل من قتل .

١- أخرجه أحمد (٥٤٣٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر والترمذي (٣٩١٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب

والترهيب (١١٩٣)

٢- أخرجه البخاري (١٨٧٧) باب إثم من كاد أهل المدينة ومسلم (١٣٨٧)

٣- أخرجه مسلم (٩٩٢/٢، ١٣٦٣)

٤- أخرجه البخاري (٧٠٨٥) باب من كره أن يكتر سواد الفتن والظلم

وَعَرَضُ عِكْرِمَةَ أَنَّ اللَّهَ دَمٌ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ بِفُلُوحِهِمْ مُوَافَقَتَهُمْ قَالَ فَكَذَلِكَ أَنْتَ لَا تُكْثِرُ سَوَادَ هَذَا الْجَيْشِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ مُوَافَقَتَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ فِيهِمْ كُنْتُمْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَفْرِيعٍ وَاسْتَنْبَاطِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوبِ الْهِجْرَةِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ^(١)

(قَوْلُهُ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْآيَةَ) عَنْ بِنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ^(٢)

لام عليهم ربنا لأنهم رضوا بالبقاء تحت جناح أنظمة تحالف الإسلام ولا قوة لهم على تغييرها ولم يهاجروا إلى المدينة ليكونوا مع من هاجر .

هجرة النبي ﷺ:

لما رأى مشركوا مكة أصحاب النبي ﷺ وقد تركوا كل شيء لا يقدرون عليه وهاجروا إلى الله ورسوله علموا مدى الخطورة التي تترتب على ذلك وأيقنوا أن خروج النبي ﷺ أضحى بين وقت لآخر .

روى البخاري أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ» وَهُمَا الْحَرَتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَهُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّرَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ وَهُوَ الْحَبْطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ^(٣)

قال الحافظ: والمعنى أراد أبو بكر الخروج طالبا للهجرة واستأذن النبي ﷺ فقال اصبر .

قَوْلُهُ وَرَقَ السَّمْرِ وَيُقَالُ السَّمْرُ شَجَرُهُ أُمَّ غَيْلَانَ وَقِيلَ كُلُّ مَالِهِ ظِلٌّ تَحِيْنٌ .

قَوْلُهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِيهِ بَيَانُ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ ابْتِدَاءِ هِجْرَةِ الصَّحَابَةِ بَيْنَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَبَيْنَ هِجْرَتِهِ ﷺ^(٤)

١- فتح الباري (٨/ ٢٦٣)

٢- أخرجه البخاري (٤٥٩٧) بَابُ {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} [النساء: ٩٨]

٣- أخرجه البخاري (٣٩٠٥) بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

٤- فتح الباري (٧/ ٢٣٤)

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

أطبقت كلمة المفسرين في هذه الآية على أنها إمتنان من الله تعالى على رسوله وتذكيرا له بما فعل معه
مشركوا مكة وكيف نجاه الله منهم .

قال ابن إسحاق: وَلَمَّا رَأَتْ فُرَيْشُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بَعِيرٌ
بَلَدِيهِمْ، وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً،
فَحَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ. فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ - وَهِيَ دَارُ
فُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الَّتِي كَانَتْ فُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا - يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، حِينَ خَافُوهُ (١)

وروى ابن إسحاق بسند حسن بطرقه وشواهدة عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَجْمَعُوا
لِذَلِكَ، وَاتَّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، غَدَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي
اتَّعَدُوا لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ ،
فَوَقَّفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا، قَالُوا: مَنْ الشَّيْخُ؟

قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ، فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ، وَعَسَى أَنْ لَا يُعِدَّكُمْ
مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا، قَالُوا: أَجَلْ، فَادْخُلْ، فَادْخَلَ مَعَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ فُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي عَبْدِ
شَمْسٍ: عُبَيْدُ بْنُ رَيْعَةَ، وَشَيْبَةُ ابْنِ رَيْعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ. وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ: طُعَيْمَةُ بْنُ
عَدِيٍّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ. وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ فُصَيِّ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ
بْنِ كِلْدَةَ. وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى: أَبُو الْبَحْتَرِيِّ ابْنِ هِشَامٍ، وَرَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَحَكِيمُ
بْنِ حِرَامٍ. وَمِنْ بَنِي مَخْرُومٍ: أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ. وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: نُبَيْهَةُ وَهَنْبَةُ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَمِنْ بَنِي
جُمَحٍ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا يُعَدُّ مِنْ فُرَيْشٍ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا
فِيَمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا. قَالَ: فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْسِبُوهُ فِي الْحَدِيدِ، وَأَعْلِقُوا
عَلَيْهِ بَابًا، ثُمَّ تَرَضُّوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، زُهَيْرًا وَالتَّائِبَةَ، وَمَنْ مَضَى
مِنْهُمْ، مِنْ هَذَا الْمَوْتِ، حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللَّهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ.

١ - أخرجه ابن هشام في السيرة (٤٨٠/١)

وَاللَّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيُخْرِجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَعْلَقْتُمْ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَا وَشَكُوا أَنْ يَبْتُؤُوا عَلَيْكُمْ، فَيَنْزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ، حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيِي، فَاظْطَرُّوا فِي غَيْرِهِ، فَتَشَاوَرُوا. ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنَّا فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ، وَلَا حَيْثُ وَقَعَ، إِذَا غَابَ عَنَّا وَفَرَعْنَا مِنْهُ، فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَالْفِتْنَا كَمَا كَانَتْ. فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللَّهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيِي، أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ، وَعَظَمَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَجَلَ عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يَتَابِعُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَّأَكُم بِهَيْمٍ فِي بِلَادِكُمْ، فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا أَرَادَ، دَبَّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ: وَاللَّهِ إِنْ لِي فِيهِ لِرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَيَّ شَابًا جَلِيدًا نَسِيًّا وَسِيطًا فِينَا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَيٍّ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ، فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ، فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ. فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَمَلِ، فَعَمَلْنَا هُمْ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ^(١)

قال تعالى ﴿أَمْ أَدْرَأْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [٧٩: ٨٠: الزخرف]

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي تَدْبِيرِهِمْ فِي الْمَكْرِ بِهِ فِي دَارِ النَّدْوَةِ .

أم بمعنى بل الإبرام الإحكام وفيها تأنيب لقريش على ما دبروه من الكيد برسول الله ﷺ.

فأعلمه الله تعالى بما دبر القوم وأذن الله تعالى له بالخروج . و قَالَ: لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ.

قال الحافظ : وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ فَرَقَدَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ يَوْمِي عَنْهُ وَبَاتَتْ فُرَيْشٌ تَحْتَلِفُ وَتَأْتُرُ أَيُّهُمْ يَهْجُمُ عَلَى صَاحِبِ الْفِرَاشِ فَيُوثِقُهُ حَتَّى أَصْبَحُوا فَإِذَا هُمْ بِعَلِيِّ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي فَعَلِمُوا أَنَّهُ فَرَّ مِنْهُمْ^(٢)

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٨١)

٢- فتح الباري (٧/ ٢٣٦)

الأخذ بالأسباب من أصول الشريعة فهكذا جرت سنة الله تعالى (أسباب ينشأ عنها مسببات كله بقضاء الله وقدره) .

روى البخارى أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ وَمَ يَمُرُّ عَلَيْنَا يَوْمَ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً^(١)

وَعِنْدَ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا أَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ^(٢)

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيْرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَمَنِّعًا،

عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِينَا بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنْ ذَلِكَ جَاءَنَا فِي الظَّهِيْرَةِ فَقُلْتُ يَا أَبَتِ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مُتَمَنِّعًا أَيُّ مُعْطِيًا رَأْسَهُ^(٣)

فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ .

وَعِنْدَ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ قَالَ لَا عَيْنَ عَلَيْكَ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ

قَالَ: «فَأَيُّ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيْ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فَقَالَ بِشَمَنِهَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ بِشَمَنِهَا إِنْ شِئْتَ (

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَارِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبَدَلِكَ سُمِّيتُ ذَاتَ النَّطَاقَيْنِ .

١ - أخرجه البخاري (٣٩٠٥)

٢ - فتح الباري (٧/٢٣٥)

٣ - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٤)

قال الحافظ : النَّطَاقَيْنِ بِالتَّشْبِيهِ وَالنَّطَاقُ مَا يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ وَقِيلَ هُوَ إِزَارٌ فِيهِ تِكَّةٌ وَقِيلَ هُوَ ثَوْبٌ تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ تَشُدُّ وَسَطَهَا بِجَبَلٍ ثُمَّ تُرْسِلُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ

وَالْمَحْفُوظُ أَنَّهَا شَقَّتْ نِطَاقَهَا نِصْفَيْنِ فَشَدَّتْ بِأَحَدِهِمَا الرِّزْدَ وَاقْتَصَرَتْ عَلَى الْآخَرِ فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لَهَا ذَاتُ النَّطَاقِ وَذَاتُ النَّطَاقَيْنِ فَالتَّشْبِيهُ وَالْإِفْرَادُ بِهَدْيَيْنِ الْإِعْتَابَيْنِ ^(١)

روى البخارى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "صَنَعْتُ سُفْرَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، حِينَ أَرَادَا الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ إِلَّا نِطَاقِي، قَالَ: فَشَقَّيْهِ فَفَعَلْتُ فَسَمَّيْتُ ذَاتَ النَّطَاقَيْنِ" ^(٢)

إستحقاق التأييد الأعلى من الله تعالى لا يعنى التفريط قيد أتملة فى إستجماع أسبابه وتوفير وسائله .
ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة الهجرة وأعد لكل فرض عُدته .

وكذلك شأن المسلم فى الأسباب المعتادة يقوم بها كأنها كل شىء فى النجاح ثم يتوكل على الله تعالى .

إستفراغ الوسع وبذل كل الطاقة فى التخطيط البشرى .

أن يكون التوكل على الله دون الإعتماد على الأسباب .

أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين .

قَالَتْ عَائِشَةُ ثَمَّ لِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ .

الطريق إلى الغار ولماذا الغار ؟

سلك النبي ﷺ "الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن . سار فى هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى وصل إلى جبل ثور به غار فدخلا فى الغار . (وفيه الأخذ بكل سبب ممكن لكى يخفى أمره على قريش)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجَبَلِ لَيْلًا، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَسَ الْغَارَ، لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبْعٌ أَوْ حَيَّةٌ، يَبْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ ^(٣)

١- فتح البارى (٧/ ٢٣٦)

٢- أخرجه البخارى (٣٩٠٧)

٣- أخرجه ابن هشام فى السيره (١/ ٤٨٦)

وفي مشكاة المصابيح قال أبو بكر قال: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّىٰ أَدْخُلَ قَبْلَكَ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ فَدَخَلَ فَكَسَحَهُ وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ نُقْبًا فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِهِ وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهَا رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ "ادْخُلْ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ وَنَامَ فَلَدِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجَحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَىٰ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قَالَ: لُدِغْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَفَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ»^(١)

علمت قريش بخروج النبي ﷺ فجن جنونها وتأكدت من إفلاته ﷺ. فأرسلت الرصد والطلب وقصاص الأثر في الطلب وتمكنوا من الوصول إلى الغار ولكن الله غالب على أمره .

الأخذ بالأسباب قدر الإستطاعة ثم الرضا بالقضاء والقدر والتسليم .

روى البخاري عن أنس، عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِئُهُمَا»^(٢)

في رواية فرأيت آثار المشركين^(٣)

وفي رواية موسى بن إسماعيل فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم^(٤)

عند الطبراني من حديث أسماء بنت أبي بكر وخرجت فريش حين فقدوهما في بعائهما وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذي فيه رسول الله ﷺ فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلاً إن ملامكة تسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجهه الغار فقال النبي ﷺ لو كان يرانا ما فعل هذا^(٥)

وعند مسلم لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه^(٦).

١- أخرجه ابن الاثير في جامع الاصول (٦٤٢٦) والالباني في المشكاة (٦٠٣٤) وقال : رواه رزين

٢- أخرجه البخاري (٣٦٥٣) باب مَنَابِ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ "

٣- أخرجه البخاري (٤٦٦٣) باب قَوْلِهِ: {ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}

٤- أخرجه البخاري (٣٩٢٢) باب هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

٥- أخرجه الطبراني (١٠٦/٢٤)

٦- أخرجه مسلم (٢٣٨١) باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي مَعَاذِي عُرْوَةَ بْنِ الرُّبَيْعِ قَالَ وَأَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْعَارُ الَّذِي فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى طَلَعُوا فَوْقَهُ وَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ أَصْوَاتَهُمْ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَلَهُمْ وَالْخَوْفُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَى اللَّهُ مَعَنَا وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ .

فَقَالَ: «مَا ظَنَنْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاتْنَيْنِ اللَّهِ تَالِثُهُمَا» فِي رِوَايَةِ مُوسَى فَقَالَ اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اتْنَانِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا (١)

قال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اتْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة]

بيان قدرة الله تعالى التي ليس لها حدود فصرف الله قلوبهم عن أن ينظر أحدهم إلى قدميه والله غالب على أمره وهو على كل شيء قدير .

مَعْنَى تَالِثُهُمَا نَاصِرُهُمَا وَمُعِينُهُمَا وَحَافِظُهُمَا وَإِلَّا فَاللَّهُ تَالِثٌ كُلِّ اتْنَيْنِ بِعِلْمِهِ .

(نصره حين الإخراج - نصره عند المكث في الغار - عند الشدة حينما وقف المشركون على فم الغار)
فصرف الله قلوبهم أن ينظر أحدهم تحت قدمه . أو أعمى الله أبصارهم .

إثبات معية الله للخلق :

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ [الحديد]

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) التوبة

معية الله تعالى تنقسم إلى :

١- معية عامة : فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر . قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

٢- معية خاصة : وتنقسم إلى (مقيدة بوصف - مقيدة بشخص)

أما المقيدة بوصف كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .

وأما المقيدة بشخص معين كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وكقوله تعالى (إني معكما أسمع وأرى) .

فأخص أنواع المعية المقيدة بشخص ثم ما قيد بوصف ثم ما كان عاماً .

فأثبتت النصوص أن لله تعالى معية وهي معية حقيقية فثبتت هذه الصفة وغيرها ونؤمن بها ولا ندرى ما
كيفيتها فلا يقاس على خلقه سبحانه وتعالى .

ومن لوازم المعية أنه سبحانه وتعالى عالم بنا سميع لأقوالنا بصير بأعمالنا قادر علينا وحاكم بيننا لا يخفى
عليه شيء من أمرنا .

وليس هناك تعارض بين كونه معنا وأن معيته حق على حقيقتها وبين كونه مستو على عرشه .

والمعية العامة من الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات . والمعية الخاصة فهي صفة فعل لأنها تابعة لمشيئة
الله تعالى .

** جمع الله تعالى بين معيته وعلوه في سورة الحديد . فلو كان هناك تناقض بين المعية والعلو ما صح أن
يصف الله بها نفسه . وفي الأصل ليس بين العلو والمعية تعارض . إذ من الممكن أن يكون الشيء
عالياً وهو معك . ومن ذلك قول العرب ما زلنا نسير والقمر معنا .

فإذا أمكن إجتماع العلو والمعية في المخلوق فاجتماعهما في الخالق من باب أولى .

روى مسلم أن ابن عمر قال؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا،
ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي
سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ
الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْحَلِيقَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ
الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَاهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١)

شبهة : قالوا أن المعية تقتضي المخالطة أو المصاحبة في المكان .

١- أخرجه مسلم (١٣٤٢) باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره

الجواب : هذا من قصور العلم باللغة ومن فرط الجهل . فلها ثلاثة أنواع :-

- ١- معية تقتضى المخالطة كقولك إسقوني لبنا مع ماء أى مخلوطا بماء .
- ٢- معية تقتضى المصاحبة فى المكان كقولك وجدت فلانا مع فلان يمشيان سوياً .
- ٣- معية لا تقتضى الإختلاط ولا المشاركة فى المكان كقولك فلان مع جنوده .

قال تعالى ﴿أَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَحْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٧:المجادلة].

قال إلا هو رابعهم ولم يقل إلا هو ثالثهم لأنه من غير الجنس وإذا كان من غير الجنس يؤتى بالعدد التالى . وأما إن كان من الجنس فإنه يؤتى بنفس العدد . قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٣:المائدة] لأنه من الجنس على حد زعمهم .

قال ابن منده : فالله تعالى (موصوف غير مجهول - وموجود غير مدرك - وورئى غير محاط - بعيد غير منقطع - قريب غير ملاصق)^(١)

*** ملحوظة مهمة :- قال تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

قال الفخر الرازى فى تفسيره : اعلم أن الروافض اختجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن فى أبى بكر من وجوده ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين: فالأول: قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال لأبى بكر: لا تحزن فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه؟ وإن كان خطأ، لزم أن يكون أبو بكر مدينياً وعاصياً فى ذلك الحزن،

والثانى: قالوا يُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْهُ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَهُ فِي مَكَّةَ أَنْ يَدُلَّ الْكُفَّارَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُوقَفَهُمْ عَلَى أَسْرَارِهِ وَمَعَانِيهِ، فَأَخَذَهُ مَعَ نَفْسِهِ دَفْعًا لِهَذَا الشَّرِّ.

والجواب عن تلك الشبهة فيقال لهم يجب فى قوله تعالى لموسى عليه السلام: لا تخف إنا أنزلناك من السماء فى خوف، وأن يدلل على أنه كان عاصياً فى خوفه، وذلك طعن فى الأنبياء، ويجب فى قوله تعالى

في إبراهيم، حيث قالت الملائكة له: لا تخف [هود: ٦٩] في قصة العجل المشوي مثل ذلك، وفي قولهم لوط: لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك [العنكبوت: ٣٣] مثل ذلك.

فإذا قالوا: إن ذلك الخوف إنما حصل بمقتضى البشرية، قلنا لهم في هذه المسألة كذلك.

فإننا لو قدزنا أن أبا بكر ما كان خائفاً، لقالوا إنه فرح بسبب وقوع الرسول في البلاء، ولما خاف وبكى قالوا عصي وذلك يدل على أنهم لا يطلبون الحق، وإنما مقصودهم محض الطعن!

والجواب عن الثاني: فإن أبا بكر لو كان قاصداً له، لصاح بالكفار عند وصولهم إلى باب العار، وقال لهم نحن هاهنا، ولقال ابنه وابنته عبد الرحمن وأسماء للكفار نحن نعرف مكان محمد فندلكم عليه،^(١)

روى البخاري عن عائشة قالت واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي، هادياً خريئاً، والخريث الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً^(٢) في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال^(٣).

قال البخاري باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو: إذا لم يوجد أهل الإسلام. وعامل النبي ﷺ يهود خيبر

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: "واستأجر النبي ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، ثم من بني عبد بن عدي هادياً خريئاً - الخريث: الماهر بالهداية - قد غمس يمين حلف في آل العاص بن وائل، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاها براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث، فازتجلاً وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل الديلي، فأخذ بهم أسفل مكة وهو طريق الساحل"^(٤)

روى مسلم عن عائشة، زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جراًه وبجده، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لاتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: «فارجع، فلن أستعين بمشرك»، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له

١- تفسير الفخر الرازي (١٦/٥٣)

٢- أي كان حليفاً

٣- أخرجه البخاري (٣٩٠٥)

٤- أخرجه البخاري (٢٢٦٣) باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو: إذا لم يوجد أهل الإسلام

كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ "كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَذْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَانْطَلِقْ»^(١)

قال النووي لأن ما يخاف من الضرر بحضورهم أكثر مما يرجى من المنفعة .

أطبقت كلمة العلماء على جواز الانتفاع بما عند المشركين من علوم كونية تعود علينا بنفع ما لم تؤثر على ديننا .

ويجوز للمسلم أن يستأجر غير المسلم في أى عمل شريطة ألا يكون فيه نوع من اولاية أو الرياسة فإستخدام غير المسلم كشخص بمفرده في حرفة وصناعة فهذا لا بأس به . أما إستخدامه كصاحب سلطة ونفوذ في أمر من أمور الدولة الإسلامية فهذا لا يجوز .

روى البيهقي أَنَّ أَبَا مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمَعَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ ، فَأَعْجَبَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَى مِنْ حِفْظِهِ ، فَقَالَ: " قُلْ لِكَاتِبِكَ يَفْرَأُ لَنَا كِتَابًا " ، قَالَ: إِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ ، لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ ، فَاثْتَهَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهَمَّ بِهِ ، وَقَالَ: " لَا تُكْرِمُوهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُدْنُوهُمْ إِذْ أَفْصَاهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَأْتَمُّوهُمْ إِذْ حَوَّنَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " ^(٢)

روى الحاكم عَنْ حُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ قَبْلَ أَنْ نُسَلِّمَ، فَقُلْنَا: إِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ يَشْهَدَ قَوْمَنَا مَشْهَدًا فَقَالَ: «أَسَلَّمْتُمَا؟» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» فَأَسَلَّمْنَا، وَشَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَتَلْتُ رَجُلًا، وَضَرَبْتَنِي الرَّجُلُ ضَرْبَةً، فَتَرَوَّجْتُ ابْنَتَهُ، فَكَانَتْ تَقُولُ: لَا عَدِمْتُ رَجُلًا وَشَحَكَ هَذَا الْوِشَاحَ فَقُلْتُ: لَا عَدِمْتُ رَجُلًا عَجَّلَ أَبَاكَ إِلَى النَّارِ ^(٣)

الإستعانة بهم في الحرب يجوز بشرطين :

١- أن يكون بالمسلمين قلة وبالمشركين كثرة .

٢- أن يُعلم من المشركين حسن رأى وأن يكونوا ممن يوثق بهم .

١- أخرجه مسلم (١٨١٧) باب كراهة الإستعانة في العزو بكافر

٢- أخرجه البيهقي (٢٠٤٠٩) وصححه الألباني في الارواء (٢٦٣٠)

٣- أخرجه الحاكم (٢٥٦٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٠١)

روى ابن حبان وأبو داود بسند صحيح أَنَّ دَا مُحَمَّدِ بْنِ أَحِي النَّحَاشِيَّ، قَالَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «سُتْصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا، حَتَّى تَعْرُزُوا أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَسْلَمُونَ وَتَعْتَمُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلَى اللَّهُ غَلَبَ، وَيَتَدَاوُلُونَهَا وَصَلِيْبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَثُورُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، وَيَثُورُونَ إِلَى كَاسِرِ صَلِيْبِهِمْ فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيَكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعَصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ، فَيَأْتُونَ مَلِكَهُمْ فَيَقُولُونَ: كَفَيْنَاكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(١)

دل الحديث على أن المسلمين سيغزون مع الروم عدوا ولم يذمهم على ذلك فدل على الجواز عند الحاجة أو الضرورة .

روى ابن أبي شيبة والبيهقي عن أناسٍ، مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَا صَفْوَانُ هَلْ عِنْدَكَ سِلَاحٌ؟ " قَالَ: عَارِيَةٌ أَمْ غَصْبًا؟ قَالَ: " بَلَى عَارِيَةٌ " قَالَ فَأَعَارَهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ دِرْعًا، وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَنِينًا، فَلَمَّا هَزِمَ الْمُشْرِكُونَ جُمِعَتْ دُرُوعُ صَفْوَانَ، فَقُقِدَ مِنْهَا أَدْرَاعًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لِصَفْوَانَ: " إِنَّا قَدْ فَقَدْنَا مِنْ أَدْرَاعِكَ أَدْرَاعًا، فَهَلْ نَعْرَمُ لَكَ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَنَّ فِي قَلْبِي الْيَوْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ " ^(٢)

روى البخارى عن البراءِ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عَارِبٍ رَجُلًا بِثَلَاثَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَارِبٍ: مَرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَارِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلِّ فَاوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بِقِيَّةِ ظِلِّ لَهَا فَسَوَّيْتُه، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِيٍ عَنَّمِ يَسُوقُ عَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غَلَامُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَاءُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي عَنَمِكَ مِنْ لَبَنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَمَلَ شَاءَ مِنْ عَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْعُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا،

١- أخرجه ابن حبان (٦٧٠٩) وأبو داود (٤٢٩٢) وصححه الألباني في المشكاة (٥٤٢٨)

٢- أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٥٥٧) والبيهقي (١٣١٨٤) وأبو داود (٣٥٦٣) وصححه الألباني في الصحيحة

ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةً، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آتَى الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلَى». فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عِزْرَ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ حَقَّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»^(١)

قول أبي بكر هل أنت خالِبٌ فقال نعم كأنه سأله هل أذن لك صاحب الغنم في حلها لمن يرُد عليك فقال نعم أو جرى على العادة المألوفة للعرب في إباحة ذلك^(٢)

* هذه محبة أبي بكر للنبي ﷺ - إشاره على نفسه .

قصة سراقه بن مالك :-

روى البخارى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمَدَلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أُخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلٌ كَثِيرٌ فُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي بَجْلِسٍ مِنْ بَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آتِفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وِرَاءِ أَكْمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُحْيِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْحِهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَفْسَمْتُ بِهَا: أَضْرُهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تُقَرَّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتِ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكُذْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَفْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوْقَهُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّبَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الرِّادَ

١- أخرجه البخاري (٣٦٥٢) باب مناقب المهاجرين وفضلهم "

٢- فتح الباري (١٠/٧)

وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَزِرْآبِي وَمَ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُفْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١)

فَجَعَلَ سَرَاقَةَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ لَهُ قَدْ كَفَيْتُمْ مَا هَا هُنَا فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ .

فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢) وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلُحَةً لَهُ أَي حَارَسَا لَهُ بِسِلَاحٍ

وَذَكَرَ بَنُ سَعْدٍ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ قَالَ لِعُرَيْشٍ قَدْ عَرَفْتُمْ بِصَرِيهِ بِالطَّرِيقِ وَبِالْأَثَرِ وَقَدْ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمْ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَرَجَعُوا .

فَرَجَعْتُ فَسَعِلْتُ فَلَمْ أَذْكَرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ حَتَّى إِذَا فَرَعُ مِنْ حُنَيْنٍ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ خَرَجْتُ لِإِلْقَائِهِ وَمَعِيَ الْكِتَابُ فَلَقِيْتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَرَفَعْتُ يَدَيَّ بِالْكِتَابِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا كِتَابُكَ فَقَالَ يَوْمَ وَقَاءٍ وَبِرٍّ أَدُنُّ فَأَسْلَمْتُ .

قَالَ بَنُ جَرِيرٍ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمِدُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ سِهَامٍ عَلَى أَحَدِهَا مَكْتُوبٌ أَفْعَلُ وَعَلَى الثَّانِي لَا تَفْعَلُ وَالثَّلَاثُ عُقْلٌ

وَقَالَ الْفَرَاءُ كَانَ عَلَى الْوَاحِدِ أَمْرِي رَبِّي وَعَلَى الثَّانِي نَهَانِي رَبِّي وَعَلَى الثَّلَاثِ عُقْلٌ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْأَمْرَ أَخْرَجَ وَاحِدًا فَإِنْ طَلَعَ الْأَمْرُ فَعَلَّ أَوْ النَّاهِي تَرَكَ أَوْ الْعُقْلُ أَعَادَ

الْأَزْلَامَ كَانَتْ عِنْدَهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْحَاءٍ أَحَدُهَا لِكُلِّ أَحَدٍ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ وَثَانِيهَا لِلْأَحْكَامِ وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَكَانَ عِنْدَ كُلِّ كَاهِنٍ وَحَاكِمٍ لِلْعَرَبِ مِثْلُ ذَلِكَ^(٣)

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ سَرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاحَتْ بِهِ فَرَسُهُ قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطِشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ بِرَاعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخَذْتُ قَدْحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيَثُ"^(٣)

عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ .

١- أخرجه البخاري (٣٩٠٦) بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

٢- فتح الباري (٢٤٢/٧)

٣- أخرجه البخاري (٣٩٠٨) بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ومسلم (١٥٩٢/٣) ،

(٢٠٠٩)

في رواية من حديث أنسٍ فَالتفت النبي ﷺ فقال اللهم اصرعه فصرعه فرسه.

وفي رواية أبي خليفَةَ قَدْ عَلِمْتُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ وَاللَّهُ لأَعْمَى عَلَيْكَ مَنْ وَرَائِي أَيِ الطَّلَبِ وَفِي رِوَايَةِ بِنِ إِسْحَاقَ فَنَادَيْتُ الْقَوْمَ أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ أَنْظِرُونِي أَكَلْتُكُمْ فَوَاللَّهِ لَا آتِيكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ وَفِي حَدِيثِ بِنِ عَبَّاسٍ مِثْلُهُ وَزَادَ وَأَنَا لَكُمْ نَافِعٌ غَيْرُ ضَارٍ وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّ الْحَيَّ يَعْنِي قَوْمَهُ فَرَعُوا لِرُكُوبِي وَأَنَا رَاجِعٌ وَزَادُهُمْ عَنْكُمْ .

وَقَالَ لَهُمْ وَإِنَّ إِبِلِي عَلَى طَرِيقِكُمْ فَاحْتَلِبُوا مِنَ اللَّبَنِ وَخُذُوا سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي أَمَارَةً إِلَى الرَّاعِي ^(١)

روى الطبراني عن قيس بن النعمان السكوبي، قال: انطلق رسول الله ﷺ ومعه أبو بكرٍ مُسْتَخْفِيَانِ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَرُّوا بِرَاعٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مِنْ شَاةٍ ضَرَبَهَا الْفَحْلُ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنْ هَهُنَا شَاةٌ قَدْ خَلَفَهَا الْجُهْدُ، قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَاهُ بِهَا فَمَسَحَ ضَرْعَهَا وَدَعَا بِالْبِرْكَةِ، فَحَلَبَ فَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ حَلَبَ فَسَقَى الرَّاعِي ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ، فَقَالَ لَهُ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّكَ صَابِئِي؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ إِلَّا رَسُولٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتَبْعُكَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ أَنَا قَدْ ظَهَرْنَا فَأْتِنَا» فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَا ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ ^(٢)

متابعة الهجرة :

روى البخارى عن عروة بن الزبير، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بِيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَعْدُونَ كُلَّ عِدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حُرَّ الظَّهِيرَةِ، فَاَنْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَأَ إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطْمٍ مِنْ آطَمِهِمْ، لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبْصِرِينَ يَرُؤُلُ بِهِمُ السَّرَابَ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ

١- فتح الباري (٧/ ٢٤٢)

٢- أخرجه الطبراني (٣٤٣/ ١٨) قال الهيثمي : رجاله رجال الصَّحيح. قال الألباني للحديث طريقين اخرين ولا ينزل

عن درجة الحسن

مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَحَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ - مَنْ لَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ^(١) الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى،^(٢) .

قال تعالى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]... ظاهر الآية يدل على أنه مسجد قباء .

روى مسلم أن أبا سلمة بن عبد الرحمن، قال: مرَّ بي عبدُ الرحمن بنُ أبي سعيدٍ الحُدْرِيُّ، قال: قُلتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قال: قالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قال: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قال: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ،^(٣)

قال النووي: هَذَا نَصٌّ بِأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَأَمَّا أَخْذُهُ ﷺ الْحَصْبَاءَ وَضَرْبُهُ فِي الْأَرْضِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْإِيضاحِ لِبَيانِ أَنَّهُ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ^(٤)

والحق أن كلا منهما أسس على التقوى . وقوله تعالى { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا } يؤيد كون المراد مسجد قباء . روى أبو داود عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا } [التوبة: ١٠٨] "، قال: « كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ »^(٥)

قال الحافظ وَعَلَى هَذَا فَالسُّرُّ فِي جَوَابِهِ ﷺ "بِأَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدُهُ رَفَعَ تَوَهُمَ أَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِمَسْجِدِ قُبَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"^(٦)

ثُمَّ رَكِبَ راحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ،

١- أي مسجد قباء

٢- أخرجه البخاري (٦٠/٥) بابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

٣- أخرجه مسلم (١٠١٥/٢)، (١٣٩٨)

٤- شرح النووي على مسلم (١٦٩/٩)

٥- أخرجه أبو داود (٤٤) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) وصححه الألباني في الاوراء (٤٥)

٦- فتح الباري (٢٤٥/٧)

ومضى الركب واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار وبدأ الغلمان في الطريق ينادون يا محمد يا رسول الله
يا محمد يا رسول الله ﷺ .

روى البخارى عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم
برَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١)

فأتاه أبو أيوب فقال إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رَحْلَكَ . وكانت دار أبي أيوب طابقين
قال أبو أيوب: لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، فُقِلْتُ
لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لِأَكْرَهُ وَأَعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَظَهَرَ أَنْتَ فَكُنْ فِي
الْعُلُوِّ، وَنَزَلَ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَعْشَانَا، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ
الْبَيْتِ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ، وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ
فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيعَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٍ غَيْرَهَا، نُتَشَفُّ بِهَا الْمَاءَ، نَحْوُفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِينِي (٢)

المجتمع المدني قبل الهجرة : قسم العلماء العهد المدني الذى إستمر عشرة أعوام إلى ثلاث مراحل .

١- المرحلة الأولى : وهى منذ دخول المدينة حتى صلح الحديبية (ذو القعدة ٦) وفيها تعرض المسلمون
لكثير من العراقيل والقلاقل والفتن وزحف الأعداء عليها من خارج المدينة وبمساعدة اليهود لإستئصال
المسلمين .

٢- المرحلة الثانية : وهى بعد صلح الحديبية حتى فتح مكة فى (رمضان ٨) وتمت فيها الهدنة مع
قريش وفيها أيضا تم دعوة الملوك إلى الإسلام .

٣- المرحلة الثالثة : وهى دخول الناس فى دين الله أفواجا . وهى مرحلة توافد القبائل والأقوام على
المدينة وتنتهى هذه المرحلة بوفاة النبي ﷺ .

المجتمع المدني :

١- أخرجه البخاري (٣٩٢٥) باب مَقْدَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ

٢- أخرجه ابن هشام فى السيرة (١/ ٤٩٨)

كان يسكن المدينة قبل الهجرة أهلها وهم قبيلتي الأوس والخزرج وهما ينتميان إلى قبيلة الأزد اليمانية الكبيرة .

وسكن معهم في المدينة قبائل من اليهود وهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وهذه أشهر القبائل التي سكنت المدينة مع أهلها الأصليين وهما قبيلتي الأوس والخزرج . وكان يهود مهرة في شئون الكسب والمعيشة فكانت في أيديهم التجارة . وكانوا يحتقرون العرب ويسمونهم الأميين وأموالهم مباحة ولم يكن لهم ميول دينية ويرون أنهم أصحاب علم وفضل وقيادة وكانوا يعاملون العرب بالربا

كانوا يقرضون شيوخ العرب وساداتهم ليكتسب هؤلاء الرؤساء المدائح من الشعراء والسمعة بين الناس ثم كانوا يرتنون أرضهم فلا يلبثوا إلا أعواما حتى يتملكونها .

وقد تمكن اليهود من إثارة الشقاق بين الأوس والخزرج وإذكاء العداوة بينهما وإقامة الحروب حتى تضعف من قوتهم وتشغلهم بها فلا يفكرون في غيرها . .. وأخر هذه الحروب هي حرب بعاث التي إنتهت قبل الهجرة بخمس سنوات . وأدت هذه الحروب إلى أنهم تدرّبوا على فنون القتال كلها وإهتموا بالحرب والسلاح وكانوا شديدي البأس والشكيمة ذو جرأة وشجاعة . قال قائلهم إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء .

** أنهكتهم الحروب . عند البيهقي في الدلائل عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: " كَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَأُهِمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ، وَجُرِحُوا، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ^(١)

فإشتاقوا لسلم يجمعهم على ما بينهم من قرابات ومصاهرات حتى أنهم إصطلحوا على عبد الله بن سلول ليكون ملكا عليهم حتى أنهم قد نظموا له الخرز ليُتوجوه ويملكوه . فلما أراد الله خيرا في الأزل لأهل المدينة بعث إليهم النبي ﷺ فكان ابن سلول يرى أن النبي ﷺ إستلبه ملكه .

نموذج من الجانب الديني عند العرب في المدينة :-

عمرو بن الجموح .

قال ابن هشام كان عمرو بن الجموح سيِّداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرافهم؛ وكان قد اتَّخَذَ في داره صنماً من خشب، يُقالُ له: مناه، كما كانت الأشرافُ يصنعون، تتخذُه إلهًا تُعظَّمُه وتُطهَّرُه،

١- أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٤٢١)

فَلَمَّا أَسْلَمَ فَتِيَانُ بَنِي سَلَمَةَ: معاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبْنَةُ مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، فِي فَتِيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ كَانُوا يُدْبِجُونَ بِاللَّيْلِ عَلَى صَنْمِ عَمْرٍو ذَلِكَ فِيحْمَلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ خُفْرِ بَنِي سَلَمَةَ، وَفِيهَا عِدْرٌ (فضلات الناس) النَّاسِ، مُنَكَّسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٍو، قَالَ: وَيَلِكُمْ! مَنْ عَدَا عَلَى آهْتِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: ثُمَّ يَعْدُو يَلْتَمِسُهُ، حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لِأَخْزَيْتَهُ. فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٍو، عَدُوا عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَعْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَدَى، فَيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ، إِذْ أَمْسَى، فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا، فَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِيَّيَّيْ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا تَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاْمْتَنِعْ، فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ، فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٍو، عَدُوا عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مَيْتًا فَفَرَّقُوهُ بِهِ بِجَبَلٍ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بَيْتٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلَمَةَ، فِيهَا عِدْرٌ مِنْ عِدْرِ النَّاسِ، ثُمَّ عَدَا عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ. فَخَرَجَ يَتَّبَعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبَيْتِ مِنْكَسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيْتٍ، فَلَمَّا رَأَهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، وَكَلِمَهُ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ^(١)

سكان المدينة بعد الهجرة هم :

١- الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٢- أهل الشرك من سكان المدينة الأصليين

٣- اليهود .

بناء المسجد :

ففى المكان الذى بركت فيه الناقة وكان مریداً لغلّامين يتيمين وكان بها حرب وقبور للمشركين فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل والشجر ففُطع وكان ينقل الحجاره مع أصحابه .

روى البخارى عن عكرمة، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ لَهُ وَإِلَعِيَّيْ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَاتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِطٍ لهُمَا يَسْقِيَانِهِ، فَلَمَّا رَأَانَا جَاءَ، فَاحْتَبَى وَجَلَسَ، فَقَالَ: كُنَّا نَنْفُلُ لِبَنِّ الْمَسْجِدِ

١- أخرجه ابن هشام في السيره (١/٤٥٢)

لَبْنَةُ لَبْنَةٍ، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَسَحَ عَنِ رَأْسِهِ الْعُبَّارَ، وَقَالَ: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ»^(١)

قال الحافظ: وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَجُودُ جَمِيعَهُ أَحَدٌ لِأَنَّ بِنَ عَبَّاسٍ مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِ أَمَرَ ابْنَهُ بِالْأَخْذِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عِلْمَ أَنَّ عِنْدَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِزْسَالُهُ إِلَيْهِ لِطَلَبِ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ لِأَنَّ أَبَا سَعِيدٍ أَقْدَمُ صُحْبَةً وَأَكْثَرُ سَمَاعًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بِنِ عَبَّاسٍ . فِيهِ مَا كَانَ السَّلْفُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَضُّعِ وَعَدَمِ التَّكْبُرِ^(٢)

روى الامام أحمد والحاكم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَا عَمَّارُ أَلَا تَحْمِلُ كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ مِنَ اللَّهِ الْأَجْرَ^(٣)

لبنة لبنة قال الحافظ أى واحدة عنه والأخرى عن رسول الله ﷺ .

قال الحافظ : فَإِنْ قِيلَ كَانَ قَتْلُهُ بِصِفِّينَ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ قَتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الدُّعَاءُ إِلَى النَّارِ .

فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي اتِّبَاعِ ظُنُونِهِمْ فَالْمُرَادُ بِالْدُّعَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ الدُّعَاءُ إِلَى سَبِّهَا وَهُوَ طَاعَةُ الْإِمَامِ وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ وَهُوَ الْإِمَامُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةُ إِذْ ذَلِكَ^(٤)

المؤاخاة بين الصحابة في المدينة :

إعتبر الإسلام المؤمنين كلهم أخوة فقال تعالى (إنما المؤمنون أخوة) .

والمقصود بالأخوة هنا المؤاخاة الخاصة التي شرعت وترتبت عليها حقوق وواجبات أخص من الحقوق والواجبات العامة بين المؤمنين كافة .

١- أخرجه البخاري (٤٤٧) بابُ التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ (٢٨١٢) بَابُ مَسْحِ الْعُبَّارِ عَنِ الرَّأْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

٢- فتح الباری (١/٥٤١)

٣- أخرجه أحمد (١١٨٦١) والحاكم (٢٦٥٣) وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ» وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ

٤- فتح الباری (١/٥٤٢)

وقد تحدث بعض العلماء أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة، فأخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب .

روى الطبراني وصححه الالباني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَى بَيْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١)

قال الحافظ وأنكر بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض المال والعشيرة والموى فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفع الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى وهذا تظهر مؤاخاته ﷺ العلي لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر وكذا مؤاخاه حمزة وزيد بن حارثة لأن زيدا مولاهم فقد ثبت أخوتهما وهما من المهاجرين^(٢)

طبيعة المدينة - طبيعة عمل قريش التجارة .

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٩: الحشر]

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قَالَتِ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ بَدَلًا مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، قَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ، فَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَدْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَلَّا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ»^(٣)

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ائْسِم بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّحِيلِ، قَالَ: «لَا» فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُؤَنَةَ، وَنَشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^(٤)

١- أخرجه الطبراني في الاوسط (٥٢٢٣) وقال الهيثمي : رجاله ثقات وابن أبي شيبة في تاريخ المدينة (١٠٥٣/٣)

٢- فتح الباري (٢٧١/٧)

٣- أخرجه أحمد (١٣٠٧٥) (١٣١٢٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين

زمن المؤاخاة : قبل غزوة بدر باتفاق وقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر قاله ابن عبد البر .

مكانها : في بيت أنس بن مالك . . وقد شملت المؤاخاة تسعين رجلا (٤٥) من الأنصار و (٤٥) من المهاجرين . ويقال أنه ﷺ لم يُبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري

أصول المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار :

١- المواسة المطلقة في كل وجه من أوجه العون :- التوارث بين المتآخين دون ذوى أرحامهم.

روى البخارى عن أنس رضي الله عنه، أنه قال: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمْتَ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَبِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، (وفي رواية غير البخارى في أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ذُلُّونِي عَلَى السُّوقِ) (٢) فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ، وَضُرَّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهَيْمٌ». قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ «مَا سُقْتُ إِلَيْهَا؟». قَالَ: وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوْمٌ وَلَوْ بِشَاةٍ» (٣) .

توفى عبد الرحمن بن عوف سنة ٣٢ هجرية . وخلف ١٠٠٠ بعير و ٣٠٠٠ شاة و ١٠٠ فرس . وكان ثمن تركته (٣٢٠,٠٠٠) . قاله الذهبي .

من لوازم الأخوة :

روى الإمام أحمد بسند حسن عن إبراهيم بن محمد بن سعد، حَدَّثَنِي وَالِدِي مُحَمَّدٌ، عَنِ أَبِيهِ سَعْدٍ، قَالَ: مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لَا. وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. إِلَّا أَبِي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ أَنفًا فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. قَالَ: فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَا، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَيَّ أَخِيكَ

١- أخرجه البخاري (٢٣٢٥) بَابُ إِذَا قَالَ: أَخْفِينِي مَثْوَى النَّحْلِ وَعَيْرِهِ، وَتَشْرِكُنِي فِي التَّمْرِ (٢٧١٩) بَابُ الشُّرُوطِ فِي

المعاملة

٢- أخرجه البخاري (٢٠٤٩) (٥٠٧٢)

٣- أخرجه البخاري (٣٧٨١) بَابُ إِخَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ

السَّلَام؟ قَالَ عُثْمَانُ: مَا فَعَلْتُ قَالَ سَعْدٌ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ، فَقَالَ: بَلَى، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آتِيفًا، وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا تَعَشَّى بَصْرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: فَأَنَا أُبَيِّنُكَ بِهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَعَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ، فَالْتَمَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ: «مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَمَهْ». قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنْتَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَشَعَلَكَ، قَالَ: " نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٨٧] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ " (١)

من لوازم الأخوة إذا صدرت منه زلة أبحث عن سببها .

٢- النصح له والإرشاد :

روى مسلم عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى " (٢)

روى البخاري عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخْوَكُ أَبُوالدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُوالدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَفُومُ، فَقَالَ: تَمَّ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَفُومُ، فَقَالَ: تَمَّ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: فَمِ الْآنَ، قَالَ: فَصَلِّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» (٣)

٣- تفريج الكرب :

١- أخرجه أحمد (١٤٦٢) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٢- أخرجه مسلم (٤/١٩٩٩، ٢٥٨٦) بَابُ تَرَاحِمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاوُذِهِمْ

٣- أخرجه البخاري (١٩٦٨) بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَحِبِّهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ فَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ

وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١)

في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٢)

قال النووي في شرحه وفي رواية أيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ قَالَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

وقال أيضا : قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَوْلُهُ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ مَعْنَاهُ أَيُّ حِصَالِهِ وَأُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَقَعَ اخْتِلَافُ الْجَوَابِ فِي خَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِلَافِ حَالِ السَّائِلِ وَالْحَاضِرِينَ فَكَانَ فِي أَحَدِ الْمَوْضِعِينَ الْحَاجَةُ إِلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ أَكْثَرَ وَأَهَمُّ لِمَا حَصَلَ مِنْ إِهْمَالِهِمَا وَالتَّسَاهُلِ فِي أُمُورِهِمَا وَنَحْوِ ذَلِكَ وَفِي الْمَوْضِعِ الْآخَرَ إِلَى الْكُفِّ عَنْ إِبْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ

وَمَعْنَى تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ أَيُّ تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقَيْتَهُ عَرَفْتَهُ أَمْ لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَا تَخْصَّ بِهِ مَنْ تَعْرِفْهُ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ ... ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعُمُومَ مَخْصُوصٌ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَا يُسَلِّمُ ابْتِدَاءً عَلَى كَافِرٍ^(٣)

* المسجد أهم ركائز المجتمع - المسجد رمز لشمولية الإسلام .

روى الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح أن أبا هريرة، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا، يَتَعَلَّمْ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لِعَبْرٍ ذَلِكَ كَانَ كَالنَّاطِرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ»^(٤)

في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(٥)

١- أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١٦)

٢- أخرجه البخاري (١٢) باب: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، (٢٨) بَابُ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ، ومسلم (٣٩) بَابُ بَيَانِ تَفَاوُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ

٣- شرح النووي على مسلم (١٠ / ٢)

٤- أخرجه أحمد (٨٦٠٣) وحسنه الشيخ أحمد شاكر والحاكم (٣١٠) وابن حبان (٨٧) وحسنه الألباني

٥- أخرجه البخاري (٦٠٧٧) بَابُ الْهِجْرَةِ ، (٦٢٣٧) بَابُ السَّلَامِ لِلْمَعْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ، ومسلم (٢٥٦٠) بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِإِلَّا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ

ملحوظة مهمة في التأخى : لم يتم التأخى والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إلا بعد (وحدة العقيدة - وحدة الهدف - وحدة الوسيلة والسلوك) .

فالتأخى بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم .

تذويب الفوارق الإقليمية بين الناس والقبلية : من الأمراض في الصف الإسلامى سيطرة روح الإقليمية والعصبية في نفوس البعض ولن تزول إلا بإذابة هذه الروح البغيضة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

تحديد مفهوم الأمة :

وهو يضم جميع المسلمين مهاجرين وأنصار . في البخارى عن أنس بن مالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»^(١)

المساواة بين الناس : المعنى بها المساواة بين الناس جميعهم أمام الشرع في القضاء وكافة الحقوق الإسلامية دون تفریق بسبب الأصل أو الجنس أو اللون أو الثروة أو الجاه .

خبر الأذان :

روى الإمام احمد وابن ماجه وأبى داود عن عبد الله بن زبید، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّافُوسِ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ فِي الْجُمُعِ لِلصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَافُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّافُوسَ؟ قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: تَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ: تَقُولُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ: «إِنَّهَا

١ - أخرجه البخاري (٣٩١) باب فضل استقبال القبلة

لَرُؤْيَا حَقٍّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَفُئِمَ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَدِّدْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»^(١) قَالَ: فَفُئِمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أَلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَدِّدْ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ بِدَلِكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجْرُ رِدَاءَهُ يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي أُرِي، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ»^(٢)

مواقف اليهود من النبي ﷺ والدعوة :

لقد وضح لليهود بيقين أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً ولكن هذه المعرفة واليقين لم تزدهم إلا عنادا ..

روى ابنُ إسحاق: بسنده عن صفية بنتِ حُمَيِّ بنِ أخطب أنها قالت: كُنْتُ أَحَبَّ وَوَلَدَ أَبِي إِلَيْهِ، وَإِلَى عَمِّي أَبِي: يَاسِرٍ، لَمْ أَلْقِهُمَا قَطُّ مَعَ وَوَلَدِهِمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُمَيُّ بْنُ أخطب، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أخطب، مُعَلَّسَيْنِ. قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَتْ: فَأَتَيْتَا كَالَّذِينَ كَسَلَتْنِي سَاقِطَيْنِ بِمَشِيَانِ الْهُوْبِيِّ. قَالَتْ: فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاللَّهِ مَا التَفَتَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِيَهُمَا مِنَ الْعَمِّ. قَالَتْ: وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي، حُمَيُّ بْنُ أخطب: أَهْوُ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ: قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عداوتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ^(٣)

روى الطبراني والبيهقي عن كعب بن مالك قال كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه: {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْهُمُ الْكُتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ اشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا} [آل عمران: ١٨٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا} [البقرة: ١٠٩]^(٤)

لقد تخيل اليهود بعقولهم المنحرفة أن هذا الدين يشكل خطورة عظيمة عليهم وعلى عقيدتهم المنحرفة . فهم يقولون بأن عزيرا ابن الله والإسلام جاء بالتوحيد (لم يلد ولم يولد) .

١- أبعد وأنفذ وأقوى

٢- أخرجه أحمد (١٦٤٧٨) بإسناد حسن ، وأبو داود (٤٩٩) وابن ماجه (٧٠٦) وصححه الألباني في المشكاة (٦٥٠)

٣- أخرجه ابن اسحاق في السيره (١/٥١٩) وأبو نعيم في الدلائل (٣٧)

٤- أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/٧٦) والبيهقي (١٨٦٢٨) وابن أبي شيبة في تاريخ المدينة (٢/٤٥٩)

وهم يقولون أنهم شعب الله المختار والإسلام ينادى بالمساواة ولا أفضلية إلا بالتقوى .

من أفعالهم مع النبي ﷺ والصحابة :

تمزيق وحدة المسلمين ومحاولتهم لتصديع الجبهة الداخلية :- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدَّ عَسَا^(١)، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضُّعْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْأَوْسِ وَالخُزْجِ، فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أَلْفَنِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ (أم الاوس والخزرج) بهذه البلاد، وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَنِي شَابًا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: ائِمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ أَذْكَرُ يَوْمَ بُعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ فَعَلَّ. فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَازَعُوا وَتَفَاحَرُوا، حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينِ عَلَى الرُّكْبِ، أَوْسُ بْنُ قَيْظِي، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخُزْجِ، فَتَقَاوَلَا ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَدْعَةَ، فَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا مَوْعِدَكُمْ الظَّاهِرَةَ - وَالظَّاهِرَةَ: الْحِرَّةُ - السِّلَاحِ السِّلَاحِ. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ اللَّهُ، أَدْعُو، الْجَاهِلِيَّةَ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَنْقَدَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ مِنْ قُلُوبِكُمْ؟! فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرَّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخُزْجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ٩٨، ٩٩] . وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِي وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا، عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٠-١٠٢] .

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥].^(٢)

١- كبرت سنه

٢- السيره لابن هشام (١/ ٥٥٥) وما بعدها

التهم على الذات الإلهية :

ذكر أهل السير والتفسير أن أبا بكرٍ الصِّدِّيقِ دَخَلَ بَيْتَ الْمَدْرَاسِ عَلَى يَهُودٍ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ فِنْحَاصُ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمَعَهُ خَبْرٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: أَشْبَعُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِفِنْحَاصٍ: وَبِحُكِّ يَا فِنْحَاصُ! اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَرَسُولُ اللَّهِ، قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ فِنْحَاصُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ يَا أبا بَكْرٍ، مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فِقْرٍ، وَإِنَّهُ إِنِّي لَفَقِيرٌ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لِأَغْنِيَاءُ، وَمَا هُوَ عَنَّا بِعَيْنِي، وَلَوْ كَانَ عَنَّا عَيْنًا مَا اسْتَفْرَضْنَا أَمْوَالَنَا، كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبِكُمْ، يَنْهَأكُمْ عَنِ الرَّبَا وَيُعْطِينَاهُ وَلَوْ كَانَ عَنَّا عَيْنًا مَا أَعْطَانَا الرَّبَا. قَالَ: فَعَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَضَرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ. قَالَ: فَذَهَبَ فِنْحَاصُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَأَنْتُمْ أَغْنِيَاءُ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ غَضِبْتُ لِلَّهِ مِمَّا قَالَ، وَضَرَبْتُ وَجْهَهُ. فَحَدَّ ذَلِكَ فِنْحَاصُ، وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا قَالَ فِنْحَاصُ رَدًّا عَلَيْهِ، وَتَصَدِّقًا لِأَبِي بَكْرٍ: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا، وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ^(١))

سوء الأدب مع النبي ﷺ:

في الصحيحين أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ زَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» وفي رواية قَالَ: «أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي»^(٢)

تحويل القبلة :

١- أخرجه الطبري في التفسير (٢٧٨/٦) وابن أبي حاتم في التفسير (٤٥٩٠) وابن هشام في السيرة (١/٥٥٨)

٢- أخرجه البخاري (٦٠٣٠) باب «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا»، (٦٤٠١) باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لَنَا فِي الْيَهُودِ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا» ومسلم (٢١٦٥)

روى ابن إسحاق بسنده إلى البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ يصلى نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله ({ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا من مات قبل أن نصرف إلى القبلة فأنزل الله تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ } وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله تعالى { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(١)

في الصحيحين واللفظ للبخاري عن البراء بن عازب، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَحْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَحْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبَلْتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَاوُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ^(٢)

قال الحافظ: أَنَّ الْقُدُومَ كَانَ فِي شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ بِلَا خِلَافٍ وَكَانَ التَّحْوِيلُ فِي نِصْفِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الصَّحِيحِ وَبِهِ جَزَمَ الْجُمْهُورُ

وذكر النووي أَنَّ التَّحْوِيلَ كَانَ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ وَأَقْرَبَهُ مَعَ كَوْنِهِ رَجَحَ فِي شَرْحِهِ لِمُسْلِمٍ رِوَايَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا لِكُونِهَا جُزْؤًا مِمَّا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ إِلَّا إِنْ أَلْعَى شَهْرِي الْقُدُومِ وَالتَّحْوِيلِ وَقَدْ جَزَمَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ بِأَنَّ التَّحْوِيلَ كَانَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ

قوله تعالى ({ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ } فيه دليل على أن الصلاة من الإيمان .

قال الحافظ في الفتح في هذا الحديث من الفوائد الرُّدُّ عَلَى الْمُرْجئةِ فِي إنْكَارِهِمْ تَسْمِيَةَ أَعْمَالِ الدِّينِ إِيمَانًا وَفِيهِ بَيَانٌ مَا كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى دِينِهِمْ وَالتَّشَفُّقَةِ عَلَى إِخْوَانِهِمْ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ (لما سألوا عن حكم صلاة من مات منهم قبل تحويل القبلة فأخبر الله تعالى أن صلواتهم مقبولة وأن الله تعالى بالناس لرؤوف رحيم)^(٣)

١- تفسير ابن كثير (١/٣٢٥)

٢- أخرجه البخاري (٤٠) باب: الصَّلَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ ، ومسلم (٥٢٥)

٣- فتح الباري (١/٩٧)

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

والمراد بالسفهاء الكفار، وأهل النفاق، واليهود.

أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا، فإنه علم أنا على الحق.

وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولاً على الحق، فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس.

وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء، ولو كان نبيا لما خالف، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات

وقيل «السفهاء»: جمع سفيه، وهو خفيف العقل، وهم اليهود لكرهتهم التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ وَأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ التَّسَخُّ، وَقِيلَ: الْمَنَافِقُونَ بِحِرْصِهِمْ عَلَى الطَّعْنِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَقِيلَ: الْمُشْرِكُونَ. قَالُوا: رَغِبَ عَنْ قِبَلَةِ آبَائِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا وَاللَّهُ لِيرْجِعَنَّ إِلَى دِينِهِمْ.

(لله المشرق والمغرب) ، أي: بلاد الشرق والغرب والأرض كلها أي الحكم والتَّصَرُّفُ فِي الْأَمْرِ كَلِمَةٌ لِلَّهِ {فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهَ اللَّهِ} فَيَأْمُرُهُم بِالتَّوَجُّهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْمَشْرِقِ الْكَعْبَةَ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَّ بِالْمَدِينَةِ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَهُوَ مُتَوَجِّهٌ لِلْمَشْرِقِ، وَأَرَادَ بِالْمَغْرِبِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَّ فِي الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ مُتَوَجِّهٌ جِهَةَ الْمَغْرِبِ.

قال الشوكاني: سيقول بمعنى قال وإنما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته والاستمرار عليه

وقيل إن الإخبار بهذا الخبر كان قبل التحويل إلى الكعبة وإن فائدة ذلك أن الإخبار بالمكروه قبل وقوعه كان فيه تهوين لصدمته وتخفيف لروعته وكسرا لسوءته^(١)

قال السعدي في التفسير: قد إشتملت الآية الأولى (سيقول السفهاء) على معجزة، وتسليية، وتطمين قلوب المؤمنين، وإعتراض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه.

أخبر تعالى أن السفهاء سيعترضون على أحكام الله وشرعه ومنها تحويل القبلة فقال السفهاء أى شىء صرفهم عن بيت المقدس وفي ذلك اعتراض على الحكم^(٢)

١- فتح القدير (١/ ١٧٤)

٢- تفسير السعدي (١/ ٧٠)

تسليية أن الله تعالى أخبر بوقوعه وأنه لا يقع إلا ممن إتصف بالسفه. فيكون الجواب عليهم (قل لله المشرق والمغرب

قال الرازي : قوله تعالى (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ) استفهام على جهة التعجب والاستهزاء .

الجواب عن الشبهة : أن الجهات كلها له وتصير القبلة لأن الله تعالى جعلها قبلة .

أول صلاة صلاها النبي ﷺ إلى الكعبة :

قال الحافظ في الفتح : قَالَ بِن عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَدِيرُ الْكَعْبَةَ بَلَّ يَجْعَلُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

رواية ستة عشر شهرا أصح فهي مجزوم بها عند مسلم عن البراء بن عازب، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا» حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقْرَةِ الحديث (

والجمع بين رواية ستة عشر شهرا وسبعة عشر شهرا ممكن وهو أن من جزم بستة عشر شهرا لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا وألغى الزوائد . ومن جزم بسبعة عشر شهرا عددها معا ومن شك تردد

قال الحافظ في الفتح : وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا فِي بَنِي سَلَمَةَ لَمَّا مَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الظُّهْرُ (روى أصحاب السير وخرج رسول الله ﷺ زائرا أم بشر بن البراء بن معرور، في بني سلمة - بكسر اللام - فصنعت له طعاما، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد هناك الظهر، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صل إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة، واستقبل الميزاب. فتحوّل النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء،) وَأَوَّلُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الْعَصْرُ وَأَمَّا الصُّبْحُ فَهُوَ مِنْ حَدِيثِ بِنِ عُمَرَ بِأَهْلِ قُبَاءٍ فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَيْنَمَا النَّاسُ فِي الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ، جَاءَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنًا، وَأَمَرَ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ، أَلَّا فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَ وَجْهَ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الْكَعْبَةِ»^(١)

والجمع بين الروايات : أن التحويل كان في صلاة العصر ولم يبلغ أهل قباء الأمر إلا في صلاة الصبح .

ملحوظة مهمة : الأحاديث الواردة في أن أول صلاة كانت صلاة غير صلاة العصر كلها لا تصح ومطعون في سندها .

١- فتح الباري (١/٩٦) وما بعدها

حكم الخطاب لا يتعلق بالمكلف قبل بلوغه اياه .

من دخل في صلاته بإجتهد سائغ إلى جهة ثم تبين له الخطأ في أثناء الصلاة أنه ينتقل ويبنى .

قبول خبر الواحد .

يستفاد من الواقعة :

١- حرص المؤمنين على إخوانهم وحب الخير لهم .

٢- من ترك مأمورا به جهلا أو فعله على غير هيئته جهلا فليس عليه شيء ولا يقضى طالما انقضى وقته .

٣- أصل الدين الذي لا شك فيه هو الإنقياد التام للشرع .

من أصول الدين ودعائمه مخالفة أهل الكتاب :

روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ) وفي رواية ابن أبي شيبة (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِيِ أَصَبْتُ كِتَابًا حَسَنًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْنَاءَ نَعِيَّةٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُحَدِّثُونَكُمْ بِحَقِّ فُتُكَدُّوْا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتَصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١)

قال الحافظ : وغضبه ﷺ يدل على أن ما فعله عمر معصية .

بعض صور المخالفة لأهل الكتاب :

١ - معاملة الرجل لزوجته في الحيض :

روى مسلم عن أنسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاصَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَى فَاعْتَرَلُوا

١- أخرجه أحمد (١٥١٥٦) وابن أبي عاصم في السنة (٥٠) وحسنه الألباني في ظلال الجنة وابن عبد البر في جامع

بيان العلم وفضله (١٤٩٧)

النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ { [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفْنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا بُحَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا^(١)

وفي رواية الطبري عن السدي إِنَّ السَّائِلَ الَّذِي سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ كَانَ ثَابِتَ بْنَ الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيِّ^(٢)

قول اليهود (مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفْنَا فِيهِ) يدل على أنهم فهموا ذلك من كثرة حدوثة منه ﷺ.

وغضب النبي ﷺ من قول أسيد بن حضير وعباد بن بشر إنما كان ليبين ان الحامل على مشروعية الأحكام إنما هو امر الله تعالى ونهيه لا مخالفة احد ولا موافقته كما ظنا . ثم لما خرجا من عنده وتركاه على تلك الحالة خاف عليهما أن يجزنا وأن يتكدر حالهما فاستدرك ذلك واستمالهما وأزال عنهما ما أصابهما بأن أرسل إليهما فسقاها اللبنة .

٢- عاشوراء :

روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُؤَيِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣)

قال النووي: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي صَوْمِ التَّاسِعِ مَعَ الْعَاشِرِ أَنْ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْيَهُودِ فِي إِفْرَادِ الْعَاشِرِ^(٤)

٣- الصلاة في النعال :

١- أخرجه سلم (٣٠٢) بَابُ جَوَازِ غُسْلِ الْخَائِضِ رَأْسِ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ وَطَهَارَةِ سُورِهَا وَالْأَتَكَاءِ فِي حَجْرِهَا وَقِرَاءَةِ

الْقُرْآنِ فِيهِ

٢- أخرجه الطبري في التفسير (٧٢٢/٣)

٣- أخرجه مسلم (٧٩٧/٢، ١١٣٤) بَابُ أَيُّ يَوْمٍ يُصَامُ فِي عَاشُورَاءَ

٤- شرح النووي على مسلم (١٣/٨)

روى أبو داود عن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود فإنتهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم»^(١)

٤- صبغ الشعر :

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ، قال: «إن اليهود، والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم»^(٢)

قال الحافظ في الفتح : فخالفوهم يفتضي مشروعيته الصبغ والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس ولا يعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشيب لأن الصبغ لا يفتضي الإزالة ثم إن المأذون فيه مقيّد بغير السواد لما أخرجه مسلم من حديث جابر أنه ﷺ قال غيروه وحبوه السواد^(٣)

متابعة الأحداث

عاش اليهود بالمدينة في ظل معاهدة مع النبي ﷺ وكان جملة بنودها :- اليهود امه مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأن ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ.

الإتصال بين قريش وبين عبد الله بن سلول .

بعض القلاقل من اليهود .

في الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن مسعود، قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في بعض حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمررتنا على نفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه أن يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام إليه رجل منهم

١- أخرجه أبو داود (٦٥٢) وصححه الألباني في المشكاة (٧٦٥)

٢- أخرجه البخاري (٣٤٦٢) باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٥٨٩٩) باب الحصاب، ومسلم (٢١٠٣) باب في

مخالفة اليهود في الصبغ

٣- فتح الباري (٤٩٩/٦)

فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا الرُّوحُ؟ «فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ»، فَقَالَ: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ^(١) .

وفي رواية الحاكم قالوا: نَحْنُ لَمْ نُؤْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} ^(٢) .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس، قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيُّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَبِيِّهِ، إِذْ قَالُوا: اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ، قَالَ: «هَانُوا» قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ، قَالَ: «تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنَّثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذَكَّرُ؟ قَالَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ» قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: " كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النِّسَاءِ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ أَبِي: " قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ «- فَحَرَّمَ لِحُومَهَا» ، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ - أَوْ فِي يَدِهِ - مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسْوِفُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ» قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «صَوْتُهُ» قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي تُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْحَبْرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوَّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة: ٩٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(٣)

قال ابن جرير: أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ جَوَابًا لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوٌّ لَهُمْ، وَأَنَّ مِيكَائِيلَ وَلِيُّ لَهُمْ ^(٤)

١- أخرجه البخاري (٧٤٦٢) باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، ومسلم

(٢٧٩٤) باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح

٢- أخرجه الحاكم (٣٩٦١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي

٣- أخرجه أحمد (٢٤٨٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٤- تفسير الطبري (٢/٢٨٣)

روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس، في قوله: " { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ } [الأنعام: ١٢١] يُفُولُونَ: «مَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُوا وَمَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ فَكُلُوا». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } [الأنعام: ١٢١] " (١)

قال المفسرون : ذهب بعض أهل العلم الى ان المراد بالشياطين هنا شياطين الانس كاليهود الذين يفسدون على الناس دينهم فعلموا اهل الشرك من مشركى قريش وغيرهم .

فائدة : قال القرطبي : قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) أَي فِي تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَحَلَّ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى صَارَ بِهِ مُشْرِكًا (٢)

قال ابن العربي (أحكام القرآن) : إِنَّمَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِطَاعَةِ الْمُشْرِكِ مُشْرِكًا إِذَا أَطَاعَهُ فِي اعْتِقَادِهِ: الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِذَا أَطَاعَهُ فِي الْفِعْلِ وَعَقْدُهُ سَلِيمٌ مُسْتَمِرٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّصَدِيقِ فَهُوَ عَاصٍ (٣)

روى البخارى عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» قَالَ: فَقَالَ الْأَشْعَثُ: فِيَّ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْتِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَحَدَّيْنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَيْكَ بَيِّنَةٌ»، قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «اخْلِفْ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا يَخْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا } [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَفِي رِوَايَةٍ (خَاصَمْتُهُ فِي بَيْتِي) (٤)

قول الاشعث كان لى أرض وفي رواية بئر لاتعارض ويجمع بينهما بان المراد ارض البئر لا جميع الأرض التي هى أرض والبئر من جملتها .

قوله إنه فاجر (اليهودى) ولا يتورع عن شىء ومع ذلك ليس لك عنده إلا اليمين .

ما حدث في مكة بعد الهجرة

١- أخرجه أبو داود (٢٨١٨) وابن ماجه (٣١٧٣) والنسائي (٤٤٣٧) وصححه الألباني

٢- تفسير القرطبي (٧٧/٧)

٣- أحكام القرآن (٢٧٥/٢)

٤- أخرجه البخاري (٢٤١٦) بَابُ كَلَامِ الْحُصُومِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، (٢٦٦٦) بَابُ سُؤْلِ الْحَاكِمِ الْمَدْعِيِّ: هَلْ لَكَ

بَيِّنَةٌ؟ قَبْلَ الْيَمِينِ

مات من مشركى مكة (الوليد بن المغيرة . فلما بدأ فى الإحتضار جزع فقال له ابو جهل ما جزعك يا عم ؟ فقال: والله ما بي من جزع الموت، ولكن أخاف أن يظهر دين ابن ابي كبشة بمكة، فقال: أبو سفيان لا تحف إني ضامن ألا يظهر .

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدث، عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقاً لأُمَيَّةَ بنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرِي لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أُوَيْتُمُ الصُّبَاءَ، وَرَعَمْتُمُ أَنْكُمُ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرَفَعِ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَفَرَعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَرَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرِي مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، فُقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرِ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَذْرِكُوا عِيْرَكُمْ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ فَاتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَحَلَّفَتْ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، تَحَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَا إِذْ عَلَّبْتَنِي، فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِينَ أَجُودَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِيْنِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِيُّ؟ قَالَ: لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرِ" (١)

وفزع أمية لأنه علم أن النبي ﷺ لا يكذب قط .

قال الحافظ: أَنَّ أُمَيَّةَ بِنَ خَلْفٍ كَانَ قَدْ أَجْمَعَ عَلَى عَدَمِ الْخُرُوجِ وَكَانَ شَيْخًا جَسِيمًا فَاتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِمِحْمَرَةٍ حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ فَقَالَ قَبَّحَكَ اللَّهُ وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ سَلَطَ عُقْبَةَ عَلَيْهِ حَتَّى صَنَعَ بِهِ ذَلِكَ وَكَانَ عُقْبَةُ سَفِيهَاً

١- أخرجه البخاري (٣٩٥٠) باب ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُقْتَلُ بِبَدْرِ

قَوْلُهُ لِأَشْتَرِيَنَّ أَجُودَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ يَعْنِي فَاسْتَعِدُّ عَلَيْهِ لِلْهَرَبِ إِذَا خِفْتُ شَيْئًا^(١)

ثم وقع في الاسر فاسره عبد الرحمن بن عوف فلما راه بلال قال راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان
نجا وتمكن منه هو ومن معه فقتلوه .

روى أبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ
كُتِبُوا إِلَى ابْنِ أَبِيٍّ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ
وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَوْيْتُمْ صَاحِبِنَا، وَإِنَّا نُنْقِصُ بِاللَّهِ لِنُقَاتِلَنَّهُ، أَوْ نَخْرِجُهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى
نَقْتُلَ مُقَاتِلَتِكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبْدِ الْأَوْثَانِ،
اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ ﷺ لِقِيهِمْ، فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ،
مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ»
فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا^(٢)

إستمر كفار مكة في تهديد المسلمين فارسلوا كتابا اخر الى المسلمين فيه تهديد بالهجوم عليهم في اى
لحظة من ليل أو نهار للقضاء عليهم . وترتب على ذلك .

في الصحيحين واللفظ لمسلم أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ:
«لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَخْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ:
«مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي
خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ^(٣)

وإستمر هذا السهر من النبي ﷺ وإستمرت حراسته من الصحابة ليلا حتى نزل قوله تعالى (والله
يعصمك من الناس) فقال رسول الله ﷺ يا أيها الناس إنصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل .

و عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: لما قدم رسول الله ﷺ - وأصحابه المدينة وآوتهم
الأنصار، ورمتهم العرب عن قوس واحدة - أي اتفقوا الكفار جميعاً على النبي ﷺ - وعلى أصحابه -
كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه^(٤)

١- فتح الباري (٧ / ٢٨٤)

٢- أخرجه أبو داود (٣٠٠٤) وصححه الألباني

٣- أخرجه البخاري (٧٢٣١) بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْتَ كَذَا وَكَذَا» ومسلم (١٨٧٥/٤، ٢٤١٠)

٤- أخرجه الحاكم (٣٥١٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَمَمْ يُخْرِجَاهُ» ووافقه الذهبي

مراحل الجهاد :

قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وهذه أول آية للإذن بالقتال

إعتبار مشركى قريش محاربين بانهم بدءوا بالعدوان من خلال مراسلتهم لعبد الله بن سلول بالمدينة .
متى راي من اليهود خيانتهم وتحيزا للمشركين قوتلوا .

متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريش قوتلت حتى تدين بالإسلام
كل من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه .

سرية حمزة بن عبد المطلب :

وَكَانَتْ سَرِيَّةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي رَمَضَانَ، عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَهَاجِرَةِ النَّبِيِّ ﷺ. بَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا يَعْتَرِضُ لِعَيْرِ قُرَيْشٍ قَدْ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ تُرِيدُ مَكَّةَ، فِيهَا أَبُو جَهْلٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَالتَقَوْا حَتَّى اصْطَفَقُوا لِلْقِتَالِ . ولم يحدث بينهم قتال^(١)

سرية عبيد بن الحارث :

فِي سُؤَالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ فَخَرَجَ عُبَيْدُهُ فِي سِتِّينَ رَاكِبًا، فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ أَحْيَاءُ مِنْ بَطْنِ رَابِعٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَوْمئِذٍ فِي مَائَتَيْنِ. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي الْإِسْلَامِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ثُمَّ انصرفت المشركون ولم يحدث قتال^(٢)

غزوة ودان : في أول السنة الثانية من الهجرة خرج النبي ﷺ ليعترض عيرا لقريش فصار حتى بلغ ودان ولم يلق حربا لأن العير سبقته .

غزوة بواط :

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، يَعْنِي مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، يُرِيدُ قُرَيْشًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَائَتَيْ رَاكِبٍ، وَكَانَ لِرِوَاؤُهُ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَكَانَ مَقْصِدُهُ أَنْ يَعْتَرِضَ لِعَيْرِ قُرَيْشٍ وَكَانَ فِيهِ أُمِّيَّةٌ بِنُ

١- السيره النبويه لابن كثير (٢/ ٣٣٨)

٢- مغازى الواقدي (١/ ١٠)

خَلَفَ وَمِائَةٌ رَجُلٍ وَالْفَانِ وَخَمْسُمِائَةٍ بَعِيرٍ حَتَّى بَلَغَ بُوَاطٍ مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا^(١)

غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ :

في جمادى الأولى وخرج في خمسين ومائة من المهاجرين يعترضون عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام وكان عليها سفيان بن حرب فلما بلغ العشيرة وجد العير قد مضت .

غزوة بدر الأولى :

خرج رسول الله ﷺ في طلبِ كُزَيْبِ بْنِ جَابِرِ الْفُهَيْرِيِّ، لأنه أَعَارَ عَلَى سَرِحِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَزْعَى بِالْجَمَاءِ وَنَوَاحِيهَا، حَتَّى بَلَغَ بَدْرًا وَلَمْ يُدْرِكْهُ^(٢)

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ :

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنَ رَبَّابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَحَبٍ، مَقْفَلُهُ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ . فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ، فَظَنَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمُضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةٌ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ، قَالَ: سَمِعًا وَطَاعَةً . وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةٍ، فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَيْبًا وَأَدَمًا، وَتِجَارَةً مِنْ بَحَارَةِ قُرَيْشٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ . وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَخُوهُ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمَخْرُومِيَّانِ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. فَلَمَّا رَأَوْهُمُ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَحَبٍ فَقَالَ الْقَوْمُ وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمْ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ، فَلَيَمْتَنِعَنَّ مِنْكُمْ بِهِ وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَتَرَدَّدَ الْقَوْمُ، وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ. فَرَمَى وَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيحِيَّ عَمْرُو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأَسَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَكَمُ ابْنَ كَيْسَانَ، وَأَفْلَتَ الْقَوْمُ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعَجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْبَعِيرِ وَالْأَسِيرِينَ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ

١- السيره النبويه لابن كثير (٢/ ٣٦١)

٢- مغازي الواقدي (١/ ١٢)

عزوجل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ)^(١)

غزوة بدر الكبرى

تاريخ الغزوة : الثاني عشر من رمضان ٢ (تاريخ الخروج) .

سبب الغزوة : وصول الخبر إلى المسلمين عن تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلاً وهي عبارة ألف بغير محملة بالبضائع، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي .

فبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها، فوصلا إلى الحوراء، ومكثتا حتى مر بهما أبو سفيان بالعبير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر. فَقَالَ هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرِجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلْكُمْوهَا .

واقعة : الحالة بين النبي ﷺ والمشركين حالة حرب وفيها تكون أموال المشركين ودماءهم مباحة . فكيف إذا كانت معظم هذه الأموال التي في القافلة هي للمسلمين أخذها المشركون منهم بالقوة حين الهجرة . كما حدث مثلاً مع صهيب الرومي . وقد مر ذكر ما حدث له حينما أراد الهجرة .

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ فِي غَايَةِ الْحَذَرِ وَالْحَرَصِ يُتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ . حَتَّى أَصَابَ خَبْرًا مِنْ بَعْضِ الرُّكْبَانِ: أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَكَ وَلِعَيْرِكَ فَحَدِرَ عِنْدَ ذَلِكَ. فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرِو الْعِفَارِيِّ، (٢٠ مثقال ذهبي) فَبَعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا فَيَسْتَنْفِرَهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمِ مَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، رُؤْيَا أَفْرَعَتْهَا. فَبَعَثَتْ إِلَى أَحِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَحْيِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْطَعَنِي وَتَحَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ قَوْمُكَ مِنْهَا شَرٌّ وَمُصِيبَةٌ، فَكُنْتُمْ عَنِّي مَا أَحَدْتُكَ بِهِ^(٢)

إذا ضاق صدرك بسرك فلا تلومن من أفشا سرك .

١- سيرة ابن هشام (١/٦٠٣)

٢- سيرة ابن هشام (١/٦٠٧)

حاصل الرؤيا : قال ابن إسحاق قَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَيَّ بِعَيْرٍ لَهُ، حَتَّى وَقَفَ بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَلَا انْفِرُوا يَا لَعْدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ، فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ حَوْلَهُ مِثْلَ بِهِ بِعَيْرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، صَرَخَ بِمِثْلِهَا: أَلَا انْفِرُوا يَا لَعْدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ: ثُمَّ مِثْلَ بِهِ بِعَيْرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا ثُمَّ أَحَدَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا. فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضَتْ. فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ، وَلَا دَارٌ إِلَّا دَخَلَتْهَا مِنْهَا فَلَقَةً.

ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ، فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُتْبَةَ، فَفَشَا الْحَدِيثُ بِمَكَّةَ، حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا. قَالَ الْعَبَّاسُ: فَغَدَوْتُ لِأَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَعُودًا يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو جَهْلٍ قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَوَائِفِكَ فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا؟ فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ مَتَى حَدَّثْتَ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: تِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ: قَالَ: قُلْتُ: وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَمَا رَضِيْتُمْ أَنْ يَتَّبِعَنَا رِجَالُكُمْ حَتَّى تَتَّبِعَنَا نِسَاؤُكُمْ، قَدْ زَعَمْتَ عَاتِكَةَ فِي رُؤْيَاهَا أَنَّهُ قَالَ: انْفِرُوا فِي ثَلَاثٍ، فَسَتَرْتُمْ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلَاثَ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ فَسَيَكُونُ، وَإِنْ تَمُضِ الثَّلَاثُ وَمَنْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، نَكْتُبُ عَلَيْكُمْ كِتَابًا أَنْتُمْ أَكْذِبُ أَهْلَ بَيْتِي فِي الْعَرَبِ. قَالَ الْعَبَّاسُ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ كَبِيرٌ، إِلَّا أَنِّي جَحَدْتُ ذَلِكَ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقْنَا.

فَلَمَّا أَمْسَيْتُ، لَمْ تَبَقْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا أَتَتْنِي، فَقَالَتْ: أَفَرَزْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْحَبِيثِ أَنْ يَمْعَ فِي رِجَالِكُمْ، ثُمَّ قَدْ تَنَاوَلَ النِّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غَيْرَ لَشَىءٍ بِمَا سَمِعْتَ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلْتُ، مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ. وَآيَمُ اللَّهِ لِأَتَعْرِضَ لَهُ، لَا كَفَيْتُكَ.

قَالَ فَغَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَأَنَا حَدِيدٌ مُعْضَبٌ أَرَى أَنِّي قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أَحِبُّ أَنْ أَدْرَكَهُ مِنْهُ. قَالَ: فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أَعْرِضُهُ، لِيَعُودَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقْعَ بِهِ، وَكَانَ رَجُلًا خَفِيْفًا، حَدِيدَ الْوَجْهِ، حَدِيدَ اللِّسَانِ، حَدِيدَ النَّظَرِ. قَالَ: إِذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ. قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا لَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَكُلُّ هَذَا فَرَقَ مِنِّي أَنْ أُشَاتِمَهُ! قَالَ: وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ: صَوْتِ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ جَدَّعَ بَعِيرَهُ ١، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ، اللَّطِيْمَةُ اللَّطِيْمَةُ ٢ أَمْوَالِكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا أَرَى أَنْ تَدْرِكُوهَا، الْعَوْتُ الْعَوْتُ. قَالَ: فَشَعَلْنِي عَنْهُ وَشَعَلَهُ عَنِّي مَا جَاءَ مِنَ الْأَمْرِ (١)

روى البيهقي في الدلائل عن أنس { فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُوهُ فِي ظُهُرِهِمْ فِي عُلوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»^(١)

فخرج رسول الله ﷺ وكان معه بضعة عشر وثلاثمائة رجلا (٣١٣، ٣١٤، ٣١٧ رجلا) ، ٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦ من المهاجرين، و ٦١ من الأوس و ١٧٠ من الخزرج . لم يكن معهم إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرا ليعتقب الرجالن والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرا واحدا . وفي رواية كان زميلى رسول الله ﷺ في ذلك السفر عليّ بن أبي طالب وأبو لبابة . فلما كانت عقبه النبي ﷺ قالوا اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك فيقول ما أنتما بأقوى على السير مني وما أنا بأغنى عن الاجر منكما .

فهما كان المسلم لا يحل له أن يستغنى عن الأجر .

وفي الطريق وعند بيوت السقيا إستعرض النبي ﷺ من خرج معه فرد عبد الله بن عمر والبراء بن عازب لصغرهما .

الإشارة إلى حماس الشباب وحرصهم على المشاركة في الجهاد .

إلتحق بالنبي ﷺ أحد المشركين راغبا في القتال مع قومه فرده . . . روى مسلم عن عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحِجْرَةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُدَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَبَجْدَةً، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَانْطَلِقْ»^(٢)

روى البيهقي في الدلائل فلما ذكرت عير أبي سفيان لرسول الله ﷺ بعث رسول الله ﷺ عدي بن أبي الرغباء الأنصاري من بني غنم، وأصله من جهينة وبسبب يعني ابن عمرو إلى العير عينا له، فسارا حتى أتيا حيا من جهينة قريبا من ساحل البحر، فسألوه عن العير وعن تجار قريش، فأخبروهما بخبر القوم

١- أخرجه البيهقي في الدلائل (٦٨/٢) بسند صحيح

٢- أخرجه مسلم (١٨١٧) باب كراهة الاستعانة في العزو بكافٍ

فَرَجَعَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَاسْتَنْفَرَا الْمُسْلِمِينَ لِلْعِيرِ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ. وَقَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَى الْجُهَيْنِيِّ وَهُوَ مُتَخَوِّفٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَحْسُوا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الرَّائِبِينَ: عَدِيَّ بْنَ أَبِي الرَّعْبَاءِ، وَبَسْبَسِ، وَأَشَارُوا إِلَى مُنَاحِيهِمَا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: خُذُوا مِنْ بَعْرِ بَعِيرَيْهِمَا، فَفَتَّهْ، فَوَجَدَ فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: هَذِهِ عَلَائِفُ أَهْلِ يَثْرِبَ (فرجع وغير إتجاه السير ثم نجح بالقافلة . ثم أرسل إلى قريش يخبرهم بنجاح القافلة (١) .

فلما وصل الخبر إلى قريش أجمعت الخروج فتذكروا ما بينهم وبين بني بكر من العداوة فخافوا أن تضربهم هذه القبائل من الخلف فيكونوا بين نارين فكاد ذلك يثنيهم عن الخروج . وحينئذ تبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جشعم المدلجي سيد بني كنانة فقال لهم إني جار لكم . قال تعالى (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ . قَالَ تَعَالَى (وَإِذْ زَيَّنَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) الانفال .

وقفة مع ما يفعله الشيطان لإضلال الخلق :

تأثير معنوى (الوسوسة) تأثير حسى (كما فعل مع قريش)

في المسند وغيره بسند حسن عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَأْخُذُ شَعْرَهُ مِنْ ذُبُرِهِ، فَيَمُدُّهَا فَيَرَى أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا " (٢)

خرجت قريش كما قال الله تعالى ﴿بَطْرًا وَرِيَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [٤٧: الأنفال]. بخيلها وحديدها تُحاد الله ورسوله وبينما الجيش بالحففة جاءتهم رسالة أبي سفيان بنجاحه العير . فهم الجيش بالرجوع ولكن قام أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نرد بدرنا فنقيم بها ثلاثا فنحرم الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا؛ فلا يزالون يهابوننا بعد ذلك اليوم أبداً .

قال ابن إسحاق وَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيُّ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ وَهُمْ بِالْحُحْفَةِ: يَا بَنِي زُهْرَةَ، قَدْ بَحَى اللَّهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَخَلَّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بْنَ نُوفَلٍ، وَإِنَّمَا نَفَرْتُمْ

١- أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٠٢) بسند صحيح

٢- أخرجه أحمد (١١٩١٢) بإناد حسن

لَتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ، فَاجْعَلُوا لِي جُنْبَهَا وَارْجِعُوا، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِأَنْ تَخْرُجُوا فِي عَيْرٍ ضَعِيفَةٍ لَا مَا يَقُولُ هَذَا، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ^(١)

لما بلغ النبي ﷺ نجاه القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ﷺ استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر . وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم، وقد صور القرآن الكريم، موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عمومًا في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٦: ٨: الأنفال]

وحينئذ إستشار النبي ﷺ أصحابه نظرا لخطورة الموقف :

قال ابن إسحاق فقال رسول الله ﷺ: أشيروا عليَّ أيُّها الناسُ . فقال أبو بكر الصديق، فقال وأحسنُ . ثم قام عمرُ بنُ الخطاب، فقال وأحسنُ، ثم قام المقدادُ بنُ عمرو فقال: يا رسولَ الله، امضِ لِمَا أَرَاكَ اللهُ فَتَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ، فو الذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سَرَتْ بِنَا إِلَى بَرِكِ الْعِمَادِ جَالِدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ، حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أشيروا عليَّ أيُّها الناسُ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ، وَأَنْتُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّا بُرَاءٌ مِنْ ذِمَّتِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلَّا مِنْ دَهْمِهِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّ مِنْ بِلَادِهِمْ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ لَكَائِكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ أَجَلٌ، قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَائِقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمُضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فو الذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضَّتْهُ لِحُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكُرُهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا عَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللهُ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ. فَسَرَ رَسُولُ اللهِ

ﷺ بِعَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَطُهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَيِّ الْأَنْظُرِ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ^(١)

قال ابن إسحاق ثم ركب رسول الله ﷺ هو وأبو بكر وجولاً في المنطقة القريبة من بدر حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن فريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركمما حتى تخبراني ممن أنتمما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن فريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقي فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه فريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتمما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق؟ قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ: سفيان الضمري^(٢)

يستفاد منها : (الوفاء بالعهد - التورية في الكلام - الإنصراف بسرعة حتى لا تكون هناك فرصة للشيخ أن يستفسر ما من ماء)

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتئمسون الخبر له عليه - كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راوية لفريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاء فريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكرة القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فصرئوهما. فلما أدلوهما قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلم، وقال: "إذا صدقاكم صرئتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقاً، والله إنهما لفريش، أخبرني عن فريش؟" قالوا: هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله ﷺ: "كم القوم؟" قالوا: كثير؟ قال: "ما عدتكم؟" قالوا: لا ندري، قال: "كم ينحرون كل يوم؟" قالوا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: "القوم فيما بين التسعمائة والألف". ثم قال لهما: "فمن فيهم من أشرف فريش؟" قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البخترى بن هشام، وحكيم بن جزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث،

١ - السيرة لابن هشام (١/٦١٥)

٢ - السيرة لابن هشام (١/٦١٦)

وَزَمَعَةَ بَنِي الْأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلٍ بَنِي هِشَامٍ، وَأُمِّيَّةُ بَنِي خَلْفٍ، وَنُبَيْهَ، وَمُنَبِّهَ ابْنِ الْحَجَّاجِ، وَسُهَيْلِ بَنِي عَمْرِو، وَعَمْرِو بَنِي عَبْدِ وَدٍّ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَادًا كَبِدَهَا"^(١)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه، ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويجول بينهم وبين الإستيلاء عليه، فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر . فقام الحباب بن المُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمْزَلًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: "بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلُهُ ثُمَّ نَعُورُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُفَاتِلُ الْقَوْمَ، فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ". فَانْهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ فَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعُورَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فَمُلِيَ مَاءً، ثُمَّ قَدَفُوا فِيهِ الْآبِيَةَ^(٢)

وقفه مع هذا الموقف : فتح المجال للإستشارة طالما أن الأمر لم يرد فيه نص .

الأدب العالی فی شخص الحباب حيث تبين قبل أن يعرض ما عنده .،

الوصف القرآني لساحة القتال :

قال تعالى ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا^(٣) وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيُخَيَّرَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [الأنفال]

*** نزول المطر : قال تعالى ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ [الأنفال]

وكان هذا ليلة السابع عشر من رمضان فأنزل الله عز وجل عليهم النعاس فاناموا حتى أجنب بعضهم.

١- السيرة لابن هشام (١/٦١٦) وما بعدها

٢- السيرة لابن هشام (١/٦٢٠) (ضعفه الألباني وغيره)

٣- حافة الوادي القريبة من المدينة

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عليّ، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد " ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يُصلي، ويبيكي، حتى أصبح^(١)

مداخل الشيطان إلى الصحابة :

روى أبو نعيم في الدلائل والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وألقى الشيطان في قلوبهم العيظ يؤسوسهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنين ، فأمطر الله عز وجل مطراً شديداً فشرب المسلمون ونظفوا وأذهب الله عنهم رجس الشيطان^(٢)

قال ابن إسحاق فلما اطمأن القوم، بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: اخزوا لنا أصحاب محمد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاث مائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعده، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئاً، ولكني قد رأيت، يا معشر قريش، البلاء يا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت النافع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فزرو رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفي، فعليّ عقله وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية. فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجهه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه وابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فأرجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، للذي قال . فأبى وأمر عامر بن الحضرمي فم فأنشد حُفرتك، ومقتل أحيك. وإثم أبو جهل عتبة بأنه خشى على ابنه أبو حذيفة لأنه أسلم وكان من أصحاب محمد ﷺ^(٣)

١- أخرجه أحمد (١٠٢٣) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب، فمن رجال أصحاب

السنن، وهو ثقة ، وصححه الشيخ أحمد شاكر

٢- أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤٠٠) والبيهقي (٧٨/٣)

٣- السيرة لابن هشام (٦٢٢/١)

وفشلت المحاولة الأخيرة لمنع القتال فأصبح اللقاء حتمى .

قال تعالى ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٣ : ٤٤ : الأنفال﴾

قام رسول الله ﷺ يعدل الصفوف فتقدم سواد بن غزيرة أمام الصف، فدفع النبي ﷺ بقدح في بطن سواد بن غزيرة، فقال له رسول الله ﷺ: استوي يا سواد! فقال له سواد: أوجعتني، والذي بعثك بالحق نبيا، أقديني! فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، ثم قال: استقد! فاعتنقه وقبله، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: حضر من أمر الله ما قد ترى، وخشيت القتل، فأردت أن يكون آخر عهدي بك، أن أعنتك (أو أن يمس جلدي جلديك . فدعا له رسول الله ﷺ بخير ^(١)

وقفه مع هذا الموقف : (النظام – العدل المطلق – محبة الجندى لقائده ﷺ)

إستفتح أبي جهل : فقال (اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ، فَأَحْنِهِ الْعِدَاةَ. اللَّهُمَّ أَيْنَا كَانَ أَحَب إِلَيْكَ وَأَرْضِي عِنْدَكَ فَاَنْصِرْهُ الْيَوْمَ) وفي ذلك أنزل الله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ، وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وبدأ القتال وإستبسل المسلمون وقاتلوا قتال الأبطال . وأنزل الله نصره وأيدهم بجنود من عنده .

قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢ : ١٣ : الأنفال﴾

وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، ثم رفع رأسه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثنياه النقع، أي: الغبار. وفي رواية ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثنياه النقع»

الأدلة على نزول الملائكة :

روى مسلم عن ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمَ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ»^(١)

روى البخارى عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جَبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَذَاهُ الْحَرْبِ»^(٢)

روى الإمام أحمد عن عليّ قال جاء رجلٌ من الأنصارِ قصيرٌ بالعبّاسِ بنِ عبدِ المُطلبِ أسيرًا، فقال العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَبَنِي، لَقَدْ أَسْرَبَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرَبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلَكِ كَرِيمٍ»^(٣)

روى الطبراني عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ: «نَاوَلَنِي كَفًّا مِنْ حَصْبَاءٍ» فَنَاوَلَهُ " فَرَمَى بِهِ وَجْوهَ الْقَوْمِ، وَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَنَزَلَتْ {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} ^(٤)

فأثبت الله تعالى لرسوله ﷺ الرمي ونفى عنه الإيصال .

ما فعله إبليس : روى الطبراني عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: " لَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ مَا تَفَعَّلَ الْمَلَائِكَةُ بِالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَشْفَقَ أَنْ يَخْلُصَ الْقَتْلُ إِلَيْهِ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَوَكَزَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ، فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ نَظْرَتَكَ يَا بِي، وَخَافَ أَنْ يَخْلُصَ إِلَيْهِ الْقَتْلُ، فَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ لَا يَهْزَمَنَّكُمْ خُدْلَانُ سُرَاقَةَ إِيَّاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا يَهُولَنَّكُمْ قَتْلُ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَجَلُوا، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا نَرْجِعُ حَتَّى نُفَرِّقَهُمْ بِالْحَبَالِ، وَلَا أُلْفَيْنَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا، وَلَكِنْ خُدُّوهُمْ أَخْدًا حَتَّى تُعَرِّفُوهُمْ سُوءَ صَنِيعِهِمْ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ إِيَّاكُمْ، وَرَغَبَتِهِمْ عَنِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَهْلٍ مُتَمَثِّلًا: [البحر الرجز]

١- أخرجه مسلم (١٧٦٣) باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة العنائب

٢- أخرجه البخاري (٤٠٤١) باب غزوة أحد

٣- أخرجه أحمد (٩٤٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٤- أخرجه الطبراني (١١٧٥٠) قال الهيثمي : رجاله رجال الصَّحيح.

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الشُّمُوسُ مِنِّي ... بَاذِلٌ عَامِينَ حَدِيثٌ سَيِّئٌ

لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي " (١)

مصراع أبي جهل : روى البخارى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِعُلَامِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ - حَدِيثَةٌ أَسْنَاهُمَا، تَمَنِّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا - فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أُخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَعْنُ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادُهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَ: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ»، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنِ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ (٢)

مصراع أمية بن خلف :

قال ابن إسحاق مر عبد الرحمن بن عوفٍ ومعه أدرع قد إستلبها وهو يحملها فلما رآه أمية وكانا صديقين في الجاهلية فمررت به، وهو واقف مع ابنه، علي بن أمية، أخذ بيده فلما رأي قال لي: يا عبد عمرو، فلم أجب، فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت نعم، ها الله ذا قال: فطرح الأذراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ قال: ثم خرحت أمشي بهما .. يُريدُ باللبن، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

وقال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه، أخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يُعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رَمَضَاءَ مَكَّةَ إِذَا حَمِيَتْ، فيضعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم

١ - أخرجه الطبراني (٤٥٥٠) قال الهيثمي : وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

٢ - أخرجه البخاري (٣١٤١) باب من لم يحمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يحمس، وحكم

يقول: لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهُ، قَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِّيَّةُ بَنِي خَلْفٍ، لَا بَحْوثَ إِنَّ بِنَا قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ بِلَالٍ، أَبِاسِيرِي قَالَ: لَا بَحْوثَ إِنَّ بِنَا. قَالَ: قُلْتُ أَسْمَعُ يَابَنَ السَّوْدَاءِ، قَالَ: لَا بَحْوثَ إِنَّ بِنَا. قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ. يَا أَنْصَارَ اللَّهِ، رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِّيَّةُ بَنِي خَلْفٍ، لَا بَحْوثَ إِنَّ بِنَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمِسْكَةِ وَأَنَا أُذُبُ عَنْهُ. قَالَ: فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السِّيفَ، فَضْرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ، وَصَاحَ أُمِّيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ. قَالَ: فَقُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ وَلَا بِنَاءَ بِكَ فَوَاللَّهِ مَا أُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا. قَالَ: فَهَبْرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَعُوا مِنْهُمَا، قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ بِلَالَ، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرِي^(١)

مصراع أبي لهب :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كُنْتُ غُلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْأَقْدَاحَ، أَنْحَتُهَا فِي حُجْرَةِ زَمْرَمَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أُنْحَتُ أَقْدَاحِي، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ، وَقَدْ سَرَّنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبْرِ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو هَبٍ يَجْرُ رِجْلَيْهِ بِبَشْرٍ. حَتَّى جَلَسَ عَلَيَّ طُئْبُ الْحُجْرَةِ، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُغِيرَةُ - قَدْ قَدِمَ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو هَبٍ: هَلُمَّ إِلَيَّ، فَعِنْدَكَ لَعْمَرِي الْخَبْرُ، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَيْهِ وَالنَّاسُ قِيَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَابَنَ أَحِي، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَنْحَنَاهُمْ أَكْتَفَانَا يَفُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَأَتَمَّ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتَ النَّاسَ، لَقِينَا رَجُلًا بِيضًا، عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ، بَنَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهِ مَا ثَلِيْقُ شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُئْبَ الْحُجْرَةِ بِيَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: تِلْكَ وَاللَّهِ الْمَلَائِكَةُ قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو هَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ بِهَا وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً. قَالَ: وَثَاوَرْتُهُ فَاحْتَمَلَنِي فَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي، وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا. فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عَمَدِ الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَتْهُ فَضْرَبَتْهُ فَلَعَتْ فِي رَأْسِهِ شَحَّةً مُنْكَرَةً، وَقَالَتْ: اسْتَضَعَفْتَهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيْدُهُ؟ فَقَامَ مُوَلِّيًّا ذَلِيلًا، فَوَاللَّهِ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لِيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ فَقَتَلْتَهُ^(٢)

من أسباب فضائل غزوة بدر :

١- أول غزوة كان لها اثرها في اظهار قوة الاسلام .

٢- رسمت الخط الفاصل بين الحق والباطل

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٦٣١) وابن كثير في السيرة النبوية (٢/ ٤٣٨)

٢- أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٦٤٧) وابن كثير في السيرة النبوية (٢/ ٤٧٨)

٣- المحرك الاساسى لها هو الايمان بالله وحده .

٤- ظهر فيها التصور الاسلامى لعوامل النصر والهزيمة بطريقة عملية واقعية وقررت ان النصر ليس بالعدد ولا بالعدة وانما بمقدار الاتصال بالله تعالى .

٥- تُعد هذه الغزوة ميلادا ثانيا لقوة ناهضة ودولة ناشئة ظنتها قريش لا تقوى على مطاولة او مجادلة .

٦- كانت ايقافا لمد الشرك على ظهر الارض وتقليم اظفاره والاطاحة بكل رؤوسه .

عدد المسلمين (٨٦ مهاجرى - ٦١ اوسى - ١٧٠ خزرجى) شهداء المسلمين (١٤ شهيد)

عتاد المسلمين (فرسان) عتاد المشركين (١٠٠ فرس - ٧٠٠ ناقة) عددهم (١٠٠٠)

٧- وفيها تجلى الله تعالى عليهم بالنعاس والمطر والنوم .

الدروس والعبر :

١- وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم :

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [٧:٨: الانفال]

فالنفس البشرية تميل دائما إلى الراحة والدعة وتتوقى المشقة والضرر ولو كان في الراحة الخسران وفي الضرر والمشقة النصر والتمكين . قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٢١٦: البقرة]

رب أمراً تتقيه جر أمراً ترتضيه خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

رب حسرة هي الداء ومرض هو الشفاء

كم نعمة مطوية لك بين أنياب النوائب ومسرة قد أقبلت من حيث ترتقب المصائب

فاصبر على حدثان دهرك فالأمور لها عواقب ولكل كرب فرجه ولكل خالصة شوائب

٢- قوة الايمان هي السلاح البتار :

فبالنظر إلى الأسباب المادية في غزوة بدر ما كان للصحابة أن يقدموا على معركة مثل هذه فهي خاسرة بكافة المقاييس ولكن ما في قلوبهم من إيمان وثقة وتوكل وحسن ظن حملهم على الدخول فكان النصر حليفهم .

٣- قوة الترابط بين المسلمين :

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢ : ٦٣ : الانفال﴾

فمن أعظم النعم وأسباب القوة التآلف بين القلوب . قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ [الانفال]

٤- الثبات وذكر الله عند لقاء الأعداء :

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأنفال]. وقال تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَفْئَامَنَا وَاَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ [البقرة]

٥- الشورى بين القائد وجنده :

لما بلغ النبي ﷺ نجاة القافلة واصرار زعماء مكة على القتال استشار اصحابه فابدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم للقتال فاستشار النبي ﷺ الصحابه .

روى أهل السير وأتاه الخبر عن قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَتَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ٥ : ٢٤. وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرِكِ الْغِمَادِ لَجَالِدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ، حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ، وَأَتَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْبَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّ مِنْ بِلَادِهِمْ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ

تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَجَلٌ، قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمَضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تُلْقَى بِنَا عَدُوْنَا عَدَاً، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدِّقَ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ سَعْدٍ، وَنَشَطُهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَيِّ الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ^(١)

قضية الأسرى

روى النسائي عن عليّ قال: جاء جبريل يوم بدرٍ إلى النبي ﷺ فقال: "خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا في القتل، وإن شاءوا في الفداء على أن يقتل عامًّا مقبلاً مثلهم منهم فقالوا: «الفداء ويُقتل منا» وفي رواية الترمذي عن عليّ، أن رسول الله ﷺ قال: "إن جبرائيل هبط عليه، فقال له: خيرهم - يعني أصحابك - في أسارى بدرٍ القتل أو الفداء على أن يقتل منهم قابلاً مثلهم، قالوا: الفداء ويُقتل منا"^(٢)

والمعنى قل لهم أنتم مخيرون في أسارى بدر أي إختاروا القتل أو الفداء .

والمعنى أنكم مخيرون بين أن تقتلوا الأسارى ولا يلحقكم ضرر من العدو . وبين ان تاخذوا منهم الفداء .
فاختار الصحابة الفداء .

- ١- رغبة منهم في اسلام اسارى بدر
- ٢- نيلهم الشهادة في السنة المقبلة .
- ٣- شفقة منهم على الاسارى لقرابتهم منهم .
- ٤- رجاء ان يخرج من اصلاهم من يعبد الله .

قال الطيبي: (وكلامه فيه نظر) أقول وبالله التوفيق لا منافاة بين الحديث والآية وذلك أن التخيير في الحديث وارد على سبيل الاختيار والامتحان ولله أن يمتحن عباده بما شاء امتحن الله تعالى أزواج النبي ﷺ - بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّكِ } [الأحزاب: ٢٨] الأيتن وامتحن الناس بتعليم السحر في قوله تعالى { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ } [البقرة: ١٠٢] وامتحن الناس بالملكين وجعل المحنة في الكفر والإيمان بأن يقبل

١- السيرة لابن هشام (١/٦١٥)

٢- أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٦٠٨) والترمذي (١٥٦٧) وصححه الألباني

الْعَامِلُ تَعْلَمُ السَّحْرَ فَيَكْفُرُ، وَيُؤْمِنُ بِتَرْكِ تَعْلَمِهِ، وَأَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى اِمْتَحَنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَأَصْحَابَهُ بَيْنَ
أَمْرَيْنِ الْقَتْلِ وَالْفِدَاءِ وَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ هَلْ هُمْ يَخْتَارُونَ مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَتْلِ
أَعْدَائِهِ أَمْ يُؤْثِرُونَ الْعَاجِلَةَ مِنْ قَبُولِ الْفِدَاءِ فَلَمَّا اخْتَارُوا الثَّانِي عُوْقِبُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ
لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ } [الأنفال: ٦٧] (١)

قال القارى تعقيبا على كلامه : إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ وَمَدْخُولٌ فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ
التَّخْيِيرُ لَمْ يُجْزِ الْعِتَابُ وَالتَّعْيِيرُ فَضْلاً عَنِ التَّعْذِيبِ وَالتَّعْزِيرِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ إِنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ الْأَعْرَاضَ الْعَاجِلَةَ مِنْ قَبُولِ الْفِدْيَةِ فَلَمَّا اخْتَارُوهُ عُوْقِبُوا بِقَوْلِهِ { مَا كَانَ لِنَبِيِّ }
[الأنفال: ٦٧] الْآيَةِ فَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنَ الْجِرَاءَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْجِنَايَةِ الْجَسِيمَةِ فَإِنَّهُمْ مَا اخْتَارُوا الْفِدْيَةَ إِلَّا
لِلتَّقْوِيَةِ عَلَى الْكُفَّارِ وَلِلشَّفَقَةِ عَلَى الرَّحِمِ وَلِرِجَاءِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، أَوْ فِي أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ وَلَا شَكَّ أَنْ
هَذَا وَقَعَ مِنْهُمْ اجْتِهَادًا وَاقِفَ رَأْيِهِ - ﷺ - غَايَتُهُ أَنَّ اجْتِهَادَ عُمَرَ وَقَعَ أَصَوَّبَ عِنْدَهُ تَعَالَى فَيَكُونُ مِنْ
مُؤَافَقَاتِ عُمَرَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ (٢)

روى الإمام مسلم قال ابنُ عباسٍ: فَلَمَّا أُسْرُوا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا
تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً
فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ
الْحَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ
أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ
أَتَمُّهُ الْكُفْرُ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَمَ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ
جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْبَبْتَنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي
أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتِ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
- شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي
الْأَرْضِ } [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللَّهُ الْعَنِيمَةَ
لَهُمْ (٣)

١ - شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٧٤٨)

٢ - مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٥٥٩)

٣ - أخرجه مسلم (١٧٦٣) بابُ الإِمْدَادِ بِالْمَلَايِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْعَنَائِمِ

روى الإمام أحمد قال ابن عباس فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُخْدِ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، عَوْقُبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أُخْدِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهَشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُّ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَيْ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} بِأَخْدِكُمْ الْفِدَاءَ^(١)

قال القارى : وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ جَمْعًا بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ أَنَّ اخْتِيَارَ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ أَوْلًا كَانَ بِالْإِطْلَاقِ، ثُمَّ وَقَعَ التَّخْيِيرُ بَعْدَهُ بِالتَّثْقِيلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢)

قال القرطبي : أَنَّ التَّوْبِيخَ وَقَعَ أَوْلًا لِحِرْصِهِمْ عَلَى اخْتِيَارِ الْفِدَاءِ، ثُمَّ وَقَعَ التَّخْيِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ

قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْتَدُوا بِالدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٦٧: الانفال]

بالنظر إلى السنة العملية ووقائع الحرب نجد ان النبي ﷺ لم يأمر باستيقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قَطُّ عَرْضَ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا فَعَلَهُ جُمُهورٌ مُبَاشِرِي الحَرْبِ، فَالتَّوْبِيخُ وَالْعِتَابُ إِنَّمَا كَانَ مُتَوَجِّهًا بِسَبَبِ مَنْ أَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَخْدِ الْفِدْيَةِ.^(٣)

والعتاب للصحابه في شخص النبي ﷺ هذا وارد .

معنى الآية : أن الله تعالى يبرىء نبيه ﷺ وينزهه ساحتهم ان يكون له تهيئة وقصد في اخذ الاسرى وانهاء المعركة قبل الإثخان في الأرض .

ومما يدل على أن النبي ﷺ كان يود الإثخان قبل الأسرى .

روى ابن اسحاق فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُتَوَشِّحُ السَّيْفِ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ، قَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا

١- أخرجه أحمد (٢٢١) وصححه الشيخ أحمد شاكر

٢- مرقاة المفاتيح (٦/٢٥٥٩)

٣- تفسير القرطبي (٨/٤٨)

رَسُولَ اللَّهِ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أُوقِعَهَا (اللَّهُ) بِأَهْلِ الشَّرْكِ. فَكَانَ الْإِثْنَانُ فِي الْقَتْلِ بِأَهْلِ الشَّرْكِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرَّجَالِ^(١)

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم ينكر على سعد بن معاذ حينما رأى في وجهه من كراهية ما يصنع القوم .. وفيه دليل على أن المعاتب عليه عدم الإثخان في القتل والإسراع إلى الغنيمة .

قال تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الكتاب أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد أن يقدم أمرا أو نهيًا فيخالف ما قدمه الله إليه .

والمعنى لولا أنه سبق مني أني لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم على ما أخذتم من الفداء . إذ لو كان منهيًا عنه محرما لاستحق من مخالفته العذاب . فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره .

وهذا التفسير ينفي أن يكون امر فداء الأسارى معصية لعدم النهي .

ومن الأدلة أن النبي ﷺ لم يختار أخذ الفداء ولا حبذه .

ما رواه البخارى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنِ عَدِيِّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»^(٢) وهذا يدل على انه لا عتاب على اخذ الفداء لعزم رسول الله ﷺ على ترك الاسرى واخلائهم بدون فداء فيما لو كان المطعم بن عدى حيا وكلم النبي ﷺ فيهم

(النتنى) جمع نتن وهو ذو الرائحة الكريهة والمراد هنا النتن المعنوي وهو كفرهم وضلالهم .

تابع قضية الأسرى

قال تعالى ﴿بَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠]

الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه . قل لمن في أيديكم من أسرى المشركين الذين أخذ منهم الفداء ما أخذ (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) إن يعلم الله في قلوبكم إسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم .

١- السيره لابن هشام (١/ ٦٢٨)

٢- أخرجه البخاري (٣١٣٩) بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ

قال ابن اسحاق : قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ فَأَمَّا ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا. فَأَفَدَ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخِيكَ نَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ عَمْرِو أَخِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرِ، قَالَ مَا [إِحْأَلُ] ذَاكَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَيُّنَ الْمَالِ الَّذِي دَفَنْتَهُ أَنْتَ وَأُمُّ الْفَضْلِ فُقُلْتَ لَهَا: إِنَّ أُصِيبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَهَذَا الْمَالُ لِيَنِّي: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَفُتِمَ بْنِ الْعَبَّاسِ! فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا شَيْءٌ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرِ أُمِّ الْفَضْلِ، فَاحْسُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصَبْتُمْ مِنِّي عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ مَالٍ كَانَ مَعِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ، فَفَدَى نَفْسَهُ وَابْنِي أَخَوَيْهِ وَحَلِيفَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُو عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَأَعْطَانِي اللَّهُ مَكَانَ الْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ فِي يَدِهِ مَالٌ يَضْرِبُ بِهِ مَعَ مَا أَرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١)

روى البخارى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ فَلَنْتُرِكَ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُونَ مِنْهَا دَرَاهِمًا» (٢)

نكتة : قول الأنصار عن العباس بن عبد المطلب (لابن أختنا) ولم يقولوا لعمرك حتى لا يفهم أن لهم منة على رسول الله ﷺ. وهذا من كمال الأدب .

روى البخارى عن أَنَسِ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا فَقَالَ: «خُذْ»، فَأَعْطَاهُ فِي تَوْبِهِ (٣)

روى أبو داود بسند صحيح عن عائشة، قالت: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ بَعَثَتْ زَيْنَبَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا». فَقَالُوا: نَعَمْ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَدَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُحَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ

١ - أخرجه البيهقي في الدلائل (١٤٣/٣)

٢ - أخرجه البخاري (٣٠٤٨) بَابُ فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ

٣ - أخرجه البخاري (٣٠٤٩) بَابُ فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ

اللَّهُ ﷺ زَيْدٌ بَنُ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «كُونَا بَيْطُنٌ يَأْجِحُ حَتَّى تَمُرَّ بِكُمْ زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاَهَا حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا»^(١)

مقتل عقبة بن أبي معيط - النضر بن الحارث :

وإذا كان هذا الوفاء لرجل مثل المطعم بن عدي، فلا بد من الحزم مع مجرمي الحرب ورؤوس الفتنة من أمثال عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، فقد كان من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام، والمتربصين بالمسلمين الدوائر، فبقاؤهما يعد مصدر خطر كبير على الإسلام، ولا سيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، فلو أطلق سراحهما لما تورعا على سلوك أي طريق فيه كيد للإسلام وأهله، فقتلهما في هذا الظرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتية ؛ ولذلك أمر رسول الله ﷺ بقتلهما عندما وصل إلى الصفراء ، أثناء رجوعه للمدينة، فلما سمع عقبة بن معيط بأمر قتله قال: يا ويلي، علام أُقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لعداوتك لله ولرسوله» قال: يا محمد مُنَّكَ أفضل، فاجعلني كرجل من قومي، إن قتلتهم قتلتني، وإن مننت عليهم مننت علي، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدكم، يا محمد مَنْ للصبيّة؟ قال رسول الله ﷺ: «النار، قدمه يا عاصم فاضرب عنقه» فقدمه عاصم فاضرب عنقه.

وأما النضر بن الحارث، فقد كان من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فدكّر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، فهلتم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟ إن هذا الرجل المتعالي على الله والمتألي عليه، والذي يزعم أنه سينزل أحسن ما أنزل الله، والذي يزعم أنه أحسن حديثًا من محمد لا بد لمثل من يمثل هذا التيار وقد أصبح بين يدي رسول رب العالمين، لا بد أن يُثار الله ولرسوله منه، ومن أجل هذا لم يدخله رسول الله ﷺ ضمن نطاق الاستشارة وأمر رسول الله ﷺ بقتله، فقتله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي :

١- أخرجه أبو داود (٢٦٩٢) وحسه الألباني

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بِنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمَحِيُّ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ فَعِيرًا ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةً، وَكَانَ فِي الْأَسَارَى فَقَالَ: إِنِّي فَعِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٌ قَدْ عَرَفْتَهَا فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّم، فَمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١)

روى الطبراني في الكبير عن مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجَمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ فُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ بِبَيْسَرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أَسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ بِمَصَائِبِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّهِ إِنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ، وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي فَضَاؤُهُ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةٌ، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ، فَاعْتَنَمَهَا صَفْوَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسُوئُهُمْ مَا بَقُوا لَا يَسْعَهُمْ شَيْءٌ نَعَجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرٌ: أَكْثَمَ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنُكَ، قَالَ: أَفْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشَجِدَ وَسَمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَذَكَّرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ قَدْ أَنَاخَ بِيَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ، هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفِ قَالَ: «فَأَدْخِلْهُ» فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِجَمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّيْهُ بِهَا وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ وَاحْدَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ عَيْرٌ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُمَرُ أَخَذَ بِجَمَالَةِ سَيْفِهِ فَقَالَ: «أُرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، اذْنُ يَا عُمَيْرُ»، فَدَنَا فَقَالَ: أَنْعَمُوا صَبَاحًا - وَكَانَتْ نَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ نَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ نَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ لِحَدِيثِ الْعَهْدِ بِهَا، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ قَالَ: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟» قَالَ: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا، قَالَ: «اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟» قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا، قَالَ: " بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَكَّرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ فُرَيْشٍ فَقُلْتُمْ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالِي لَحَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَيَّ أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ " قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ حَبْرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقَّهُوا أَحَاكُم فِي دِينِهِ وَأَقْرَبُوا الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ»^(١)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، قَالَ: قَدِمَ بِالْأَسَارَى حِينَ قَدِمَ بِهِمْ، وَسَوَّدَهُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ، فِي مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِّذِ ابْنِي عَفْرَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَابُ. قَالَ: تَقُولُ سَوَّدَةُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُمْ إِذْ أُتِينَا، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى، قَدْ أُتِيَ بِهِمْ. قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سُهِيلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَاحِيَةِ الْحُجْرَةِ، بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ قَالَتْ: فَلَا وَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ أَبَا يَزِيدَ: أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، أَلَا مَتَمَّ كَرَامًا، فَوَاللَّهِ مَا أَنْبَهَنِي إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَيْتِ: يَا سَوَّدَةُ، أَعْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ تُحْرَضِينَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا مَلَكَتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ^(٢)

أصحاب القلب

فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَعَدُّوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ حَيْثُ مُحَبِّثٌ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرِصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا تُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِيَبْعُضَ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكْبِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسْرُكُمْ أَنْكُمْ أَطْعُمُوكُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»^(٣)

وعند مسلم «يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ يَا عُنْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا» فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جِئُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا» ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسَجَبُوا، فَأَلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ^(٤)

١- أخرجه الطبراني (١١٨) بسند جيد مرسلا

٢- السيرة لابن هشام (١/٦٤٥)

٣- أخرجه البخاري (٣٩٧٦) باب قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، ومسلم (٢٨٧٥)

٤- أخرجه مسلم (٢٨٧٤) باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِتْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعْوِذِ مِنْهُ

وعند الإمام أحمد قال: فَسَمِعَ عُمَرُ صَوْتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُنَادِيهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَهَلْ يَسْمَعُونَ؟
يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى} [النمل: ٨٠] ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ
بِأَسْمَعٍ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا»^(١)

نقل الألوسى عن العلامة ابن الهمام أنه قال: أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع استدلالاً بقوله
تعالى: فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى

والإستدلال من الآية على عدم سماع الموتى هو الذى فهمه عمر رضى الله عنه واقره عليه النبي ﷺ. ولم
ينكر عليه ما كان مستقراً في نفوسهم واعتقادهم ان الموتى لا يسمعون .

الأصل أن الموتى لا يسمعون

وإذا دلت بعض الأدلة على خلاف ذلك فهي مستثناة من الأصل . ففي حديث القليب كلمة الآن
تدل على تقييده سماع موتى القليب فان مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت فسماعهم إذن
خاص بذلك الوقت وبما قال لهم النبي ﷺ فقط فهي واقعة عين لا عموم فيها .

مسألة سماع الموتى :

قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ
عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠: ٨١]

قال تعالى ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ
عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٢: ٥٣]

قال تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي
الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]

روى الشيخان عن أنس بن مالك، قال: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ
أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: " يَا نَبِيَّهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا

١- أخرجه أحمد (١٤٠٦٤) إسناده صحيح على شرط مسلم.

الرَّحُلُ؟ " قَالَ: " فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " قَالَ: " فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبَدَلَكِ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»^(١)

في الحديث تصريح بأن الميت في قبره يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا . وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى ولم يذكر فيه تخصيصا .

تفسير الآيات : لها تفسيران :

التفسير الأول : (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى)، أي: لَا تُسْمِعُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَمَاتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ إِسْمَاعَ هُدًى وَانْتِفَاعَ وَمِنَ الْقَرَائِنِ الْقُرْآنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ بَعْدَهُ: (وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) .

ووجه ذلك أنه حدث تقابل بين الإسماع المنفي في الآية عن الموتى وبين الإسماع المثبت فيها لمن يؤمن بآياته ففيه دليل واضح على أن المراد بالموت في الآية موت الكفر والشقاء، لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى، مفارقة الروح للبدن كما قابل قوله: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى بقوله: إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا بَلْ لِقَابَلَهُ بِمَا يُنَاسِبُهُ، كَأَنَّ يُقَالَ: إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ لَمْ يَمُتْ،

وما سبق له نظائر في القرآن كقوله تَعَالَى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ و كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦]

وهذا القول السابق يرد عليه أمران :

١- قال تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢]

٢- فهم الصحابة الذي لا يعادله فهم أهل لغة وفصاحة وملازمة للنبي ﷺ .

ففي روايات حديث قليب بدر : فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لِأَزْوَاحِ لَهَا؟ وَفِي رِوَايَةٍ فَسَمِعَ عُمَرُ صَوْتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُنَادِيهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ، وَهَلْ يَسْمَعُونَ؟ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

١- أخرجه البخاري (١٣٧٤) باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٤/٢٢٠٠، ٢٨٧٠)

{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} ... فكان رده ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» ... ولم ينكر عليه ما كان مستقرا في قولهم وإعتقادهم أن الموتى لا يسمعون .

وهذا يُشبهه قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [٨٤: التوبة] .

وكذلك قوله ﷺ (مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ) .. ليس فيه تأسيس قاعدة عامة بالنسبة للموتى جميعا يُخالف إعتقادهم السابق وإنما إخبار عن أهل القليب خاصة . وكذلك قوله ﷺ (وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا) . بدلالة كلمة (الآن) تدل على تقييده ﷺ سماع موتى القليب بهذا الوقت فقط .

التفسير الثاني: قوله: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) هُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتَى الَّذِينَ مَاتُوا بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاعِ الْمَنْفِيِّ فِي قَوْلِهِ: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى خُصُوصُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ الَّذِي يَنْتَفِعُ صَاحِبُهُ بِهِ، وَأَنَّ هَذَا مَثَلٌ ضَرْبٌ لِلْكَفَّارِ، وَالْكَفَّارُ يَسْمَعُونَ الصَّوْتِ، لَكِنَّ لَا يَسْمَعُونَ سَمَاعَ قَبُولِ بَفِقِهِ وَاتِّبَاعِ^(١)

خلاصة الكلام في المسألة : أن الموتى لا يسمعون وهذا هو الأصل الذي دل عليه الكتاب والسنة . وما ثبت في بعض الأحاديث أنهم يسمعون في حالات معينة .

قال الحافظ : قَالَ بِنِ الْتَيْنِ لَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ حَدِيثِ بِنِ عُمَرَ وَالْآيَةِ لِأَنَّ الْمَوْتَى لَا يَسْمَعُونَ بِأَلَا شَكَّ لَكِنَّ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِسْمَاعَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ السَّمَاعُ لَمْ يَمْتَنِعْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [١١: فصلت]^(٢)

الغنائم

روى الإمام أحمد بسند حسن لغيره عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ الْعُدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكْبَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَخُونُهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غَرَّةٌ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْعُنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا

١- أضواء البيان (٦/ ١٢٤) وما بعدها

٢- فتح الباري (٣/ ٢٣٥)

نَصِيبٌ. وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعُدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَقِينَا عَنْهَا الْعُدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ. وَقَالَ الَّذِينَ أَخَذُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَخَذْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعُدُوَّ مِنْهُ غَزَةٌ وَاشْتَعَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١] فَسَمَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ^(١)

روى البخارى عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ» وروى أيضا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " الْأَنْفَالُ: الْمَعَانِمُ " ^(٢)

روى الإمام أحمد بسند حسن عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قُتِلَ أَحْيَى عُمَيْرٌ، وَقَتَلَتْ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، وَكَانَ يُسَمَّى ذَا الْكَيْفَةِ، فَأَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَذْهَبَ فَاطْرُحُهُ فِي الْقَبْضِ» قَالَ: فَرَجَعْتُ وَيِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَتْلِ أَحْيَى، وَأَخَذِ سَلْيِي، قَالَ: فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبَ فَخُذْ سَيْفَكَ»^(٣)

روى أيضا بسند حسن عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الْأَنْفَالِ. فَقَالَ: «فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّقْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَافُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَائٍ» يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ^(٤)

روى ابن حبان بسند صحيح عن ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَا، وَكَذَا، أَوْ فَعَلَ كَذَا، وَكَذَا، فَلَهُ كَذَا، وَكَذَا، فَتَسَارَعَ إِلَيْهِ الشُّبَّانُ، وَبَقِيَ الشُّيُوحُ، تَحْتَ الرِّيَّاتِ»، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ، مَا قَدْ جَعَلَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمُ الْأَشْيَاحُ: لَا تَذْهَبُونَ بِهِ دُونَنَا، فَإِنَّا كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، هَذِهِ آيَةٌ { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } [الأنفال: ١]^(٥)

روى عبد الرزاق عن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا، وَكَذَا» فَفَتَلُوا سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ، فَجَاءَ أَبُو الْيَسْرِ بْنُ عَمْرٍو بِأَسِيرَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ

١- أخرجه أحمد (٢٢٧٦٢) بإسناد حسن

٢- أخرجه البخاري (٤٦٤٥) بَابُ قَوْلِهِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلِ: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}

٣- أخرجه أحمد (١٥٥٦) حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه انقطاعاً، محمد بن عبيد الله الثقفي لم يُدرِكْ سعداً

٤- أخرجه أحمد (٢٢٧٤٧) بإسناد حسن

٥- أخرجه ابن حبان (٥٠٩٣) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٤٤٥)

وَعَدْتَنَا مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا، وَمَنْ أَسَرَ أُسِيرًا فَلَهُ كَذَا، فَقَدْ جِئْتُ بِأَسِيرَيْنِ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ تَمْنَعْنَا زَهَادَةً فِي الْآخِرَةِ، وَلَا جُبْنَ عَنِ الْعُدُوِّ، وَلَكِنَّا قُومًا هَذَا الْمَقَامَ خَشِيَةً أَنْ يَفْتَطِعَكَ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّكَ إِنْ تُعْطِ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْقَ لِأَصْحَابِكَ شَيْءٌ، قَالَ: فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ فَتَزَلْتُمْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١] قَالَ: فَسَلِّمُوا الْعَنَائِمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال: ٤١] (١)

حکم الغنائم فی شرع من قبلنا :

فی الصحیحین أن أبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَزَا نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْبِيَّ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرَ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعِ سُفْفَهَا، وَلَا آخَرَ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِقَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وَلَاذَهَا"، قَالَ: "فَعَزَا فَأَدْبَى لِلْقُرْبَى حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ، احْسِبْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحَسِبْتَ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ"، قَالَ: "فَحَمَعُوا مَا غَنَمُوا، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ، فَقَالَ: فِيكُمْ عُلُولٌ، فَلْيَبِيعُنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَبَايَعُوهُ، فَلَصِصَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْعُلُولُ، فَلْيَبِيعُنِي قَبِيلَتِكَ، فَبَايَعْتَهُ"، قَالَ: "فَلَصِصَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْعُلُولُ، أَنْتُمْ عَلَلْتُمْ"، قَالَ: "فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقْرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلَّ الْعَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا" (٢)

قال النووي: قَالَ الْقَاضِي اخْتَلَفَ فِي حَبْسِ الشَّمْسِ الْمَذْكُورِ هُنَا فَقِيلَ رُذِّتْ عَلَى أَدْرَاجِهَا وَقِيلَ وَفَقَتْ وَلَمْ تُرَدَّ وَقِيلَ أُبْطِئَ بِحَرَكَتِهَا وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبُوَّةِ

وقال أيضا وفي هذا الحديث إباحة الغنائم لهذه الأمة زادها الله شرفاً وأنها مختصة بذلك والله أعلم (٣)

فی الصحیحین عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأَحَلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ، وَلَمْ

١ - أخرجه عبد الرزاق (٩٤٨٣) بسند صحيح

٢ - أخرجه البخاري (١٧٤٧) باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة

٣ - شرح النووي على مسلم (٥٢ / ١٢)

تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيْبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»^(١)

قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَىٰ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤١: الانفال]. نزلت بعد غزوة بدر وقبل تقسيم الغنائم .

الغنيمة : ما أخذ وانتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر .

الغنيمة : هو ما يسره الله تعالى للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاع منهم بالقهر .

في الصحيحين أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا^(٢) مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِي بِقَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعَدْتُ رَجُلًا صَوَاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْجُلُ مَعِي، فَتَأْتِي بِإِدْحِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَاغِينَ فَأَسْتَعِينُ بِهِ فِي وَليمةِ عُرْسِي، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ، وَالْعَرَائِرِ وَالْحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَجَمَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ، فَإِذَا شَارِفَايَ قَدِ اجْتَبَتْ أَسْمَتُهُمَا، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا، قُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ قَالُوا: فَعَلَهُ حَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَتَتْهُ قَيْنَةٌ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَتْ فِي عَنَائِهَا: [البحر الوافر] أَلَا يَا حَمْرُ لِلشُّرْفِ النَّوَاءِ، فَقَامَ حَمْرُهُ بِالسَّيْفِ فَاجْتَبَتْ أَسْمَتَهُمَا، وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا، فَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْنُ بْنُ حَارِثَةَ، قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، عَدَا حَمْرُهُ عَلَى نَاقِيٍّ، فَاجْتَبَتْ أَسْمَتَهُمَا، وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا، وَهِيَ هِيَ دَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبْتُ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَرْدَائِهِ فَارْتَدَاهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِمَشِيٍّ وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْنُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَابَ الَّذِي فِيهِ حَمْرُهُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَدْخَلْنَا لَهُ، فَإِذَا هُمْ شَرِبُوا، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حَمْرَةَ فِيمَا فَعَلَتْ، فَإِذَا حَمْرَةُ مُحَمَّرَةٌ عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ

١- أخرج البخاري (٤٣٨) باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، ومسلم

(٣٧٠/١، ٥٢١) كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ

٢- الناقة المسنة

صَعَدَ النَّظَرَ فَظَنَرَ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ فَظَنَرَ إِلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ حَمْزَةُ: وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عِبِيدٌ لِأَيِّ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ثَمَلٌ، فَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْمَرِي، وَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ^(١)

وظاهر الحديث ان الخمس كان يوم بدر .

روى ابن أبي شيبَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَمَ حَمْزَةَ ثَمَنَ النَّاقَتَيْنِ .

قام حمزة بالتركيز اولاً للشارفين ثم جب الاسمة وبقر الخواصر .

في الصحيحين عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ حَمْزَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ خَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَاحِبُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتُهُ صَلَاةُ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيكُمْ كَمَا أَهْتَهُمْ»^(٢) وفي رواية (وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ)^(٣)

فضل أهل بدر :

في الصحيحين أن عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخِ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لِنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لِنُلْفِيَنَّ الشِّيَابَ، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَبِعَ

١- أخرجه البخاري (٣٠٩١) كِتَابُ فَرُضِ الْخُمْسِ وَمُسْلِمٌ (١٥٦٩/٣، ١٩٧٩)

٢- أخرجه البخاري (٦٤٢٥) بَابُ مَا يُخَذَّرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا وَمُسْلِمٌ (٢٩٦١)

٣- أخرجه البخاري (٣١٥٨) بَابُ الْجَزِيَّةِ وَالْمَوَادِعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ

إِيَّاهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَاتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا اِزْتِدَادًا عَن دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عَنْقَهُ، فَقَالَ: " إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ " قَالَ عَمْرُو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } [الممتحنة: ١] قَالَ: «لَا أُدْرِي الْآيَةَ فِي الْحَدِيثِ أَوْ قَوْلُ عَمْرُو»، حَدَّثَنَا عَلِيُّ، قَالَ: قِيلَ لِشُفْيَانَ: فِي هَذَا فَتَزَلْتُ: { لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } [الممتحنة: ١] الْآيَةَ^(١)

قال الشافعي (في تفسيره) رحمه الله : في هذا الحديث مع ما وصفنا لك، طرح الحكم باستعمال الظنون؛ لأنه لما كان الكتاب ١ - يحتمل أن يكون ما قال حاطب كما قال: من أنه لم يفعله شاكاً في الإسلام -، وأنه فعله ليمنع أهله.

٢ - ويحتمل أن يكون زلة لا رغبة عن الإسلام.

٣ - واحتمل المعنى الأقبح - أي: النفاق -.

كان القول قوله، فيما احتمل فعله، وحكم رسول الله - ﷺ - فيه بأن لم يقتله. ولم يستعمل عليه الأغلب، ولا - أعلم - أحداً أتى في مثل هذا أعظم في الظاهر من هذا؛ لأن أمر رسول الله - ﷺ - مباين في عظمته لجميع الآدميين بعده، فإذا كان من خابر المشركين بأمر رسول الله - ﷺ - ورسول الله - ﷺ - يريد عزَّهم فصدَّقه، - على - ما عاب عليه - من ذلك غير مستعمل عليه - الأغلب مما يقع في النفوس، فيكون لذلك مقبولاً كان من بعده في أقل من حاله، وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه

قيل للشافعي: أفرأيت إن قال قائل: إن رسول الله - ﷺ - قال: "قد صدق" إنما تركه لمعرفته بصدقه، لا بأن فعله كان يحتمل الصدق وغيره. فيقال له: قد علم رسول الله - ﷺ - أن المنافقين كاذبون، وحقن دماءهم بالظاهر، فلو كان حكم النبي رسول الله - ﷺ - في حاطب بالعلم بصدقه، كان حكمه على المنافقين: القتل بالعلم بكذبهم، ولكنه إنما حكم في كل بالظاهر. وتولى الله - عزَّ وجلَّ - منهم السرائر، ولثلا يكون لحاكم بعده أن يدع حكماً له مثل ما وصفت من علل أهل الجاهلية^(٢)

(اعملوا ما شئتم) قيل ظاهره الإباحة لكل الأعمال وتخييرهم فيما شاؤوا منها . وذلك ممتنع .

١- أخرجه البخاري (٤٢٧٤) باب غزوة الفتح (٤٨٩٠)، ومسلم (٤/١٩٤٢، ٢٤٩٤) باب من فضائل أهل بدرٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَفَصَّ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ

٢- تفسير الشافعي (٣/١٣٣٦)

وقيل ليس المراد إعملوا للإستقبال إنما هو للماضى وتقديره أى عمل كان لكم فقد غفرته ويدل على ذلك شيخان :

١- لو كان للاستقبال كان فساغفر لكم .

٢- ان لم نقل بالذنوب الماضية كان فيه اطلاق عمل الذنوب وهذا ممتنع .

وهذا القول ضعيف من وجهين :

١- لفظ اعملوا ياباه فانه للاستقبال دون الماضى . والعرب لم تضع صيغة الامر موضع الماضى قط .

٢- نفس الحديث يرده فان سببه تجسس حاطب وكان هذا بعد بدر وهو المراد من الحديث قطعا

صِيغَةَ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ اَعْمَلُوا لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ وَالْمُرَادُ عَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَنَّهُمْ خُصُّوا بِذَلِكَ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْحَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي اِفْتَضَتْ مَحَوَّ ذُنُوبِهِمُ السَّابِقَةَ وَتَأَهَّلُوا لِأَنْ يُغْفَرَ اللَّهُ لَهُمْ الذُّنُوبَ اللَّاحِقَةَ إِنْ وَقَعَتْ أَيُّ كُلِّ مَا عَمِلْتُمُوهُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مِنْ أَيِّ عَمَلٍ كَانَ فَهُوَ مَغْفُورٌ

قال الحافظ: وَاتَّفَعُوا عَلَى أَنَّ الْبَشَارَةَ الْمَذْكُورَةَ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ الْأَخِرَةِ لَا بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا مِنْ إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَغَيْرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

أى أن البشارة بخفض الذنوب ستكون في الآخرة ولن يكون أحد من أهل بدر تحت المشيئة لمغفرته ذنوبه كلها .

وقال أيضا : وهذا الخطاب (اعملوا ما شئتم) تَضَمَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ حَصَلَتْ لَهُمْ حَالَةٌ غُفِرَتْ بِهَا ذُنُوبُهُمْ السَّالِفَةُ وَتَأَهَّلُوا أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ مَا يُسْتَأْنَفُ مِنَ الذُّنُوبِ اللَّاحِقَةِ ان وقعت منهم^(٢)

وفي الحديث حكم من تعاطى شيئا من المحظور وإدعى أمرا مما يحتمله التأويل كان القول قوله في ذلك وإن كان غالب الظن بخلافه فأمر حاطب إحتمل ما قاله حاطب وإحتمل ما قاله عمر (منافق) فإستعمل النبي ﷺ حسن الظن في أمره وقبل ما إدعاه .

١- فتح البارى (٧/ ٣٠٥) وما بعدها

٢- فتح البارى (٨/ ٦٣٥)

روى البخارى عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: " مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ " (١)

روى مسلم عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْدُ خَلْتِ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ »

(كذبت) الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً سواء كان في الماضي أو المستقبل .

قال الذهبي في ترجمة مسطح بن أثانة :- ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فَقَالَ: كَانَ قَصِيْرًا غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ شَنَّ الْأَصَابِعَ عَاشَ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً. قَالَ: وَتُوِّفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.) فقال إِيَّاكَ يَا جَرِي أَنْ تَنْظُرَ إِلَى هَذَا الْبَدْرِيِّ شَزْرًا لَهْفَوْتَهُ بَدَتْ مِنْهُ فَإِنَّهَا قَدْ غُفِرَتْ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِيَّاكَ يَا رَافِضِيٍّ أَنْ تُلَوِّحَ بِقَدْفٍ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ نُزُولِ النَّصِّ فِي بَرَاءَتِهَا فَتَجِبُ لَكَ النَّارُ (٢)

عصمة أهل بدر من الوقوع في الكفر :

أن الله تعالى قد أوجب لهم الجنة (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) فمن لم يقل بخصوصيتهم وعصمتهم مما يخرج من الملة فقد أوجب التعارض بين الحديث وبين قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [٤٨: النساء] .. ووجه التعارض ان الله تعالى اوجب لهم الجنة فان قلنا بوقوع احد منهم فيما يُخرج من الملة فقد حدث تعارض لأن الاية تنص على أن من أشرك لن يُغفر له ولن يدخل الجنة طالما أنه مات على ذلك.

فإن قيل ألا يُحتمل أن يقع أحد من أهل بدر في الكفر لكنه يُوفق للتوبة من ذلكم الكفر فيموت على التوبة فيدخل الجنة وحينئذ لا تعارض بين الاية والحديث ؟

الرد : أن الله عزوجل قد غفر لاهل بدر مغفرة مطلقة ولم يقيد ذلك الغفران بالتوبة والواجب إعمال هذا النص (غفرت لكم) في أهل بدر على إطلاقه وعدم تقييد ما أطلقه الله في حقهم .

أيضا لو قلنا أنهم يوفقون للتوبة بعد الوقوع في الكفر لعطلنا تلكم الفضيلة ولما كان لشهود بدر مزية. ووجه ذلك أن الاجماع منعقد على أن جميع الذنوب حتى الكفر والشرك تغفر بالتوبة . فلو كان ذنب

١- أخرجه البخاري (٣٩٩٢) بَابُ شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا

٢- سير أعلام النبلاء (١/٨٨)

أهل بدر مغفوراً بقيد التوبة لأصبح أهل بدر وبقية المسلمين سواء ولما كان لهم هذا الفضل . فعلم أن الله تعالى عصمهم من أن يقع احد منهم في كفر أو شرك .

قال شيخ الاسلام : {قَوْلُهُ لِأَهْلِ بَدْرِ وَخَوِهِمْ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ} إِنَّ حِمْلَ عَلِيٍّ الصَّغَائِرِ أَوْ عَلَى الْمَعْفَرَةِ مَعَ التَّوْبَةِ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ. فَكَمَا لَا يَجُوزُ حِمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْكُفْرِ لِمَا قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْكُفْرَ لَا يُعْفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ لَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى مُجَرَّدِ الصَّغَائِرِ الْمُكْفَرَةِ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ^(١)

الفرق بين قبول النبي ﷺ عذر حاطب وعدم قبوله لعذر من استهزهء بالله وأياته ورسوله :- قوله تعالى (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَدَّبُ طَائِفَةٌ بَأْتَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) التوبة .

تكملة لغزوة بدر : قال البخارى (بَابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرَبٌ^(٢) فَقَتَلَهُ)

روى البخارى من حديث أنس بن مالك أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ^(٣) بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرِ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٤)

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرِ، أَصَابَهُ غَرَبٌ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتُ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، (تُكَلِّتِ) أَجِنَّةً وَاحِدَةً هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَّانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»^(٥)

ما يتعلق بالغزوة وجاء في القرآن :

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ [النساء] .

١- مجموع الفتاوى (٧/٤٩٠)

٢- لا يدري من رمى به

٣- الصواب انها الربيع بنت النضر

٤- أخرجه البخاري (٩/٢٨٠)

٥- أخرجه البخاري (٦٧/٦٥٦) بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

روى البخارى عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَكَتَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَنَاهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكْتَبُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيَصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرِبُ فَيُقْتَلُ» - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء: ٩٧] الآية^(١)

قال الحافظ : عَنْ بِنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ بِنِ الْمُنْدَرِيِّ وَالطَّبْرِيِّ كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا وَكَانُوا يُحْفُونَ الْإِسْلَامَ فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَصِيبَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُسْلِمِينَ فَأُكْرِهُوا فَاسْتَعْفَوْا هُمْ فَنَزَلَتْ فَكَتَبُوا بِهَا إِلَى مَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ فَخَرَجُوا فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَفَتَنُوهُمْ فَارْجَعُوا فَنَزَلَتْ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَخَرَجُوا فَنَزَلَتْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا الْآيَةَ فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَخَرَجُوا فَلَحِقُوهُمْ فَجَاءَ مَنْ جَاءَ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ .

وقال ايضا : وَعَرَضُ عِكْرِمَةَ أَنَّ اللَّهَ ذَمَّ مَنْ كَثُرَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ بِقُلُوبِهِمْ مُوَافَقَتَهُمْ قَالَ فَكَذَلِكَ أَنْتَ لَا تُكْثِرُ سَوَادَ هَذَا الْجَيْشِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ مُوَافَقَتَهُمْ لِأَنََّّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وقال ايضا : وَقَوْلُهُ فِيهِمْ كُنْتُمْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَفْرِيعٍ وَاسْتَنْبَاطِ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوبِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ .

قَوْلُهُ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْآيَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: ٩٨] قَالَ: «كَانَتْ أُمِّي مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ»^(٢)

لام عليهم ربنا لأنهم رضوا بالبقاء تحت جناح أنظمة تحالف الإسلام ولا قوة لهم على تغييرها ولم يهاجروا الى المدينة ليكونوا مع من هاجر .

وقال تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَهْمٍ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]

١- أخرجه البخاري (٤٥٩٦)

٢- فتح الباري (٨/٢٦٣)

روى البخارى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: {هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ} [الحج: ١٩] قال: هم الذين بارزوا يوم بدر عليّ، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة" (١)

قال تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [١٢: آل عمران]

قال محمد بن اسحاق: أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: "يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشاً". فقالوا: يا محمد، لا يعزتك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} إلى قوله: {لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ}

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} أي: قد كان لكم -أيها اليهود القائلون ما قلتم- {آيَةٌ} أي: دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومعل أمره {في فتنتين} أي: طائفتين {التقتا} أي: للقتال {فئة ثقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وهم المسلمون، {وأخرى كافرة} وهم مشركو قريش يوم بدر (٢)

قال تعالى ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمُ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [٤٣: ٤٤: الانفال]

الجمع بين الآيات: أن هذا كان في حالة والأخر كانت في حالة أخرى.

روى الطبري قال عبد الله بن مسعود: قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً (٣)

وروى أيضا عن عبد الله، قال: "لقد قتلوا في أعيننا يوم بدر حتى قُلت لرجلٍ إلى جني: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة" (٤)

١- أخرجه البخاري (٣٩٦٥) باب قتل أبي جهل، (٤٧٤٤) باب {هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ}

٢- أخرجه الطبري في التفسير (٢٣٩/٥) وابن هشام في السيرة (٥٥٢/١)

٣- أخرجه الطبري في التفسير (٢٤٥/٥)

٤- أخرجه الطبري في التفسير (٢٤٥/٥)

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ -فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ: يَرَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَيْهِمْ فِي الْعَدَدِ رَأْيَ أَعْيُنِهِمْ، أَي: جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيمَا رَأَوْهُ سَبَبًا لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ .

تَرَى الْفِئَةُ الْمُسْلِمَةُ الْفِئَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلَيْهِمْ، أَي: ضِعْفَيْهِمْ فِي الْعَدَدِ، وَمَعَ هَذَا نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

قال ابن كثير: فعند ما عاين كل من الفريقين الآخر، رأى المسلمون المشركين مثلَيْهِمْ، أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل، ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلوع، ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان، قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء، ليقدّم كل منهما على الآخر. (١)

*** قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّفَقُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

قال ابن كثير: : أَي: قَلِيلٌ عَدَدُكُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ (٢) .

روى الإمام أحمد عن عياض الأشعري، قال: شهدت البيروك وعائنا حمسة أمراء أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض - وليس عياض هذا بالذي حدثت بماكا - قال: وقال عمر إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه إنه قد جاش إيتنا الموت، واستمددناه، فكتب إيتنا إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإي أدلكم على من هو أعر نصرًا وأخضر جندًا: الله عز وجل فاستنصروه «فإن محمدًا ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم»، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمتناهم وقتلناهم أربع فراسخ (٣)

*** قال تعالى ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

قال القرطبي: قال السدي: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماءً، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شربك فضله أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها

١- تفسير ابن كثير (٢/ ١٤) وما بعدها

٢- تفسير ابن كثير (٢/ ٩٦)

٣- أخرجه أحمد (٣٤٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر

قَلْبُهُ؟ فَأَفْضَلَ لَهُ فَأَتَاهُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هِيَ فَضْلَةٌ مِنْ شَرَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَمْتُكَ بِهَا تَشْرِبُ بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُطَهِّرَ قَلْبَكَ بِهَا. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: فَهَلَّا جِئْتَنِي بِبَوْلِ أُمِّكَ فَإِنَّهُ أَطْهَرُ مِنْهَا. فَغَضِبَ وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمَا أَذِنْتَ لِي فِي قَتْلِ أَبِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ تَرَفُّقُ بِهِ وَتَحْسَنُ إِلَيْهِ».

وقال ابن جريح: حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا فُحَافَةَ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ فَصَكَّهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُهُ صَكَةً فَسَقَطَ مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «أَوْفَعَلْتَهُ، لَا تَعُدْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَلَوْ كَانَ السَّيْفُ مِنِّي قَرِيْبًا لِقَتَلْتُهُ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَتَلَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَرَّاحِ يَوْمَ أُحُدٍ وَقِيلَ: يَوْمَ بَدْرٍ. وَكَانَ الْجَرَّاحُ يَتَّصِدِي لِأَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ قَصْدَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَتَلَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (الآيَةُ ^(١))

ما بعد غزوة بدر :

كان لغزوة بدر الأثر البالغ في إيجاد هيبة للمسلمين في جزيرة العرب وأصبح كل من سمع بها يفكر في هؤلاء القوم وبدأ الكثير يشعر بالخطر منهم وفكر الكثير منهم أن يدخلوا في الإسلام تعافا أو خديعة .

وقاد النبي ﷺ بعض الغزوات بعد بدر وقبل أحد :

غزوة بنى سليم بالكُدر : وكانت بعد بدر بسبع ليال في شوال سنة ٢ هـ ..

وسببها أن بنى سليم من قبائل غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة فخرج النبي ﷺ في مائتي راكب وبلغ منازلهم في موضع يقال له الكُدر . ففر بنو سليم وتركوا خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ثم أقام النبي ﷺ ثلاثة أيام ثم رجع .

غَزْوَةُ السَّوَيْقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ٢ هـ

نَدَرَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَرَجْعِهِ بِالْبَعِيرِ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسُهُ مَاءً مِنْ جَنَابَةِ حَتَّى يَعْزُوَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، لِيَبْرَ يَمِينَهُ حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ فَقَرَأَهُمْ وَسَقَاهُمْ،

١- تفسير القرطبي (٣٠٧/١٧)

وَبَطَّنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ . فقام أبو سفيان بمهاجمة واد في طرف المدينة فقتل رجلين وأحرق نخلا وفر عائدا إلى مكة . فتعقبه النبي ﷺ هو وأصحابه . ولم يتمكنوا من إدراكهم . وتمكن أبو سفيان من الهرب . وجعلوا يتخففون من أثقاهم ويلقون السويق (تلمص الحنطة والشعير ثم يُطحن باللبن والعسل والسمن) التي كانوا يحملونها لغدائهم فأخذها المسلمون . وسميت غزوة السويق ورجع النبي ﷺ دون أن يلقي حربا وغاب عن المدينة خمسة أيام .

غزوة ذي أمر : في المحرم سنة ٣ هـ

وسببها أن جمعا كبيرا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا، يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فخرج رسول الله ﷺ المسلمين، ومعه أربعمائة وخمسين مقاتلا . وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصار دليلا لجيش المسلمين إلى أرض العدو . وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة. أما النبي ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم، وهو الماء المسمى: «بذي أمر» فأقام هناك صفرا كله . ليشعر الأعراب بقوة المسلمين والرهبة، ثم رجع إلى المدينة .

غزوة بني قينقاع: في شوال ٢ هـ

سببها ما ذكره ابن هشام (بسند مرسل معلق قاله الالباني) أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرْفِ نَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَاتِئُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوُتِبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَحَ أَهْلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ^(١)

فخرج النبي ﷺ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وسار إلى بني قينقاع، ولما رآه تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، ودام الحصار خمس عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ .

١- أخرجه ابن هشام في السيرة (٤٨ / ٢) بسند مرسل معلق قاله الالباني وابن كثير في السيرة النبوية (٦ / ٣) وما

فقام عبد الله بن أبي بن سلول فألح على رسول الله ﷺ أن يحسن في مواليه (بنو قينقاع) حتى أغضب النبي ﷺ وقال إني رجل أخشى الدوائر . واستجاب النبي ﷺ له فوهبهم له، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام فهلك أكثرهم .

من آثار نقض بني قينقاع العهد : قام عبادة بن الصامت وتبرأ منهم . وقام ابن سلول وقال إني أخشى الدوائر . فانزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ ﴿ [٥١ : ٥٦ : المائة] .

مقتل كعب بن الأشرف :

يُنسب كعب بن الأشرف الى بنى نبهان من قبيلة طيء . وكان أبوه أصاب دما في الجاهلية فقدم المدينة وحالف يهود بنى النضير وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعب وكان شاعرا ناصب الاسلام . وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في بدر فبدأ يهجو النبي ﷺ ويحرض قريش على التآمر لقتلهم . فقال له أبو سفيان أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد . فقال أنتم أهدى منهم سبيلا . قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [٥١ : النساء] .

في الصحيحين جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِبْ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَذَّنَ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ نُسَلِفْنَا وَسَفَا أَوْ وَسَقَيْنَ - وَحَدَّثَنَا

عَمِرُو عَيْرٍ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنِ أَوْ: فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنِ؟ فَقَالَ: أَرَى فِيهِ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنِ - فَقَالَ: نَعَمْ، اِزْهِنُونِي، قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: اِزْهِنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَزْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ: فَارْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَزْهِنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقِي أَوْ وَسَقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَزْهِنُكَ اللَّأَمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السَّلَاحَ - فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ عَيْرٌ عَمِرُو، قَالَتْ: أَسْمِعْ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيْعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لِأَجَابِ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ - قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمِرُو؟ قَالَ: سَمَّيْتُ بَعْضَهُمْ - قَالَ عَمِرُو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقَالَ: عَيْرٌ عَمِرُو: أَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ، قَالَ عَمِرُو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَسْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاصْرَبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُسْمِكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيْبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا، أَيُّ أَطْيَبِ، وَقَالَ عَيْرٌ عَمِرُو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ عَمِرُو: فَقَالَ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُسَمَّ رَأْسُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَمَّاهُ ثُمَّ أُسَمَّ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذُنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَفَقَلُّوهُ، ثُمَّ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ^(١)

قَوْلُهُ مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ أَيُّ مَنْ الَّذِي يَنْتَدِبُ إِلَى قَتْلِهِ

قَوْلُهُ فَاذْنُ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ قُلْ كَأَنَّهُ اسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَفْتَعَلَ شَيْئًا يَحْتَالُ بِهِ وَعِنْدَ بَنِ سَعْدٍ لِلْقِصَّةِ أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا أَنْ يَشْكُوا مِنْهُ وَيَعْيَبُوا رَأْيَهُ فَقَالَ لَهُ كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا مِنَ الْبَلَاءِ حَارِثَتَنَا الْعَرَبُ وَرَمْتَنَا عَن قَوْسٍ وَاحِدَةٍ

قَوْلُهُ قَدْ عَنَّانَا مِنَ الْعَنَاءِ وَهُوَ التَّعَبُ

كَلِمَةٌ فِي ذَلِكَ أَبُو نَائِلَةَ (وَاسْمُهُ سَلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ) أَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ أَخِيهِ

كَيْفَ نَزْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَمْتَنِعُ مِنْكَ لِجَمَالِكَ

نَزْهِنُكَ اللَّأَمَةَ - السَّلَاحَ - وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِئَلَّا يُنْكَرَ بِجِيئِهِمْ إِلَيْهِ بِالسَّلَاحِ

فَلَمَّا جَاءُوا وَنَادُوا عَلَيْهِ تَعَلَّقَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ مَكَانَكَ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى حُمْرَةَ الدَّمِ مَعَ الصَّوْتِ .

١ - أخرجه البخاري (٤٠٣٧) باب قتل كعب بن الأشرف، ومسلم (١٨٠١)

فلما قتلوه ذهبوا الى النبي ﷺ فَلَمَّا بَلَغُوا بَقِيعَ الْعَرَقِدِ كَبَرُوا فَلَمَّا سَمِعَ تَكْبِيرَهُمْ كَبَرَ وَعَرَفَ أَنْ قَدْ قَتَلُوهُ .
فَأَصْبَحَتْ يَهُودُ مَدْعُورِينَ فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا قَتَلْنَا سَيِّدَنَا غِيْلَةً فَذَكَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ صَنِيعَهُ وَمَا كَانَ
يُحَرِّضُ عَلَيْهِ وَيُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي قِصَّةِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ قَتْلُ الْمَعَاهِدِ إِذَا سَبَّ الشَّارِعَ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ قُتِلَ وَفِيهِ
نَظْرٌ وَصَنِيعُ الْمُصَنِّفِ فِي الْجِهَادِ يُعْطَى أَنْ كَعْبًا كَانَ مُحَارِبًا (١)

الكذب المباح هي المعارض التي لا يُفهم منها التصريح بالتأمين . . . وأما الكذب الحقيقي وهو
الاجبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه فلا يجوز في شيء من الدين أصلا .

قَالَ اسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ مَنْ سَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ سَبَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَوْ دَفَعَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ كَافِرٌ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَقْرَأً
بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ (٢)

قال الإمام أحمد : من شتم الرسول ﷺ أو إنتقصه مسلما كان أو كافرا فعليه القتل ولا يستتاب .

سرية زيد بن حارثة :

وحاصلها أن قريشا خرجت بتجارة لها الى الشام وغيرت الطريق واتجهت نحو الشام مختربة لنجد بعيدا
عن المدينة . وكان قائد القافلة صفوان بن أمية وأخذ معه فُرات بن حيان من بني بكر بن وائل ليكون
دليلا له .

ووصلت أخبار هذه القافلة الى المدينة عن طريق سليط بن النعمان . جلس في مجلس شرب مع نعيم بن
مسعود فلما أخذت الخمر من نعيم بدأ يتحدث عن تفاصيل القافلة فقام سليط بن النعمان وأخبر النبي
ﷺ بالخبر . فقام وجهز حملة قوامها مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة وتمكن زيد ومن معه من اللحوق
بالقافلة والتمكن والاستيلاء عليها . وفر صفوان ومن معه دون أى مقاومة

وأسر المسلمون فُرات بن حيان وقسم النبي ﷺ هذه الغنيمة على أفراد السرية بعد أن أخذ الخمس

١- فتح الباري (٧/ ٣٤٠)

٢- الاستذكار (٢/ ١٥٠)